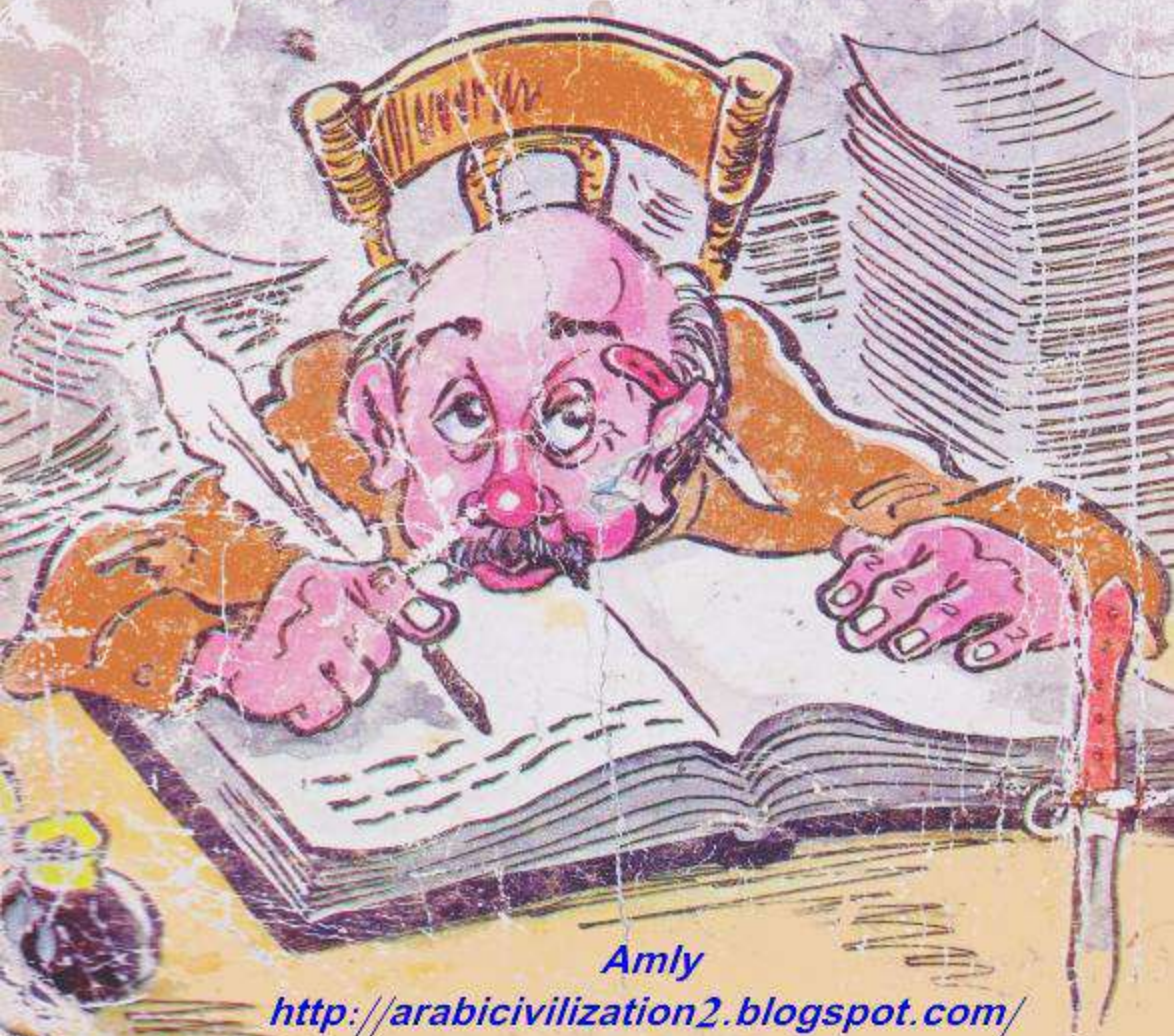


محمود السعدني

أحكام العبد لله



Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

أعلام العبداء

بقلم

محمود السعدنى

دار الهلال

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

الغلاف والرسوم
الداخلية للفنان :
طـوـغـان



كـدـة ولايـه ؟

عفوا .. سأحدث مباشرة الى السيد وزير الداخلية . ووزير الداخلية في بلدنا خصوصا شخصية استعمارية ، فهو ليس مثل وزير التموين او وزير الثقافة او وزير الإعلام او وزير مجلس الشعب ! هؤلاء جميعا اذا عقدوا مؤتمرات صحفية او ادلوا باحاديث للجرائد ، فنحن نغفر لهم عدم اهتمامهم بتقديم مستندات تؤيد كلامهم ، لأنهم غالبا لا يملكون مثل هذه المستندات . اما السيد وزير الداخلية فهو رجل يملك يده مقاليد السلطة بالفعل .. وتحت يده اجهزة وملفات وشرائط وصورة ومستندات ، ولذلك فهو اذا اتهم أحدا فلا بد ان يزن كلامه بميزان الذهب وليس بميزان الطوب والدبش ! واللواء احمد رشدي وزير الداخلية صرح في الاسبوع الماضي للصحفيين بان بعض الكتّاب في الخارج ضد مصر ، وناشد الوزير هؤلاء الكتّاب ان يتقوا الله في أمهم مصر . حماها الله ، حماها الله ! وقال الوزير في أسف شديد .. ان على هؤلاء الكتّاب الذين يهاجمون مصر في الخارج ان يتقوا الله في أمهم مصر ، وعليهم ان يدركوا ان مصر أغلى من كل الدنانير والريالات والدولارات التي يقبضونها ثمننا لمقالاتهم التي يكتبونها خارج الحدود ...!

وانا مع وزير الداخلية في ان مصر أغلى الف مرة من كل كنوز الأرض . ومعها ايضا في ان الهجوم على مصر خارج الحدود او داخل الحدود ايضا ليس جريمة فقط ، ولكنه خيانة ، ويلقى مرتكبها جزاء الخائن وعلى الفور ! ولكن كان على وزير الداخلية ان يقدم لنا نموذجا من الهجوم على مصر ، او يقدم لنا اسما واحدا لكاتب واحد هاجم مصر .

والعبد لله على يقين بان الوزير لو فعل هذا لما احتاج الى القبض على هذا الكاتب او محاكمته ، وبالتأكيد فان الجماهير كانت ستتولى معاقبة الكاتب الذي يهاجم أمنا مصر .. وعلى الفور !! ولكن السيد الوزير - حماه الله - اكتفى بالكلام ، واطلق التصريحات دون مستندات ، واتهم "بعض" الكتّاب بأنهم يهاجمون مصر .

وكلام السيد وزير الداخلية ذكرني بأيام مضت وارجو الا تعود . ايام كبير العائلة المصرية والعيب واخلاق القرية . عندما كان الهجوم على السيد المحافظ

جريمة ، والمساس بالسيد الوزير جنائية ، ونقد تصرفات السيد الرئيس خليفة عظمى باعتباره مصر ! وفى أيام اللواء النبوى اسماعيل اصبح الهجوم على وزير الداخلية خيانة ، والهجوم على السيد المحافظ جنائية ، والهجوم على السيد السكرتير العام خيانة ، اما المساس بالسيد رئيس الدولة فهو كفر ويستحق صاحبه دخول النار ! فهل يريد اللواء احمد رشدى العودة بنا الى تلك الايام ؟

مبلغ علمى ان الرئيس حسنى مبارك ليس مثل سلفه .. الله يرجمه ! وفى البلد الآن ديمقراطية وحرية ، وهى تفرد جناحيها على الجميع من اول ضباط الشرطة والى باعة الجملة فى سوق روض الفرج . فكما ان من حق ضباط الشرطة - فى ظل الديمقراطية ، ضرب المتهمين فى اقسام الشرطة ، فأياضا من حق تجار الجملة اخفاء السلع او رفع سعرها فهكذا تفرض ديمقراطيتنا .. حماها الله !!

واعتقد أن الكتاب من حقهم الاستمتاع بهذه الديمقراطية ، ومن حقهم ان يهاجموا تصرفات الشرطة ، أو تصريحات السيد الوزير . او ممارسات السيد المحافظ ، او سلوك الحزب الحاكم ! فهل حدث من بعض الكتاب شيء من هذا القبيل ؟ وهل هذا هو الذى جعل السيد الوزير يتصور أن الكتاب يهاجمون مصر ؟ وأنا - يعلم الله - غلبت وغلب حمارى لكى أعرف مصر التى يقصدها بعض السادة المسؤولين ! ان مصر حكمها ألف ملك ورئيس ووال وسلطان ونائب سلطنة ، وكلهم ذهبوا الى رحاب الله وبقيت مصر ! وتولى أمرها مائة ألف وزير ومحافظ وسكرتير عام وسكرتير مساعد وصول وشاويش ومخبر وخفير ، ولكنهم ذهبوا الى رحاب الله وبقيت مصر ! ومصر اجتاحتها ألف مستعمر وألف غاز وألف سفاح ، وكلهم ذهبوا فى ستين ألف داهية .. وبقيت مصر ! خيل هؤلاء الذين حكموها من الملوك والطغاة كانوا مصر ؟ وهل كل الوزراء الذين تولوا أمرها على مر السنين من أول الوزير قراقوش الى الوزير ابوسطحى ، هل هؤلاء جميعا هم مصر ؟ وهل كل شاويش وكل مخبر وكل مرشد هو مصر ؟ وهل اذا تجرأ الكاتب وانتقد تصرفات سعادة البية المعاون .. أو سعادة البية الملازم .. أو سعادة البية البلوكامين ، يكون قد هاجم مصر ، وعندئذ يحق رجمه بالحجارة ودفنه بدون احتفال ؟!

هذه المسألة - صدقونى - ينبغى الوقوف عندها والتفكير فيها ، قبل أن ينجح أحدهم فى جرجرة البلاد والعباد الى أيام كثيفة مضت .. وأرجو الا تعود ! واقترح للوصول إلى هذه الغاية تكوين لجنة لتقصى الحقائق ، لمعرفة وتحديد ماهى مصر على وجه التحديد ، هل الملك هو مصر ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فعلينا بمحاكمة كل من سمح ووافق على عرض جثة الملك توت عنخ آمون فى المعارض للحصول على العملة الصعبة بتهمة الاتجار بمصر !! هل مصر هى رئيس الوزراء اذا كان الأمر

كذلك ، فعلينا أن نحاكم كل من هاجم شاور وضرغام ، وكلاهما كان رئيسا لوزراء مصر ، وأحدهما أشعل النار في العاصمة بدعوى إبعاد الصليبيين عن أبوابها ! هل مصر الخديوي ؟ لقد حكم مصر عدد منهم كانوا - ولا مؤاخذه - أجهل من دابة ، وأحدهم انضم الى المستعمر ضد شعب مصر !

هل السيد الوزير هو مصر ؟ اذا كان الوزير - في نظر السيد وزير الداخلية - هو مصر ، فأننا أول من يعلم وقوفه ضد مصر . ويستطيع اللواء أحمد رشدي لكي يدرك خطأ هذه النظرية ، ان يلقى نظرة على اللوحة المعلقة فوق رأسه وسيكتشف وجود أكثر من ثلاثين وزير داخلية جلسوا على مقعده من قبل . ولو كلف نفسه وعاد الى الملفات القديمة ، فسيكتشف أيضا ان بعض هؤلاء السادة الوزراء دخلوا السجن ، وحكم على بعضهم بالإعدام ، وعلى بعضهم بالسجن المؤبد . فهل يجوز في عرف السيد الوزير إعدام مصر أو سجن مصر ؟

يالها من نعمة نشاز ، كما أنها قديمة ومعادة ومكررة ، واستمعنا اليها من قبل ، وكانت سببا في كوارث ومصائب أرجو أن لا تتكرر في تاريخ مصر . فنهاية الدول تبدأ عندما يتصور بعض الموظفين انهم الامة نفسها ، وأن الزمان لن يجود بمثلهم ، وأن على الكتّاب الذين لم يتربوا كفاية ولم يتعلموا الادب ، ان يسبحوا بجهدهم ليل نهار ، وان يمجّدوا اسماءهم ، وأن يعددوا مآثرهم ، ولا بأس من الدعاء لهم بطول البقاء وواسع الرزق !

وليس لدى العبد لك مانع من الدعاء للسيد أحمد رشدي بطول البقاء وعلو الذكر . فقط .. أرجوه وأتوسل اليه أن يضرب لنا مثلا واحدا على كاتب واحد هاجم مصر ، أو خان مصر ، أو باع مصر ، اللهم إلا هذا كان أحدهم كان يملك قطعة أرض في "مصر" الجديدة ، أو في "مصر" العتيقة .. وباعها للغير !

هل يستطيع وزير الداخلية ان يضرب لنا هذا المثل ؟ اذا كان الوزير يستطيع فأننا أول من سيرجم الكاتب الذي تجرأ وهاجم مصر . أم ان الوزير قد أخذته الجلالة في عيد الشرطة .. فاتهم الكتّاب بدون وجه حق .. فأننا أرجو أن يلجأ الكتّاب الذين يكتبون خارج مصر الى مقاضاة وزير الداخلية ، لكي يزن كل مسئول كلامه في المستقبل فلا يتهم الناس بالباطل ويدون حق ! لانه اذا كان مطلوبا من الكتّاب أن يتحسسوا كلماتهم قبل أن يتهموا المسؤولين أو يهاجموهم ، فأولى بالمسؤولين أيضا ان يتحسسوا كلماتهم قبل أن يتهموا الكتّاب أو يهاجموهم .

كده .. والا ايه ؟..

اخشى ان يكون الرد .. ايه !



وعلى رئاسة
قنديلان !



اذكروا هذا الاسم (مغدوشة) واحفظوه ، وهى قرية عربية دخلت التاريخ من اوسع الابواب ، وهى دخلت من نفس الباب الذى دخلت منه ستالنجراد والعلمين وبرلين وجزيرة ابو جيم ، وهى مفاتيح النصر فى الحرب العالمية الاخيرة .

ولكن مغدوشة فاقت الجميع ، وتقدمت على الجميع ، فعلى ارضها دارت اعظم معركة ليس فى القرن العشرين وليس فى التاريخ ، وليس فيما قبل التاريخ ولكنها اعظم معركة حربية منذ الازل والى الابد ، ولانها معركة عربية وبجيوش عربية واسلحة عربية لا شرقية ولا غربية ، ولكنها منبثقة من ارضنا ومنبثقة من تراثنا ومنبجعة من تراثنا ! والذين انتصروا فيها عرب ، والذين انهزموا فيها عرب والذين جرحوا فيها عرب ، والذين اسروا فيها عرب ، كلهم عرب ، وامجاد يا عرب ، وكله عند العرب بلوبيف !

والحمد لله الذى كتب لنا الحياة حتى عشنا عصر مغدوشة ، الحمد لله لان العرب بعد مغدوشة فى خير ما بعده خير ، رايات النصر ترفرف فوقنا ، وآيات العزت حوم حولنا ، جانبنا مهاب ، وكلمتنا مسموعة ، واسهمنا عالية ، والدنيا كلها تنظر الينا وتنصت لنا وتغبطنا على النعمة التى نرفل فيها ، وتحسدنا على بحر السعادة الذى نسبح فيه !

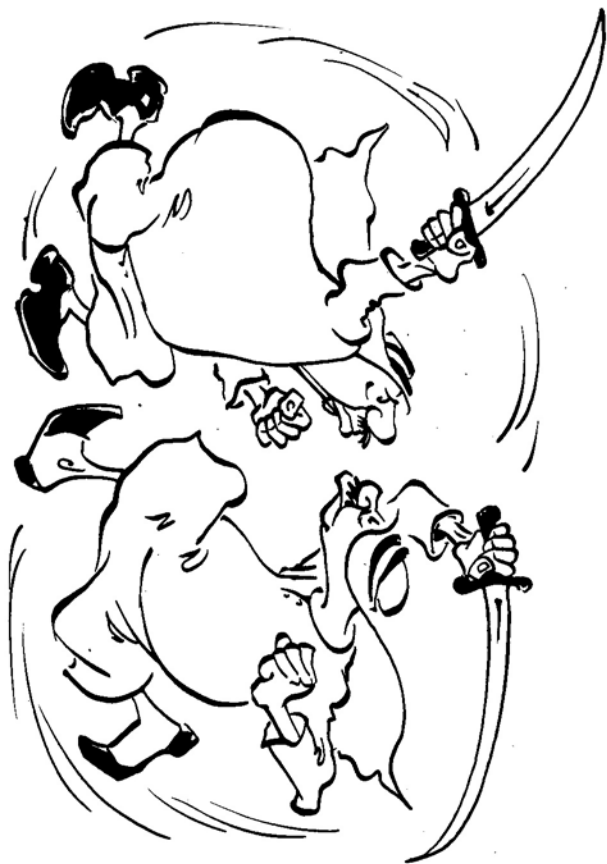
ففى مغدوشة انتصرنا نحن العرب مرتين المرة الاولى حين استطاعت القوات الفلسطينية العربية تحرير القرية واستخلاصها من ايدي قوات الشيعة العرب ، والمرة الثانية حين استطاعت قوات الشيعة العرب انتزاع قرية مغدوشة من ايدي الفلسطينيين العرب ، ودار القتال داخل مغدوشة فى المرتين من بيت الى بيت ومن صالة الى صالة ومن مطبخ الى مطبخ وسقط فى المعركتين وعلى الجانبين الف قتيل تناثرت جثثهم فى الشوارع ، وجرى دمهم انهارا فى العطوف والحوارى ، ووقع فى الاسر مائة شيعى عربى بينهم قائد كبير ، ومائة فلسطينى عربى بينهم قائد كبير ، ووصفت الدوائر العسكرية الاجنبية معارك مغدوشة بانها فتح جديد فى التكتيك العسكرى واثنت على اداء جميع المتحاربين العرب ، واكدت بان هذا الاداء الرائع جاء نتيجة تدريب شاق وجاد ورفيع المستوى ، واشادت الدوائر الاجنبية بدقة التصويب من الجانبين ، فقد سقطت كل قذائف الفلسطينيين العرب على بيوت الشيعة ، بينما كانت كل قذائف الشيعة العرب تتساقط على مخابىء الفلسطينيين العرب واذا كان الفلسطينيون العرب قد حققوا انتصارهم باحتلال

المنزل رقم ١٣ بحارة مسلم ابن عقيل ، فان الشيعة العرب قد حققوا انتصارهم باستعادة المنزل رقم ١٣ بحارة مسلم ابن عقيل .

وهكذا سقطت قرية مغدوشة مرتين في ايدي العرب ، مرة في ايدي الفلسطينيين العرب ، ومرة في ايدي الشيعة العرب وتحققت على ايدينا معجزة عسكرية بكل المقاييس ، وهى اننا نحن العرب في برج عزنا ، وفي قمة سعدنا ، فقد نصرنا الله في الاول وفي الآخر ونصرنا في البداية وفي النهاية ، مرة على ايدي الفلسطينيين العرب ومرة على ايدي الشيعة العرب ، ليصبح نصرنا نصرين وعزنا عزيز وفخرنا فخرين ! ويا عربى يانور العين يابو وردة على الخدين ، يا محقق الانتصارين ! وهكذا .. وباعتبارنا عربا في عرب ، المنتصرون عرب والمنهزمون عرب ، والجرحى عرب والاسرى عرب ، نصبح نحن اول امة على ظهر الارض تحقق نصرا على هذا المستوى ، ومن هذا النوع النادر الفاخر الثمين ! نصر في الذهاب والاياب ! نصر في الرايحة والجاية ! واصبحنا في الحرب كالمنشار طالع منصور نازل منصور ! وينبغى في حالات مثل هذه وهى حالة لم يذكر لها التاريخ مثيلا ينبغى ان نحشد كل مؤلفينا ، وان نستغفر كل ملحنينا ، وان نستعدي كل مطربينا ، ليعدوا لنا ما استطاعوا من اغاني النصر ، ويا نصريا نصر من المسا للعصر ، وم الكوخ للقصر ! والحمد لله لاتزال المعارك مستمرة والقتال على ودينه ، والتراشق بالصواريخ على ودينه ، وامجاد يا عرب ، اعدتم الى الانهان ، عصر هارون الرشيد ، ورحمة الله عليه بلغ ملكه مدى فى الاتساع ، جعله ينظر الى اى سحابة صايعة ويقول لها فى ثقة لعب كورة محترف ! امطرى حيث شئت فسياتينى خراجك ! ولكن عصر السحاب انتهى ، كان عصرا رومانسيا خياليا خرافيا ونحن الآن والحمد لله فى عصر الواقع والكمبيوتر والقنبلة النووية ، وتطورنا مع التطورات ، وتغيرنا مع التغيرات ، واصبحنا ننظر الى اى معركة تدور فى اى بقعة من بلادنا ونقول لها ، انتة الى اى وضع ، فنحن المنتصرون على كل حال . شيعة عرب ، سنة عرب ، اكراد عرب ، موارنة عرب ، فلسطينيون عرب ، لبنانيون عرب كلنا عرب ، اسرى عرب ، جرحى عرب ، قتلى عرب ، وكله عند العرب بلوبيف !

والاكادة ان المعارك دائرة فى مغدوشة على مرمى حجر من حدود اسرائيل ، ولكن يبدو ان عقولنا اصببت بخيل ، وينادقنا اصببت بحول ، فلم تعد تنطلق إلا نحونا ، ولم تعد تنفجر إلا فى صدورنا ولا تشرب إلا من دمنا ، بينما اسرائيل تقف عن كثب تشاهد وتضحك ، وتشاهد وتصفق ، وتشاهد وتدعو للجانبين بالنصر المبين !

والحمد لله الذى أحيانا لنشهد عصر مغدوشة وهو عصر فاق كل عصور العرب السابقين ، اين نحن من العرب الاشائوس ؟ والعرب الاقحاح ؟ والعرب العاربة ؟



والعرب المستعربة ؟ أين منا عنتر العبسى ورجاله الشجعان ؟ أين القعقاع وجيشه المقدام أين خالد وسيفه المسلول ؟ وأين سعد بن أبى وقاص وحصانه الاشهب ؟ وأين ابو عبيدة ابن الجراح ولثامه الاسود ؟ أين موسى ابن نصير وخادمه طارق بن زياد ؟ أين صلاح الدين وجنوده وبنوده ؟ أين الظافر قطز والظاهر بيبرس ؟ أين السيد البدوى واتباعه ؟ أين الكبير على بيه وأين ابو الذهب محمد ؟ أين محمد على وابنه ابراهيم ؟ وهل عرب اليوم هم حقا أحفاد عرب الامس ؟ وهل تحققت بالفعل بطولات الامس ؟ ام هى مجرد اساطير وحكايات ؟

الحق أقول بعد معركة مغدوشة وما جرى فيها من انتصارات وفتوحات ، اصبح من العسير اثبات أننا نحن عرب اليوم ورثة عرب الامس ، فلم يحدث فى التاريخ عمى حيسى من هذا النوع ، اصبحت ظهورنا لاسرائيل ، وفوهات مدافعنا مصوبة لصدورنا وعبقريتنا العسكرية لا تتألق إلا عندما تكون الحرب ضد اهلنا عرب يموتون ، وعرب يجرحون ، وعرب يؤسرون ، ولكن وبرغم ذلك فالتصير لنا ! لأننا اصبحنا بفضل الله كالمنشار طالع منصور نازل منصور ، وإذا كانت الخيبة بالويبة فى لبنان فالخيبة فى حرب الخليج على أوسع ، انكشفت اللعبة القذرة وإذا بامريكا تغذى آلة الحرب على الجانبين ، امريكا تبيع السلاح لايران ، واسرائيل تنقله ورغم انكشاف اللعبة وظهور اللعبة على المسرح مازالت الصواريخ تفرقع فى المدن الاسلامية على الجانبين ، ومازالت الطائرات تدك بيوت المسلمين على الضفتين والاستنزاف على ودنه فى الناحيتين ، والخراب على أشده فى الجانبين واسرائيل تشاهد وتعترف ، وتشاهد وتضحك ، وتشاهد وتدعو للجانبين بالنصر المبين !

رواية ولا أسطورة ، وحكاية ولا اللغز ، وإن تنته الحرب حتى تكون قد أكلت اموال المسلمين والعرب وهدت قوى المسلمين والعرب ومسحت مدن المسلمين والعرب ولكن ايا كان الوضع الذى ستنتهى اليه حرب الخليج فالتصير سيكون حليفنا نحن المسلمين ولا شيء يهم ، اذا كان القتلى مسلمين ، والجرحى مسلمين ، والاسرى مسلمين ، فالمهم النتائج ، والعبرة بالخواتيم والنصر ياهوه سيكون . والحمد لله من نصيب المسلمين ، عرب ، او فرس مسلمين ، ما الفرق ؟ خصوصا ونصف العرب مع العرب ، ونصف العرب مع الفرس ؟ خصوصا جبهة الصمود والتصدى ، وهى بدون فخر جبهة صمود امام الغزاة العرب ، وتصدى للمعتدين العرب ، اما اسرائيل وعساكر اسرائيل ، فلا صمود امامهم ولا تصدى لهم ، باعتبار ان البيت له رب يحميه ! والعبد لله من أشد المعجبين بجبهة الصمود والتصدى ، وإن شئتم الدقة فالعبد لله من دروايش الصمود ومن مجاذيب التصدى ، خصوصا وأنه صمود ضدنا ، وتصدى لنا ! وسرحبى وايمانى بالجبهة ، أننى رجل شعبى . والجبهة تطبق المثل الشعبى زيتنا فى دقيقتنا ، وتطبق المنهج العربى ، اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع ! ثم ان التصدى للعرب أسهل ، والصمود امامهم أيسر ! ومصيبتنا نحن العرب فى الماضى القريب ، أننا كنا مصابين بعقدة الخواجة ، وجبهة الصمود والتصدى قامت لازالة هذه الصفة

الرزيلة . ومحو هذه الوصمة الثقيلة ، فالجبهة - الحمد لله - لا تتصدى لخواجات ، ولا تصمد امام اجانب ! وأنا معهم من أجل هذا المعنى ، وفي صفهم لتحقيق هذا الهدف ! فصنف العرب نماريد وينبغي تأديبهم ! والجبهة والحمد لله تؤدي هذه المهمة خير أداء ، في لبنان ، وفي حرب الخليج ، ومستعدة لتوصيل الخدمات الى المدن العربية ، والشواطئ العربية ، من طنجة والى صنعاء ! ولكنى ، وبالرغم من انحيازى لهم ، وانتظامى فى صفهم . ارجو ان اسأل سؤالا ، وارجو عدم المؤاخذه ولا ملام ، لاتصمد امام اسرائيل ، موافق ، لا نتصدى لعساكر اسرائيل ، ماشى ، نتقطعت (نتحول الى قطط) امام الخواجات ، مافيش مانع ، نستأسد امام العرب ، عظيم ! ولكن نتحالف مع اسرائيل ؟ ندخل فى حلف مع اسرائيل ؟ هذا هو الموقف الجديد . والسؤال لامؤاخذه من صامد ومتصد حديث العهد بالمهنة ، فلاح ولامؤاخذه يصدق الشعارات والبيانات ! والسؤال موجه للجماهيرية الشعبية الليبية التى قررت وصممت وتوكلت على النظرية الثالثة للقضاء على امريكا واسرائيل . والسؤال ولامؤاخذه موجه ايضا الى حزب البعث السورى الذى يؤمن بالوحدة اللى ما يغلبها غلاب ، وأنا واقف عند الاهرام وقدامى بساتين الشام ! والسؤال ولامؤاخذه ، ليس من باب الاستنكار أعوذ بالله ، ولكن من باب الاستفسار والحمد لله . والسؤال هل جبهة الصمود والتصدى فى حلف مع اسرائيل ؟ اذا كان الجواب بالنفى ، فكيف يتفق هذا النفى مع الحقائق التى ظهرت . والاسرار التى انكشفت ، امريكا تزود ايران بالسلاح وإسرائيل تنقل السلاح الى ايران . والجبهة حليفة ايران وبالتالي فهى حليفة للولايات المتحدة وتابعها قفه !

أما اذا كان الجواب بالايجاب فيا ألف مرحب ، ويا ألف نهار ابيض فهكذا يكون الجموح فى الوضوح والتفنن فى الطموح . وإصابة الهدف بكل شغف ، وحصد الكلا أمام الملا ، المهم الصمود ولو بأسلحة امريكا ، والمهم التصدى ولو بمساعدة إسرائيل ! ومادما نضرب فى اهلنا . ونطقطق المدافع داخل بيوتنا ، فالانتصار آت وأكيد ولاريب فيه اذا انتصروا .. انتصرونا .. فكلنا عرب ، وكلنا احفاد عنترة وخالد والقعقاع !

ولكن الاحفاد اثبتوا لحسن الحظ أنهم اعظم من الاجداد ، فهم حققوا النصر البسيط ، وحققنا نحن النصر المركب ، وكانوا ينتصرون مرة ، ومنتصر نحن مرتين ، نصر طالع ونصر نازل ، تحولنا الى منشار فى ساحات المعارك ، طالع منصور نازل منصور ، والحمد لله لان العرب فى خير ما بعده خير خصوصا هذه الايام ، الحمد لله ، فرايات النصر ترفرف فوقنا ، وآيات العز تحوم حولنا ، جانبنا مهاب ، وكلمتنا مسموعة ، وأسهمنا عالية والدنيا كلها تنظر اليها وتستمع لنا ، وتغبطنا على النعمة التى نرفل فيها ، وتحسدنا على بحر السعادة الذى نسبح فيه !

وأما يا عرب أمجاد .

وحظنا المهيب ان شيخنا دكتور ، ودكتورنا عقيد ، وعقيدنا عقيم ، وعقيمنا سيدخل القدس محررا وعلى رأسه قنديل وقيل قنديلان .. والله أعلم .



العرب وجائزة شوجيب

ماحدث لمصنع الرابطة الليبي هو بالتأكيد من تدبير أجهزة المخابرات في الغرب . وإذا كنا لا نستطيع تحديد الجهة التي قامت بالتدمير ، فإننا وبالتأكيد - نستطيع تحديد الجهة صاحبة المصلحة في التدمير ، وليس هناك غير إسرائيل . وهذا المصنع بالذات ثارت حوله ضجة منذ فترة في الدوائر الغربية ، وصرحت مصادر أمريكية بأنها ستضرب ليبيا ضرب غرائب الإبل إذا لم تسارع ليبيا إلى إغلاق هذا المصنع الذي يمثل خطراً على السلام العالمي . ياسلام !!

المصنع الليبي وحده هو الذي يهدد سلام العالم !

طبيب ومصنع القنابل الذرية في إسرائيل ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية في أمريكا ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية في روسيا ؟ ومصنع الأسلحة الكيماوية في بلجيكا ؟ كل هذه المصانع لنشر الرقاهية وتعميم الخير على سكان المعمورة ، ولكن المصنع الليبي وحده هو مصنع الشيطان الذي يجب تدميره ونسفه من الأساس !
ليه ؟ لأن المصنع الليبي مصنع عربي ، وسلاحه سيكون سلاحاً في يد العرب ، وممنوع على العرب ان يكون لديهم سلاح رادع في معركتهم ضد إسرائيل .

هذه هي استراتيجية الغرب تجاه العرب ، وهم يطبقونها بحزم صارم وبكفاءة عالية . وم منذ الخمسينات عندما بدأ العدوان الثلاثي على مصر ، كانت أول خطوة للعدوان هي تدمير الطائرات المصرية . وفي أول الستينات طاردوا العلماء الألمان في مصر ، وخطفوا بعضهم ، ونسفوا بعضهم بالخطابات الملقومة ، ولم يهدأ لهم بال حتى قضوا تماماً على صناعة الصواريخ المصرية . وفي السبعينات اشيع ان العراق يقيم مفاعلاً نووياً لانتاج القنابل الذرية . وصدرت تصريحات من هنا وهناك ، بعضها ينصح وبعضها ينذر وبعضها يهدد ، حتى كان اليوم المشنوم حين اغارت الطائرات الإسرائيلية على العراق وحولت المفاعل النووي العراقي إلى حفنة من التراب . وكان مصنع الرابطة الليبي هو آخر محاولة للعرب لحماية أنفسهم ، ولكن المحاولة لم تتم واشتعلت النار في المصنع وتحول في النهاية إلى حفنة

رماد . هذه بإختصار هي قصة الصراع العربي الإسرائيلي والتي انتهت كلها بانتصار حاسم للعدو وبهزيمة كاملة للعرب الطيبين . وإذا كان الغرب قد سارع بنفى إشتراكه في أى عمل تخريبى ضد المصنع اللبى ، كما أن العرب سارعوا أيضا بشجب العدوان الغادر فالعبد لله لن يشجب وإن يحتج ، ولكنى فقط سألطم على خدى احتجاجا على خيبة العرب وعلى سذاجتهم . أيام صناعة الصواريخ المصرية كانت حكومة مصر تعلم تمام العلم أن المصانع مستهدفة ، وتعلم أيضا أن إسرائيل لن تترك العلماء الألمان حتى تقتلهم أو تخطفهم ، وبالرغم من ذلك سمحنا لجاسوس إسرائيلى يتخفى فى زى الألمانى بالإقامة فى مصر وإدارة مزرعة للخيل وعقد صلات طيبة مع العلماء الألمان أنفسهم ، ولم يخطر على بال أحد أن هذا الألمانى الاتفاق قد يكون جاسوساً لإسرائيل ، ولم يصدق أحد هذه الحقيقة إلا عندما اعترف الألمانى جاسوس إسرائيل بالحقيقة كاملة ، لكن هذا الاكتشاف جاء بعد فوات الأوان ، وبعد أن كان الجاسوس قد تمكن من تحقيق أغراضه وفقاً عين أحد الخبراء ، وقتل آخر وقطع أطراف ثالث ، وأرشد عن خط سير أحدهم وكان فى رحلة الى ألمانيا فخطفوه وقتلوه ولم يعثر على جثته حتى الآن .

بالنسبة للمفاعل النووى العراقى كان الكل يعلم ان المفاعل مستهدف ، والعلماء الذين يعملون فيه مستهدفون ، وبذلنا أقصى الجهد لحماية المفاعل وحراسة العلماء . فماذا كانت النتيجة ؟ قتل العدو العالم المصرى الدكتور المشد ، وتسفت طائرات إسرائيل المفاعل من الأساس . وإذا كان رد الفعل ؟ شجبنا العدوان الغادر ودعونا الى مؤتمر عالمى للاحتجاج على غدر العدو اللئيم ، وكأنه مفروض فى العدو أن يكون طيباً ومؤدباً وابن ناس ومن اسرة كريمة لا تفعل العيب ولا تنتكر لأخلاق القرية !

وبالرغم من التكرار الذى قيل انه يعلم الحمار ، حدثت مأساة المصنع اللبى . الكل كان متأكداً أن المصنع مستهدف . وقد نصحن العدو فى البداية ثم أئذنا ثم هددنا . وتصورنا نحن بالطبع أن حراستنا مجيدة ويقظتنا شديدة حتى حدثت الوكسة واحترق المصنع اللبى عن آخره . وهكذا أصبح العرب كالرفى الساذج الذى وقع فى قبضة عصابة لصووص فى القاهرة سلبوه كل ما معه من النقود . فحمل قفته على رأسه ومضى فى الشارع يبكى وينتحب ، فإعترض طريقه فرد من العصابة وسأله عما به فحكى له قصته فطيب اللص خاطره ، وقال له لاتحزن سأذهب بك الى الشرطة ، وسأسترد لك النقود على دأير ملهم ، وطلب منه أن يهدأ وأن يسمح دموعه وأن يرفع رأسه ، ثم اعطاه عشرة قروش لكى يشتري علبة سجاير من الدكان وزيادة فى إكرام الرفى الساذج حمل اللص القفة عن الفلاح . وبالطبع عندما عاد الفلاح بعد ان اشترى علبة السجاير لم يجد القفة ولا الأفندى الطيب . وسار الفلاح فى طريقه يلطم على وجهه من شدة الغيظ . فاعترض طريقه عضو آخر فى العصابة ، طيب خطاره هو الآخر ، وهذا من روعة وأمره بأن يسكت



ومسح دموعه ، ووعده بأن يسترد له أمواله حتى آخر ملهم ، وأن يعيد إليه اللقطة بما فيها من خيرات الريف ، ونصح به بأن يخلع جلبابه الصوف الوحيد الذي يملكه ، وأن يتهم العصاية بأنها إستولت على نقوده وقفته وجلبابه ، لكي يكون العقاب شديداً وصارماً ورادعاً ايضاً . وطلب منه ان ينتظره عند باب أحد البيوت لكي يضع الجلباب في الشقة ثم يذهبان معاً الى قسم الشرطة ، وانتظر الفلاح عند الباب ولكن انتظره طال ، واكتشف في النهاية انه سرق مرة ثالثة ، وأن البيت الذي وقف عنده له بابان باب على الشارع وياب في حارة خلفية ، وأن البية صاحب القلب الرحيم حرامى هو الآخر ومن نفس العصاية وأنه اخذ الجلباب الصوف واختفى في الزحام ! وعاد الريفى الساذج الى مسقط الرأس يشجب للصوفى الغادرين !

هل هناك فرق بين العرب وهذا الفلاح الساذج البسيط ؟

لقد ضرب الاعداء الغادرون صناعة الصواريخ فى القاهرة ، ثم دمروا المفاعل النووى فى العراق ، ثم احرقوا المصنع الليبي فى الرابطة . ولم تصنع شيئاً سوى شجب العدوان الغادر وسب المعتدى الاثم . وبالتاكيد سندعوا بإذن الله الى مؤتمر عالمي حيث نشعب فيه شجياً واحتجاجاً على العدوان الغادر والمعتدى الاثيم . والعيد لله يقترح على الجامعة العربية ، من أجل تسهيل عملية الشجب والاستنكار إنشاء وكالة عربية للشجب ، تكون مهمتها تنظيم مؤتمرات الشجب بعد كل عدوان غادر ، واختيار افضل العناصر الشاجبة فى انحاء العالم لحضور هذه المؤتمرات ، وتخصيص جائزة عالمية لاحسن شاجب فى العالم العربى تكون على غرار جائزة نوبل ، ولابأس من تسميتها بجائزة شوجب ! فنحن بالتاكيد فى حاجة الى مثل هذه الاجراءات ، لأن العدو الغادر لن يتخلى عن غدره ، كما اننا بالتاكيد لن نتخلى عن خيبتنا وسذاجتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس . وسنظل كذلك طالما ان مفهوم حماية الامن القومى عند العرب ، هو القبض على أعضاء خلية شيوعية من ثلاثة أعضاء ، لا يستطيعون تحريك شعرة واحدة فى رأس أصلع . أو إعدام جاسوس التقط صوراً فوتوغرافية لشارع نصفه مهدم ونصفه الآخر دكاكين مغلقة بسبب الكساد والبوار !

إن حماية الامن القومى الحقيقى ياسادة هو حماية منشأتنا الحيوية وحماية السلاح الرادع الذى فى أيدينا . ولو كان لدينا هذا المفهوم بمعناه الحقيقى لاحتفظنا بصناعة الصواريخ المصرية ، واحتفظنا بالمفاعل النووى العراقى ، واحتفظنا بمصنع الرابطة الليبي . ولكننا لخيبتنا نعتقد ان حماية الامن القومى هو حماية نظام الحكم وحراسه المفكرين العظام الذين يؤمنون بالنظرية أو الذين ينظرون للوحدة العربية أو الذين يتولون المناصب الرفيعة فى أجهزة الامن !

حبذا لو بدأنا العمل من مصنع الرابطة الليبي فانزلنا العقاب الرادع بكل مسئول عن الامن شغل نفسه بالهافى من الامور والتافه من المسائل ولم يقق الا على

الصفة الذهب الممتدة من داخل المصنع . وحيداً لو غيرنا مفهوم الأمن في بلادنا ووضعنا منشأتنا الحيوية على رأس اهتماماتنا الزمنية ، بدلاً من الانشغال بتعقب معارض مشاكس أو تسجيل مناقشات مثقف مناوئ أو البحث عن منشور تافه كتبه مناضل من إياهم ، أو رصد اجتماع لزعماء حزب الكهرباء ، وما أكثر أحزاب الكهرباء في بلادنا ، لدرجة أن "مناضلاً" مصرياً من إياهم يدعى (ربحى بهلول) سافر الى بلد شقيق منذ فترة بعيدة وحمل معه قائمة بأسماء الوزراء الذين اختارهم لتشكيل الحكومة بعد أن يصبح سيادته هو الرئيس المفدى . والغريب أن البلد الشقيق صدقه وأجرى تعديلاً في القائمة وبعد أن قبض "المناضل" المعلوم سافر الى أوروبا ليناضل بشدة في ملاهى "كان" وفي كازينوهات "نيس" .

صدقنى نحن فى حاجة الى سياسة أمنية جديدة ، سياسة يكون هدفها الوحيد ليس شجب العدوان الغادر ، ولكن منع العدوان الغادر والحيلولة دون وقوعه .

والعبد لله لا يقصد بهذا الكلام بلداً معيناً أو نظاماً بعينه ولكن أقصد الجميع ومن شواطئ طنجة والى غابات الصومال وجبال صنعاء . وهذه هى الوسيلة الوحيدة لكى لا نصبح مثل الريفى الساذج الذى سلبوه نقوده وحرموه من قفته وشلحوه ثيابه ، ثم مضى الى قرية يلطم الخدود حزناً على ما جرى واحتجاجاً على العدو الأثيم وشجباً للعدوان الغادر ، مع أن الغادر الوحيد هو الساذج الذى أتاح للجميع فرصة نهبه وسلبه وتشليحه هدمه فى الطريق العام !

والمهم الآن أن نحدد من هو الساذج العربى الإسرائيلى ، وإذا نجحتم فى تحديده ، فسامحونا على رأى زاهد مطر ، أو اشجبونا !



وفى الصيف
ضيقنا النقط

وخرالم



وإذا كان لسان حال العرب القدامى والصيف ضيعت اللبن، فلسان حال العرب النشامى بتووع هذه الايام «فى الصيف ضيعت النفط» ! ولا أعرف السبب الذى جعل الصيف بالذات هو مضيع العرب قديما وحديثا ؟ ولماذا لا يحدث الضياع إلا لثروة العرب ؟ اللبن الذى هو نفط العرب زمان ، والنفط الذى هو لبن العرب هذه الايام والاغرب أن جميع العرب اشتركوا فى هذا التضضيع ، العرب «التقدميين» والعرب «الرجعيين» والعرب الذين هم «نص نص» ! أو الذين «بين بين» . وعلى رأى عمنا الدكتور طه حسين وبالقائه نظرة على كشف حساب عائدات النفط خلال العشرين عاما الماضية وبميزان المكسب والخسارة . نرى ان الدول «الرجعية» كانت اسعد حظا من الدول التقدمية لأنها انفقت العائدات على إنشاء مدن مزركشة وطرق طويلة .. ثم على امور المتعة والمزاج ولكن الدول التقدمية انفقت العائدات على اصدار مجلات لدعم «الموقف العربى ومؤتمرات لمناقشة التأثير الفوقى للكتاب الأخضر المسخسج فى ثورة داهومى . وعلاقة الفاتح بنتائج كأس الامم الافريقية .. كما ذهبت ملايين وملايين من براميل النفط لإنشاء مراكز ثقافية ومجلات مباحثية - من البحوث وليس من المباحث - وأحزاب للتنوير وأخرى لاعمال الكهرباء وكل نظام تقدمى وآخر راهن باخر قرش من قروش النفط على انه النظام الأمثل والافضل والمؤهّل لحكم العالم وتبارى الجميع فى شراء الذمم والاقلام .. وصار الكتاب هم جوارى العصر النفطى . فهذا كاتب بمذكرات ، وهذا كاتب بأسرار وهذا أرزقى ولكن معه أوراقا سرية ووثائق مستخبية ، وانهايت الكتب المؤلفة عن صقر الصحراء .. و .. اسد البرارى .. و .. رسول من عجمان إلى اخر الكتب المزركشة المكشكشة التى غمرت الاسواق خلال عصر النفط . والمدهش ان أغلب كتاب هذه «الموسوعات» كانوا فى البدء مناضلين ثوريين قضوا فترة طويلة فى السجون قبل ان يفتحوا أمخاخمهم ويهديهم الرزق الى الموقف الثورى الصحيح . وكما شارك النفط فى إحياء حركة التأليف والنشر . ساهم أيضا فى إحياء الشعر العربى بعد ركود وانحطاط وعلى ابواب الدول الرجعية .. كان الامر أسهل

على الشعراء وما على الشاعر الا ان يتوكل على الذى لا ينام ويخبط قصيدة عصماء فى مدح الشيخ الذى مؤان كان الاخير زمانه قلسوف يأتى بالعجيب الالعجب . اما فى الدول التقدمية فقد كان الأمر أكثر صعوبة واشد دقة فليس هناك شيخ ولكن هناك بطل ، ومدح البطل ليس مثل مدح الشيخ ، فالابطال يحتاجون الى محور أوسع تفعيلية مبتكرة والى مدح البطل والثورة والشهر الذى انبثقت فيه الثورة والشعب الذى اختار البطل ورفعته فوق الاعناق .

ولذلك كثرت القصائد الشهرية نسبة الى الشهور . فهناك قصيدة نيسان وقصيدة تشرين وقصيدة تموز وقصيدة الفاتح من سبتمبر والقافل من نوفمبر والطالع من امشير والنازل من طوبة والفاحت من برمهات ، ولأن برمهات هو شهر الخير والروح الغيط وهات . لذلك تهافت كل الشعراء النوريين على شهر برمهات ، و ..

يا أبرمهات .. يا شهر المعجزات
.. والبلح الامهات
وخد وهات ..
والبطل إल्ली جاء .
ليس كالبطل اللى مات .
.. يا برمهات .
يا شهر المعجزات والمنجزات .
ابوك السقا مات !

وكما شارك النفط العربى فى إحياء حركة التأليف والشعر .. شارك ايضا فى البحوث والدراسات فنشأت داخل العالم العربى وخارجه عدة مراكز للبحوث وأخرى للدراسات وتولى أمرها أربزية مدريون ، وتولى عملية البحث فيها «دكاترة» أغلبهم حصل على الدكتوراه من السوق الحرة فى مطارات الدول إياها والبحث حسب الطلب وحسب الأجر . فمثلا .. بحث عن الزعراب وأثره فى ثورة الفاتح بعشرة آلاف دولار وبحث عن «المحمره .. الفرخة والمدينة بسبعة آلاف دولار وبحث من حرب البسوس وشرب العرقسوس وهوية جبال فرطوس .. خمسة عشر ألف دولاره ولأن البحوث أصبحت أكثر من الهم على القلب . فكان لابد من مؤتمرات علمية وعقائدية ومرة فى لندن ومرة فى باريس ومرة فى طنجة . المهم ان يجتمع الشمل وتحدث المناقشة . ومع المناقشة تبدأ المناقشة ؟ وكل شىء بثمانه . شرط أن يكون البحث الرئيسى بذور الاشتراكية ومخلوط أكل الملوخية .. او اسلاك الكهرباء وعواقب الانتماء .. وبعدها تتم عمليات المعقصة ، وخد وهات . ويباغت من نفع واستنفع . ومن أجل الانفع والارفع . أما التحين فبرزقه على الذى يمهل ولا يمهل ، وإذا كانت السجون والمنافى لم تستطع ان تزحج مناظلا من مكانه .. فقد



استطاع النفط ان يزحزح اصلب المناضلين . ويغير مواقع أعند الثوريين ..
ماركس يتحول الى قومي . وقومي يصبح من جماعة الأخوان المسلمين ..
واشتراكي يدخل زمرة الكهريائيين . وشيوعي يضع نفسه فى خدمة الانفتاحيين ..
والنفط هو العصا السحرية التى تحرك الجميع . وتغير المواقع ، وتبدل الخنادق ،
وتجعل من الساحة السياسية على مستوى العالم العربى شيئا أشبه بساحة موائد
سيدى عبد السميع : وإذا كانت السياسة وشغل الثلاث ورفات فى الثقافة قد ظفرت
بنصيب الذئب من عائدات البترول فهناك ابواب أخرى ظفرت بنصيب الاسد .
نوادى القمار التى انتشرت من لندن وحتى لاس فيجاس وفى عام واحد هو علم
١٩٧٩ وصلت ارباح نوادى القمار فى لندن ثمانية مليارات جنيه استرليني لاحظ
انها الارباح فقط ، او بمعنى اخر .. ان هذا المبلغ هو الذى تبقى بعد مصاريف
النوادى ومرتبآت الموظفين والايجارات والضرائب .. اى ان الدخل فى نوادى لندن
وصل على الاقل الى ثلاثين مليار جنيه استرليني . وهو مبلغ كفىل بحل كل مشكل
مصر .. من اول مشكلة المجرى الى مشكلة الاسكان ، وهو كفىل ايضا بأن يجعل
من الصومال التى فتكت بها المجاعة بلدا أرقى من اليونان وأغنى من بلجيكا ..
وهو كفىل ايضا بأن يجعل من موريتانيا بلدا أجمل من النمسا وأصنع - اى أكثر
صناعة - من تايوان ! فإذا علمنا أن مثل هذا المبلغ ضاع فى كازينوهات امريكا ،
ومثله تبدد على موائد كازينوهات فرنسا . وإن نقف طويلا عند المبالغ التى تبددت
فى كازينوهات اسبانيا وسويسرا ولبنان اى ان حوالى ستين مليارا على الاقل
ضاعت فى القمار كل عام . اى ستمائة مليار فى عشر سنين . وهو مبلغ كان كفىلا
بتغيير العالم العربى الى قوة كبرى ليصبح هو القوة العظمى الثالثة وكان من
الممكن ان يكون للعرب اسطول اول فى بحر العرب . واسطول ثان فى البحر
الأحمر ، واسطول ثالث فى البحر الابيض . واسطول رابع فى البحر الاسود ،
واسطول خامس فى المحيط الهندى ، أما الاسطول السادس العربى فيالطبع
سيكون محله المختار فى الخليج ! وكان من الممكن ان يكون لدينا مفاعل نووى فى
فران .. ومفاعل نووى آخر فى نواكشوط ، ومفاعل ثالث فى رأس الخيمة ! اما
محطة إطلاق الصواريخ عابرة القارات فمكانها الطبيعى هو إمارة الشارقة . اما
مركز أبحاث الفضاء فهو فى اسوان ، اما منصة إطلاق سفن الفضاء فهي فى
صنعا . وكان من الممكن ايضا ان يكون لدينا ستة جيوش كبيرة جيش الشرق
ويحمى الخليج والعراق . وجيش الجنوب ويحمى الصحراء الجنوبية والسودان
وجيش الشمال ويحمى حوض البحر الابيض المتوسط . والجيش الثانوى وهو
مستعد لآى حرب فى أى مكان وجيش سادس احتياطى لمواجهة كل الحالات . ولو
سرحنا فى حكاية الممكن وما كان ينبغى ان يكون ، فسنسرح فى مزارع واسعة
للاستهلاك المحلى وللتصدير . وصناعات اشكال واللوان نفرق بها اسواق العالم .
وصحف بكل اللغات موجهة الى كل لسان على ظهر الأرض . وشركة طيران عربية

دولية تغطي الكرة الارضية . ومائة شركة طيران داخلية تربط العرب بعضهم ببعض . وطريق برية من الدار البيضاء الى الرياض ومن الخرطوم الى بغداد . ومن الفيوم الى الغالوجه .. ولكن هاهى الايام مرت والاعوام كرت . وانفض مولد النفط وخرجنا نحن العرب من المولد بلا حمص .. وعدنا او سنعود ياربنا كما خلقتنا . لا نفط ابقينا فى بطن الأرض . ولا فلوسا ابقينا فى بطن البنك . وبالبزغم من ذلك . رغم الوكسة والنكسة لا الكتب السميكة توقفت ولا مراكز الدراسات اياها اغلقت .. ولا شعراء برمهاات اصابهم الوجل او الخجل والنتيجة خسر العرب كل شىء الا القصائد والمجلات والمؤتمرات ومراكز الدراسات واحزاب الكهرياء وياميت ندامة على نفط العرب ضاع بين مزاج العرب الرجعيين ومذاهب العرب التقدميين ، لم يستفد الشعب العربى منه شيئا . انما الذى استفاد هو جماعة الارزقية . زعماء احزاب الكهرياء تجار السياسة وتجار الكلام وهؤلاء بالرغم من غناهم وبلهنية العيش التى يفرقون فيها حتى الاذان لا يزالون يتاجرون مع السياسة والمبادئ فى الملابس القديمة والاحذية المستعملة ويسرحون بها فى السوق مع .. الذمم الخربة والضماائر العفنة ، ولا بأس من التجارة فى كل شىء فقد بارك الله فى التجارة والنجارة ويا شهر برمهاات يا شهر المعجزات والبلح الامهاات وخد وهات والبطل اللى جاء ليس كالبطل اللى مات واه يابرمهاات يا شهر المعجزات والكهرياء .



الحان السماء



الاستاذ الكبير محمد عبد الوهاب سميع قران ليس له مثل واذنه كميزان الجواهرجى لا تخطيء الحساب عند وزن جوهر الصوت وتحفظ قيمته ولو كان واحدا على الف فى الجرام سألت استاذنا عبد الوهاب بمناسبة شهر رمضان المعظم عن المشايخ مقرئى القران زمان والفرق بينهم وبين المشايخ مقرئى القران هذه الايام وبالمناسبة عبد الوهاب كان صديقا للشيخ على محمود . وكان محبا للشيخ مصطفى إسماعيل وهو من المعجبين بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد .

وفى رأى عبد الوهاب ان الشيخ على محمود هو اعظم من لحن التواشيح ووصل بها الى ذرا مرتفعة وقمم شاهقة بالرغم من انه كان يرتجل لحنه حسب حالته الصحية والنفسية واستعداد المستمعين . فمثلا سمعية حى الزمالك ليس لديهم الاستعداد كسمعية حى المديح ، وسمعية حى الحسين ليسو كسمعية حى الروضة . ولذلك - هكذا يقول عبد الوهاب - كان الشيخ على محمود يبدو عاديا فى الزمالك ومحلقا كالنسر فى حى الحسين . ولم يستطع احد من الذين اتوا من بعده ان يبلغ مرتبته أو يرتفع الى مستواه والشيخ محمد رفعت فى رأى عبد الوهاب ليس له نظير على مر الزمان كان صوته صوتا ملائكيا سماويا مشحونا بالتقوى وبالايمان . أما مشايخ هذه الايام فهم جميعا لا باس بهم ، وان كان ليس من بينهم العبرى الذى يمكن ان يخلد اسمه بين العباقرة من المقرئين العظام .

سألت استاذنا محمد عبد الوهاب عن الطبلالوى بالتحديد .. عن مكانة الطبلالوى بين المقرئين وعن رأى عبد الوهاب شخصيا فى صوت الشيخ الطبلالوى وقال عبد الوهاب نبرات صوت الطبلالوى لم اسمع لها مثيلا من قبل ، إنها نبرات نادرة وغريبة وتهز النفوس فى الاعماق ، وأنا استمعت الى الشيخ الطبلالوى - هذا كلام عبد الوهاب - وشعرت باننى اريد ان اصرخ او ابكى او اخرج من هدومى وانطلق هائما على وجهى فى كل اتجاه فهذه النبرات العظيمة اشبه بكنز من الذهب الخام لا يتقصه إلا صائغ عبقرى ليضعه الملوك فوق رؤوسهم .

واتصلت تلفونيا - الكلام لعبد الوهاب ايضا - بمنزل الشيخ الطبلوى واسوء
الحظ لم يكن الشيخ الطبلوى هناك فتركت لهم اسمى ورقم تلفونى ورجوتهم اذا
عاد ان يطلبنى فى التليفون لأمراهام - كان ذلك منذ عام - الكلام لعبد الوهاب
برضه - ولكن يبدو أن الشيخ الطبلوى لشدة انشغاله وكثرة سفرياته لم يعد الى
المنزل حتى الآن . انتهى كلام استاذنا عبد الوهاب .. ويبدأ الآن كلام اخوكم
الفقيه الى الله محمود السعدنى .

فانا يشهد الله من المعجبين بالشيخ الطبلوى وأنا لم اشهد بداية شهرته فى
القاهرة لاننى كنت سارحا فى الخارج كالغراب النوحى هاربا من بلد الى بلد .
وعندما استمعت اليه فى الاذاعة المصرية اول مرة وأنا فى بغداد ، بكيت فقد كان
صوته اشبه بشلال من عصير احزان الشعب المصرى . وكنت اتسامل دائما لماذا
لم يرتفع الشيخ الطبلوى الى الذروة التى كان ينبغي ان يتبوأها ؟ ولماذا لم يشق
طريقه الى المكانة التى يستحقها . لقد اجاب الاستاذ عبد الوهاب على سؤالى ،
اتصل بالشيخ الطبلوى ليرشده الى الطريق الصحيح ولكن الشيخ الطبلوى لم
يكلف نفسه عناء الاتصال بعيد الوهاب وأنا لا اعرف احدا اكبر حجما على امتداد
الوطن العربى من محمد عبد الوهاب ، نعم هو اكبر الفنانين حجما واطولهم قامة
واكثرهم عطاء واخلداهم على المدى القصير والطويل .. وهو بلا شك اخذ من توفيق
الحكيم ومن الشاعر مهدي الجواهري .. واثره اعظم من الرواى نجيب محفوظ
والسبب ان هؤلاء الشعراء والروائيين اثروا فى جزء من الأمة . هو الجزء
الذى يعرف كيف يقرأ وكيف يكتب . اما عبد الوهاب فقد وصل تأثيره الى الجميع ،
من اول ستى بهانة الى خالتي ام عبد الحفيظ الى جدى الشيخ خليل ، الكل استمع
الى عبد الوهاب والكل تأثر به والجميع احبوه ، ولذلك لم تنتابنى الدهشة عندما
جلست اربع ساعات فى خيمة امير عربى مضروبة على مشارف الصحراء ، ولم
يكن معنا إلا مجموعة من البدو ، وكان محور الحديث هو محمد عبد الوهاب . ولم
اندشأ ايضا حين سهرت ليلة باكملها فى قهوة بلدى بساحة المرجة بدمشق مع
اديب سورى لامع هو اديب نحوى وعشرات من ابناء الشام الطيبين . وكان
الحديث كله عن محمد عبد الوهاب ، وحتى فى جبال البرد وفى بلد خنيفة فى سفح
جبال الاطلس سألنى كل من التقيت بهم عن محمد عبد الوهاب ، حتى فى شمال
العراق وفى قرية كردية اسمها بامرني كانت السهرة كلها حول عبد الوهاب ومن
حسن حظى اننى تعرفت على عبد الوهاب فى صدر شبابه وكان كامل الشناوى هو
قناتى اليه واذكر اننى كنت أجن فى اول لقاء بمحمد عبد الوهاب . فقد وجدت
نفسى فجأة امام ولد مصرى ابن بلد من ابناء باب الشعرية ، ولا يزال رغم المجد
والشهرة يتصرف كما كان يفعل اثناء اقامته فى حارة سيدى الشعراتى عليه
رضوان الله واحببت محمد عبد الوهاب واكثرته وتأكدت يومها من صحة المعلولة
الفنية التى تقول بان العظمة هى البساطة والشموخ هو التواضع واكتشفت ايضا

ان عبد الوهاب لانه فنان حقيقى فهو يحب فنه ويحب ايضا فن الآخرين . ومن اجل هذا اهتم عبد الوهاب بعد ان استمع الى صوت الشيخ الطبلالوى فسارع بالاتصال به تليفونيا ولكن لسوء حظنا وحظ الشيخ الطبلالوى لم يكن الاخير موجودا بالبيت لحظة الاتصال . ولان عبد الوهاب فنان طيب فقد ترك رقم تليفونه واسمه للشيخ الطبلالوى ولكن الشيخ الطبلالوى لم يعد للمنزل منذ عام ، ويصبح حظنا سيئا فعلا لو ظل الشيخ الطبلالوى بعيدا عن بيته حتى نموت . وسألنى عبد الوهاب تفتكر ليه ما تصلش بيه ؟ واجبت له ظن ان لديك ماتما وتريده للقراءة هناك بالمجان ! مسكين الشيخ الطبلالوى لم يستطع اغتنام الفرصة التى جاءت اليه وتركها ثقلت من بين يديه ، لو انه كلف خاطره واتصل بمحمد عبد الوهاب ، فربما كنا نعيش الان عصر الطبلالوى ولكن يبدو ان الطبلالوى لفرط تواضعه ولعظيم ثقافته . اثر ان يعيش مثلنا فى عصر محمد عبد الوهاب !

ولولا وجود الشيخ الطبلالوى فى الوقت الحاضر ، لقلنا ان دولة التلاوة صارت الى زوال . فهو الوحيد من بين جميع المقرئين الذى لصوته سحنة خاصة وبصمة معروفة . فهو الموهوب الوحيد وغيره متشابهون . ولكن عيب الطبلالوى انه عظيم الموهبة قليل الصنعة ، كما ان صلته بالنغم محدودة ، وهو لم يتعلم شيئا من فنون الالخان ، ويبدو انه لن يتعلم لانه لا يريد . ولعل هذا هو السبب فى تراجع مستواه . ولكن هناك بين المقرئين من يتفوق فى الصنعة رغم تواضع مواهبه . من هؤلاء الشيخ السيسى والشيخ حصان - بتشديد الصاد - فهو فنان وان كان صوته عاديا ، والشيخ مصطفى غلوش والشيخ منصور والشيخ الصياد والشيخ عمران .

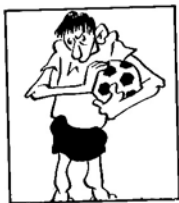
وهذا الكلام ليس من عندى ، ولكنه رأى اسطورة الانغام والالخان فى هذا القرن محمد عبد الوهاب ، فهو سميع قرآن من الطراز الاول ، ورأيه ان الموسيقى هى حرفة « الفقهاء » وان سيد درويش وزكريا احمد وعلى محمود ومحمد الفيومى وسلامة حجازى وام كلثوم وعبد الوهاب نفسه أصلهم (فقهاء) جمع فقى . ويحذر عمنا الكبير محمد عبد الوهاب من خطر اندثار هذا الفن السماوى العظيم بسبب اختفاء المواهب ، حتى انه لم يعد فى الساحة إلا صوت واحد ، هو الآخر على وشك المغيب .

ويقول عبد الوهاب ان مهمة اذاعة القرآن الكريم هى البحث عن اصوات جديدة فى ريف مصر وفى جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، ويقول عبد الوهاب ان هناك ظاهرة خطيرة وهى ان كل الاصوات التى ظهرت فى مصر خلال العشرين سنة الاخيرة غير متميزة ، والكل متشابهون حتى يمكن اعتبارها كلها صوت واحد . ومصر كان لديها فى وقت مضى عشرة اصوات على الاقل متميزة لكل منها لون فريد . من أول محمد رفعت الى الشعشاى الى زاهر الى محمد سلامة الى على محمود الى مصطفى اسماعيل الى سليمان العدنى الى السنديونى الى الشامى

الدمنهورى الى الصيفى الى عبدالباسط يرحمهم الله .

على أية حال ، أعود فأقول ان دولة التلاوة كغيرها ، يوجد هناك معجبون لكل لون ، وفى حقل الغناء مثلا ، سنجد من يعجب بأم كلثوم ، وسنجد أيضا من يعجب بأم سحلول ! وفى دنيا الشعر سنجد من يهتز طربا بأشعار أحمد شوقي ، وستجد من ينتشى بقصيدة أحمد شلبى . وفى الأدب .. هناك معجبون بأدب نجيب محفوظ ، كما ان هناك دراويش لأدب نجيب محروس !

وفى دنيا التلاوة ، لا أعلن ان هناك خلافا حول عبقرية صوت الشيخ محمد رفعت ، أو عظمة صوت الشيخ مصطفى اسماعيل ، أو حلاوة صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد . وكما ان الاصوات مختلفة ، فالأذان أيضا تختلف . ذلك لأن الحياة مختلفة والناس والأذواق أيضا . وفى الأرض قطع متجاورات ، صنوان وغير صنوان ، وايضا لأن الدنيا حظوظ .. ومزاجات !



وضاعت فرصة
العمر



وياميت ندامة على اللي حب ولا طالش ! على رأى المرحوم عمر الجيزاوى . وهو بالتاكيد (لا طالشى) لأنه اخطأ التوقيت أو اخطأ التعبير ، أو اخطأ الاثنين معا ، ففاته الفرصة ولا طالشى ! وفى الاسبوع الماضى شعرت بأننى فى حاجة ماسة الى عمر الجيزاوى ليعيد ترديد اغنيته المشهورة ولكن فى موقف آخر لا علاقة له بالحب ، وان كانت النتيجة واحدة فى الحالتين .. لا طالشى ! لقد فات العرب فى الايام الاخيرة فرصة العمر ، على رأى محمد لطيف ، عندما وقفوا يتفرجون على المعركة التى دارت بين حسنى مبارك والإدارة الامريكية بعد اجبار الطائرة المدنية المصرية على الهبوط فى قاعدة حربية تابعة لحلف الاطلسي . كان واضحا للعالم كله بان غضب حسنى مبارك بلا حدود ، وبدا واضحا ايضا انه لم يكن يتوقع مثل هذا الاجراء الصيبنانى من جانب اكبر دولة على ظهر الأرض ، وضاعف من غضبه انه ربط بين وضع مصر الاقتصادى وبين ترف امريكا العدوانى ، واللامبالي ايضا . وفى هذه اللحظات بالذات ، لحظة المواجهة بين غضب مبارك لكرامة الشعب المصرى واستهتار امريكا بكل شىء ، حانت فرصة العمر امام العرب ليثبتوا جميعا انهم بالفعل عرب ، وانهم جميعا مستهدفين ، الاثرياء منهم والفقراء ، الاقوياء منهم والضعفاء ، المتطرفون منهم والمؤمنون الذين يمشون على الصراط . ولا أدرى لماذا تصورت لحظة رأيت مبارك يغلى بالغضب على شاشات التليفزيون بأن العرب سينتهزون فرصة العمر وسيبادرون الى اداء واجبهم كما ينبغي للعرب ان يؤدوه ؟ لا أدرى لماذا تصورت ؟ وربما تصورت ما تصورته بسبب جهلى أو غيائى أو سذاجتى أو للأسباب الثلاثة . اقول تصورت ان العرب سينتهزون فرصة العمر ، وسيجتمع العرب كما اجتمعوا فى مؤتمر بغداد وسيدفعون ثمن القمح الذى تستهلكه مصر لمدة عام ، وسيفتحون لمصر اعتمادا سائلا فى البنك بنصف مليار دولار ، تتصرف فيه مصر حسب احتياجاتها وتبعا لظروفها والحسبة كلها لا تتعدى المليار دولار . يتفق اضعاف اضعافا العرب الاثرياء فى نوادى لندن ، ويتفقون اضعاف اضعافا العرب النص النص فى

حمامات كوريا وتاييلاند وبلاد تركب الافيال وآه لو اغتتم العرب الفرصة ، آه لو فعل
 العرب هذا الذى تصورته ، انن لسندوا ظهر حسنى مبارك وصلبوا قامة الشعب
 المصرى . وربما كانت هذه اللحظة هى بداية الطريق لعودة مصر للعرب وعودة
 العرب لمصر . ولكن الغريب ان الجميع عمل طناش ! والكل اكتفى بكلمات الشجب
 كلهم بلا استثناء العرب اصحاب العقائد والعرب اصحاب المزاج ! لم يخرج عن
 القاعدة الا الجماهيرية العربية الوندوية المهلبية فلم تدفع ولم تشجب وربما
 شجبت مصر ومنظمة التحرير وابناء عدنان اجمعين ! والعبد لله والحمد لله مؤمن
 بالعروبة وبالعرب ، ويعتقد انه لا خلاص لنا الا بوطن عربى واحد ، او بولايات
 عربية متعددة ، او على الاقل بتنسيق بين كل الاقطار فى المسائل الاقتصادية
 والعسكرية فاذا لم نستطع فبتكامل او بتكافل او بتعاون او بتضامن ، الى آخر هذه
 المسميات ، فاذا لم نستطع بنا الشهامة او النخوة الى آخر هذه الصفات التى
 وردت فى ديوان الحماس وربما عن طريق الخطأ ، وهذا اضعف الايمان ! والعبد
 لله والحمد لله مع العرب بالقول وبالفعل وبالاشارة وبالقلم . والعبد لله والحمد لله
 لحظة الخلاف بين نظام السادات والعرب ، اخترت جانب العرب . وكنت ولازلت
 وسأظل مؤمنا بان مصر بالعرب تختلف كثيرا عن مصر بلا عرب ، كما ان العرب
 بمصر يختلفون كثيرا عن العرب بلا مصر . والعبد لله يؤمن ايضا بأن خطة الاعداء
 جميعا تتلخص فى مواجهة مصر بدون عرب ومواجهة العرب بدون مصر . فما بالك
 اذا كانت الامور انتهت الى شىء لم يخطر على بال العدو ولم يفكر فيه ايضا لقد
 اكتشفت فجأة انه يواجه مصر بلا عرب ، ويواجه العرب بلا مصر . فقد تحول
 العرب الى الف عرب عرب النفط وعرب الماء وعرب تقدميون وعرب رجعيين عرب
 يكتب وعرب بنظريات وعرب اجياع وعرب باحزاب وعرب بجماهير وعرب مع
 الامريكان وعرب مع الفرس وعرب مع الروس وعرب ميليشيات وعرب يطلبون
 الستر !! واعتقد ايضا اننى وقد ربطت مصيرى بالعرب فلا بأس من توجيه العتاب
 للعرب ، لان فرصة العمر قد ضاعت من ايديهم عندما احتدم الخلاف بين حسنى
 مبارك والإدارة الامريكية ، واعتمدت الإدارة الامريكية فى حساباتها على ان
 المحتاج لا يستطيع الاحتجاج واذا احتج الصوت واذا استطاع ان يصرخ فلن
 يتعدى حدود الصراخ ويبدو ان امريكا تعلم عنا أكثر مما نعلم لاننى بجهلى او
 لغبائى او لسذاجتى اتصور ان العرب سيهرعون لمساعدة مصر ، وسيسارعون
 لدعم مصر . اذا لم يكن من باب المصلحة الشخصية ، فمن باب العروبة باعتبارنا
 جميعا من صلب عدنان ، فاذا لم يكن من باب العروبة فمن باب الإسلام ، باعتبار
 ان الرسول صلوات الله عليه اوصى على سابع جار ! ومصر ليست هى الجار
 السايح ، ولكنها جزء من الجسد العربى ، وهى بالتحديد وبالتأكيد فى موقع
 القلب . ولعلنى لا ابالغ إذا قلت ان سبب كل المتاعب والمصائب التى حطت على
 رأس الأمة العربية سببها الحقيقى ان القلب يشعر بالارهاق لانه ثبت بالدليل
 القاطع وعلى مر التاريخ ان العرب فى خير طالما ان مصر العربية فى خير . ولن

العرب فى انحسار طالما ان مصر العربية تعاني من المشاكل والمصاعب وسوء الحال .

على ان مصر بكل صراحة ويدون تواضع هى الاخ الاكبر الذى قطع تعليمه واشتغل موظفا فى ارشيف وزارة الاوقاف لكى يرعى اخوته الصغار واكتفى ببيلة واحدة ووجبة واحدة وغرفة واحدة ، وظل يرعى اخوته حتى اكملوا تعليمهم وحصلوا على شهاداتهم ووصلوا الى أعلى المناصب والدرجات ثم حدث بعد هذا العمر الطويل من الصبر والتضحيات ان جاء الدائن فخطف طربوش الاخ الاكبر امام الاهل والجيران ، فهل يليق بالاخوة الذى فتح الله عليهم ان يلزموا الصمت !

او يكتفوا ببرقيات الشجب والاحتجاج صدقونى أنا فى حيرة من امرى اكاد الطم خدودى ببرطوشة قديمة من هول ما حدث فى الاسابيع القليلة الماضية . وحيرتى ليس سببها الموقف الأمريكى فأمريكا دولة قوية ومفترية وهى تعامل الآخرين باعتبارهم عساكر فى حرس السلطان وهى ليست فريدة فى تصرفها ولكن هكذا كانت الدول القوية المفترية على مر الزمان .

فليس فى السياسة الدولية علاقات صداقة ومحبة ولكن مصلحة الدولة الاقوى أولا وثانيا وأخيرا ، حتى ولو كان الثمن عشرات الدول الصغيرة وملايين الناس الطيبين ، ولكن حيرتى وهى وغمى وبؤسى الشديد كان موقف الاخوة العرب جميعا ، أثرياء وفقراء متطرفين وحكماء أصحاب نظريات وأصحاب مزاج ! ولا ادرى لماذا تذكرت قول الشاعر القديم ولعلنا الكبير المتنبى الذى قال : " وظلم ذوى القربى أشد على النفس من ضرب الحسام المهند " . ولعلنا المتنبى قال هذا البيت لتصوير حالة مشابهة ، ربما ذات يوم من تلك الايام خطف الروم قافلة جمال لسيف الدولة ولم تسرع كتائب العرب النشامى لنجدة سيف الدولة ! ربما كان هذا سبب حزن المتنبى . كما انه سبب حزن العبد لله الذى من حقه الآن ان يحمل لقب المتغيبى من الغياء والعياذ بالله ! ولا اعتقد ان هناك أكثر غباء منى حين تصورت ان العرب النشامى سيقومون بهجوم عزم على البنك المركزى الدولى ليودعوا باسم مصر نصف مليار دولار ثمن قمح لمدة عام ، ونصف مليار دولار مصروف يد لحكومة مصر لمدة عامين لكى يسندوا ظهر أخيهام مبارك ويشدوا من قامة شقيقتهم الكبرى مصر . وربما لو حدث هذا ما كنا فى حاجة الى لجان لتتقى الاجواء العربية . ولربما وجدت مصر نفسها خارج كامب ديفيد وخارج كامب ريجان ولكن وأسفاه على أمة عدنان ، اكتفت ببرقيات الشجب ومقالات الاستنكار !!

وضاعت فرصة العمر من أيدينا .. ياولداه !!



مسأله فيما
نظير!

لم يظهر على وجه الأرض منذ دولة الملك "حنكوش" أقوى ولا أعظم ولا أغنى ولا أعتى من دولة الولايات المتحدة الأمريكية ! ولم يحدث فى تاريخ البشرية أن اجتمع لرجل واحد - وهو الرئيس الأمريكى - كل هذا الثراء القومى ، والباس الوطنى ، والمقام السامى على مستوى الكون ! ولذلك فخطوات الولايات المتحدة لابد وأن تكون محسوبة ، وكلمات الرئيس الأمريكى ولا بد أن تكون موزونة ! وهى حكمة إلهية ، لأن أى خطأ ترتكبه حكومة كوستاريكا ، سيكون وبالاً على كوستاريكا نفسها . أما الخطأ الأمريكى فياداهية دقى على الدنيا وما فيها ! وإذا كان الرئيس الأمريكى فى عرف البروتوكول شأنه شأن الرئيس الكوستاريكى ، فكلاهما يلقب بصاحب الفخامة وكلاهما تفرش له السجاجيد الحمر ، وكلاهما تعزف له موسيقات الجيش أناشيد الترحيب ! ولكن بعيداً عن البروتوكول وقيوده ، فالرئيس الأمريكى يختلف تمام الاختلاف عن أى رئيس على ظهر الأرض . فهو رئيس أكبر دولة ورئيس أقوى قوة وتحت يده مفاتيح السلام والحرب ! وكلام الرئيس الأمريكى هو رئيس الكلام ، وفرحه هو فرح الكل . وغضبه ينبغى أن يحسب له الجميع كل حساب ! ولولا رحمة الله ، وانتشار المدنية والحضارة وبشائر القرن الواحد والعشرين ، لكانت حدود دولة أمريكا تمتد من كاليفورنيا الى كاليديونيا ، ومن نيفادا الى كوم حمادة ! لانه اذا كانت دولة فى حجم الكف مثل بريطانيا ، استطاعت ان تحكم كل العالم ، فما بالك بالولايات المتحدة ، وبريطانيا بالنسبة لها ، كما فريق مدغشقر بالنسبة لفريق البرازيل ! ولكن وبرغم انتشار الحضارة ، وازدياد الوعى ، ونسائم القرن الواحد والعشرين ، فان الرئيس الأمريكى يبقى له وضع خاص . فهو اذا تكلم .. فالكلام بميزان الذهب ، واذا تحرك .. فخطوته بحساب الكمبيوتر . واذا ابتسم فهو خير للبشر واذا ضحك فعلى الأرض السلام ، واذا ابتهج قبالناس المسرة ! اما اذا حدث والعياذ بالله وغضب .. فياداهية دقى ، واذا هدد فهو نهار اسود من الكحل ، واذا ارعد فيا خراب بيت كل دابة على هذه الأرض ! ولذلك .. استمعت الى خطابه الاخير الخطير بشغف عظيم وباهتمام اعظم . وسرني ان الرئيس الأمريكى رغم ضخامة مسؤولياته ، وعظيم مشغولياته ، وبرغم المنصب

الخطير والوضع الحساس .. الا انه كان صريحا الى اقصى حد ومباشرا بشكل حاد ومفتوحا على نحو واضح .. وعلى بلاطة . وسمى الدول الإرهابية التي تعتشش على ظهر المعمورة ، ولاته رئيس اقوى دولة عرفها تاريخ البشر ، فقد اختار من - باب العدل - دولة في كل قارة من قارات الدول الغلبانة . فاختر ايران من آسيا ، وليبيا من افريقيا ، ونيكاراجوا من امريكا السمراء ! ولم يخف الرئيس الامريكى شيئا ، ولم يجمال احدا ، وكيف له ان يجمال ؟ وهو الرئيس الاقوى والاكبر والاعظم على ظهر الأرض !! والحق اقول اننى مع الرئيس الامريكى فيما ذهب اليه . ومن حقه ان يغضب وان يثور وان يحتج ! ومن حقه ايضا ان يهاجم أوكار الإرهاب بالكلام ، ولا بأس من الهجوم عليها بطوابير القذبات واسراب الطيارات وجحافل جنود المظلات . العيب الوحيد فى خطاب الرئيس الامريكى هو اهتمامه الشديد بالإرهاب البسيط وتجاهله للإرهاب المركب وسفرت أسماء بعض الدول - سهوا - من خطابه التاريخى العظيم . وهذا الخطأ يمكن تداركه اذا اعاد الرئيس الامريكى قراءة خطابه مرة اخرى على مهل فسيجد حتما أسماء فات عليه ذكرها فى الخطاب . اما اذا كان الخطاب لم يتعرض اصلا لهذه "الدول الإرهابية" ، فهي كارثة عظيمة ، ويكون الرئيس الامريكى فى معزل عن الحقائق ، وبعيدا عن متناول المعلومات وتكون الاجهزة الامريكية متأمرة وتدس على الرئيس الامريكى معلومات خاطئة ، وتقارير مكذوبة ، ومن شأن خطأ مثل هذا تدمير كوكب الأرض ، وإبادة كل اثر للحياة ، وباعتبارى من انصار الرئيس الامريكى ، ومعجب بالنموذج الامريكى وحريص على الحضور الامريكى لذلك .. اقول للرئيس الامريكى حسنا فعلت ياسيدى الرئيس ، فان خطف طائرة عمل إرهابى يستحق العقاب ، وتعذيب الرهائن عمل ردىء وذنء يستحق مرتكبه التعليق على شجرة ! ولكن ما رأيك - ياسيدى الرئيس الامريكى - دام فضلك فى حادث خطف وطن ؟ وما رأيك فى تعذيب شعب ؟ وما هو عقاب من يرسل جيشه لغزو اراضى دولة لم تعلن الحرب ؟ ولست لا سمح الله ضد توقيع العقاب على ليبيا أو كوبا أو ايران . ولكنى فقط اطلب عقاب الكل . اما توقيع العقاب على من يهدد الناس بمسدس ، وتكريم من يهدد الناس باساطيل سارحة ، وجيوش قارصة ، وقنابل نووية ماسحة ، فهو اجراء لن يحقق اى عدل ، ولن ينشر اى سلام . لان تكريم إسرائيل بعد غزو لبنان ، سيجعل لبنان يفكر فى حماية نفسه بطريقته الخاصة . وخطف هضبة الجولان ، سيجعل خطف طائرة يبدو .. كاضعف الايمان ! وتعذيب شعب فلسطين كله يهون الى جانبه تعذيب مائة رهينة من ركاب الطائرات . واحتلال سفارة عمل هين الى جانب احتلال اراضى الغير ! اننى ياسيدى الرئيس الامريكى اتوسل اليك ان تحقق العدل بين الجميع ، وأن تقف فى وجه كل الإرهابيين وهناك دولة فى آسيا تتحدى العالم كله وتتحدى الامم المتحدة وتتحدى الولايات المتحدة نفسها ، ومع ذلك لم تذكرها فى خطابك التاريخى الهام ياسيدى الرئيس . وأنا أخشى ان تكون الاجهزة قد اخفت عنك



الحقيقة وأخاف أن تكون هذه الأجهزة على علاقة بدولة الإرهاب .. إسرائيل !
وزيادة فى المعلومات ياسيدى الرئيس ، اقول لك أن هذه الدولة خطفت وطننا هو
فلسطين وخطفت شعبا هو شعب فلسطين ولم تقنع بذلك . ولكنها خطفت هضبة
الجلان من سوريا ، وخطفت الجنوب من لبنان ، وخطفت طابا من مصر ، وخطفت
الوف من شعب لبنان وسجنتهم فى سجن عتليت وضربت المفاعل العراقى مع أنه
للاغراض السلمية وقتلت كل عالم غربى اتصل بالعرب . ومع ذلك لم يغضب رئيس
امريكى واحد ، ولم يحتج رسمى امريكى واحد ، وحتى خطابك التاريخى الاخير ،
سيدى الرئيس .. خلا من اى اشارة الى دولة الإرهاب الكبرى .. إسرائيل ! وفى
افريقيا دولة إرهابية اخرى على نفس المستوى وبنفس القدر ، وهى دولة جنوب
افريقيا . وهى ستخطف وطناً بشعبه ، وتحفظ بالجميع رهائن على مشهد من
العالم كله وبدون حياة ولا خوف ! وهى تعريد ضد جيرانها ، وتدمر كل ما حولها ،
وتغزو اراضى غيرها . ومع ذلك تمضى اعمالها الإرهابية بدون حساب او عقاب .
ولقد توقعت ياسيدى الرئيس أن اقرا اسمها فى كشف الدول الإرهابية ، ولكنى
صدمت لان الكشف خلا منها ومن دول غيرها . ولذلك أخشى ياسيدى الرئيس أن
يمر خطابك ولا يترك أثرا وأخاف أن تشتد موجة الإرهاب اذا ثبت للبعض أن بعض
الإرهاب يمر من وراء ظهر الرئيس الامريكى أو اذا تصور البعض أن هناك إرهابا
مرفوضا ، وإرهابا لا بأس عليه ! لقد كان موقفك الاخير ياسيدى الرئيس فرصة
لكى نتخلص من الإرهاب كله مرة واحدة ، وأخشى اذا مرت هذه الفرصة أن نفرق
جميعا فى بحر الإرهاب ! تعال ياسيدى الرئيس وسنمشى خلفك جميعا لندمر أوكار
الإرهاب فى كل مكان . ولنبدأ بالأهم فالهم تعال ندمر أوكار الإرهاب فى إسرائيل ،
وقواعد الإرهاب فى جنوب افريقيا . وعندئذ سنمشى خلفك لتدمير ما شئت فى ليبيا
وفى ايران . اما الاحتجاج على خطف طائفة والغضب من تعذيب رهائن ثم السكوت
على خطف وطن وغض الطرف عن تعذيب شعب ، فهى مسألة مربية وأخشى أن
تكون سببا فى ازدياد نار الإرهاب فى كل مكان . وهو ايضا موقف لا يليق بالرئيس
الامريكى ، ويجعله فى مستوى الرئيس الكوستاريكى تفرش له السجاجيد الحمر ،
وتعزف له موسيقىات الجيش اناشيد الترحيب ! وعفوا سيدى الرئيس الامريكى اذا
سولت لى نفسى أن اخاطبك مباشرة بهذه الكلمات وعرى اننى مواطن يؤمن بالعالم
الحر ، واعتقد حتى هذه اللحظة أنه عالم حر ، لأن رئيس اكبر دولة فيه يسعى
لتحقيق حرية الجميع . اما اذا كان للكلمة تفسير آخر ، وأن تكون الامور سائرة عن
طريق الشاعر اياه الذى قال "قتل امرئ فى غابة مسألة لا تغتفر ، وقتل شعب
كامل مسألة فيها نظر" اذا كانت المسائل تجرى على هذا النحو ، فقل على الارض
الدمار ، وبالناس الحسرة ، وعلى الجميع العفاء ..



الله عليك
يا عيسى !



عودة العبد لله الى مصر المحروسة ، بعد زيارة استغرقت ثلاثة أسابيع .
للعاصمة البريطانية لندن ، قضيت أغلبها أمام جهاز التلفزيون ، منذ عودة اخيكم
العبد الفقير لله ، وأنا حزين حزن غرائب الابل ، تعيش تعاسة الكسعى بعد ان
تهور ورمى يمين الطلاق على زوجته نوار ، هفتان كعيان من كفر شنشور خارج من
مستشفى قصر العيني ومحتاج الى فرخة تسند قلبه ، أو هبرة لحمة تصلب عوده
وتقيم ظهره ! والسبب وراء هذه التعاسة وهذا الحزن والهفتان هو جهاز التلفزيون
البريطانى اللعين ، الذى اصابنى بعقدة ، ربما لا استطيع ولا امل فى الشفاء منها
على الاطلاق ، فهذا التلفزيون البريطانى الجثة لم يستقد شيئاً على الاطلاق من
غلسفة ، او فلسفة الاخ العبقري صفوت الشريف ، وهى خيبة طبعاً بالعربية ان
يعيش التلفزيون البريطانى فى عصر الشريف ولا يتلمذ عليه ، ولا يتأثر
بتعاليمه ، ولا يسير على دربه ، وهو درب طويل اطول من طابور الجمعية ، وعريض
اعرض من السمك البلطى ! فمثلاً .. بالرغم من جلوسى أمام التلفزيون البريطانى
كل هذا الوقت ، لم اشاهد اى مسلسل للمؤلف ثروت اباظة ، كما ان مباريات
الكورة لا تذاع مع صوت المعلق عفت بتاع ياسالام ! والاكاد ان البرامج الثقافية
لا وجود فيها للست سميحة غالب التى تصر فى كل برنامج ، حتى ولو كان عن
جوائز نوبل فى الادب ، على ان الشعر العامودى هو الاستثناء الاكبر من أجل
الشعور بالخطر فى سبيل الشنكحور عبده !! والمصيبة الاكبر ان المتحدثين فى
تلفزيون لندن ، وفى برامج الثقافة بالذات يتكلمون على حريتهم ويتناقشون دون
تدخل من المذيع ، بينما المتكلم فى برنامج الست سميحة نهار أبوه أنزق لواحول
فتح بقه ، وواقعه سودة لو شرع فى اى كلام . فالكلام للمذيع أو للمذيعه فى
تلفزيون القاهرة ، أما الضيوف فهم مجرد ديكور لكى تأخذ المذيعه حظها فى
الكلام والانسجام ، ولكن كل هذا كوم وما لمست بنفسى كوم آخر . تصوروا ..
القناة الاولى فى تلفزيون لندن قناة حكومية .. ولكن سوء التخطيط فى قناة لندن
الحكومية جعل القناة سداح مداح ، فأخبار الحكومة البريطانية تذاع فى نهاية
النشرة ، وأحياناً تنتهى النشرة ولا حس ولا خبر عن السيدة تاتشر ، ورئيس حزب

العمال المعارض يظهر كثيرا على هذه القناة بالذات ، ويبدو ان هذه القناة بالذات يعمل فيها عدد من اعضاء الطابور الخامس ، والدليل على ذلك اننى لم اشاهد مرة واحدة السيد وزير العدل البريطانى وهو يفتح محكمة واتقود الابتدائية ، كما اننى لم اشاهد سعادة محافظ ليفربول وهو يوزع شهادات التقدير لمستأجرى المساكن الشعبية ، كما تجاهل التلفزيون البريطانى تماما جولات الدكتور وزير الزراعة البريطانى ، وهو يتفقد الصوبات الجديدة لانتاج الفجل الورود !! وليت الامر توقف عند هذا الحد ولكن تصورا ، حدث ان طارت مدام تانتشر رئيسة الوزراء الى امريكا للاجتماع بالرئيس ريجان ، ومع ان اجتماع القمة تم فى ظروف خطيرة ، الا ان التلفزيون البريطانى التزم الصمت ، وتصورت ان السبب ربما يكون تعليمات صدرت من السيد وزير الإعلام البريطانى باعتبار ان اللقاء بين العملاقين من اسرار الدولة ، ولكنى اكتشفت ان خيبتى ليست على حد ، اولان الخبر اذيع فى ذيل نشرة المساء ، وصورة الرئيسين فى اثناء الاجتماع ظهرت لعدة ثوانى فقط لا غير ، ثم اكتشفت ايضا - لخيبتى - ان بريطانيا بجلالة قدرها ليست فيها وزير إعلام ، وهو دليل جديد على تأخر هذه الدولة التى كانت تحكم اغلب مناطق العالم حتى عهد قريب ! ولعل هذا السبب - غياب وزير الإعلام - هو الذى جعل من التلفزيون البريطانى شيئا اشبه بسوق الثلاثاء ، فالجهاز يستقبل الجميع ، حكومة ومعارضين وناس على الحياد ، وتشتم المعارضة الحكومة ولكن الارسال لا ينقطع والسبب ان الحكومة ترى ان التلفزيون هو مكان للهووة ، اما ميدان النزال الحقيقى فهو صناديق الانتخاب ، ومادامت الحكومة تهزم ، المعارضة فى صناديق الانتخاب فلا بأس ولا غبار اذا هوهوت المعارضة فى جهاز التلفزيون ، وجلسات مجلس العموم البريطانى ممنوع تصويرها تلفزيونيا ، ولذلك يكتفون بإذاعة فقرات بأصوات بعض المتحدثين ، اخر مرة اذاعوا فقرات من خطاب رئيسة الوزراء بينما نواب المعارضة يغلوشون عليها على طريق طلاب المدارس ومع ذلك لم يحتج احد ولم يغضب احد ويبدو ان هذه الامبراطورية المتهاكمة لا تعرف العيب وليس لديها اخلاق قرية ! وثالثة الاثافي فى تلفزيون لندن ، ان لديهم قانونا يمنع اى عضو فى هيئة الاشراف على الإذاعة ، او التلفزيون من التاليف لهذه الاجهزة طالما انه عضو فى هذه الهيئة حتى ولو كان العضو هو برناردشو شخصيا ، بينما عندنا ، ولاننا نحترم الكفاءات ، وتقدر المواهب ، ما ان يصبح الواحد من دول عضوا فى المجلس الاعلى او المجلس الاوطى ، الا وهات ياتاليف مسلسلات او سهرات ، او على الاقل اغنيات ، ومن اقدر على التاليف من عضو المجلس الاعلى ؟ واحسن ما يؤلف واحد غريب ، للى نعرفه احسن من اللى ما نعرفوش !! وتصوروا ، بلغت بهم الهيفاة فى يون لندن ، انه اذا حدثت حادثة فى اى بلد فى العالم فالتلفزيون مقطوع لهذا ش حتى يغطيه تماما ، ويسمون هذا العمل (خدمة للمشاهد) وهم يذيعون باء ومن موقع الاحداث وعلمت ان الخيبة فى بريطانيا بلغت حدا كبيرا الى

درجة أنه ليس لديهم وكالة انباء رسمية ، والمذيع لا يستأذن احدا قبل إذاعة أى خبر ، مادامت وكالات الانباء بعثت به الى التلفزيون ، و احيانا يذيع التلفزيون اخبارا تلقاها المذيع بالتليفون اثناء قراءة النشرة ، كما أنهم من خيبتهم يرسلون مندوبين عنهم فى العواصم الكبرى من واشنطن والى دلهى ، ويتولى هؤلاء المندوبون إذاعة الاخبار بانفسهم ، ومن هؤلاء المندوبين يختارون مذيعى المستقبل ! وأقول لكم الحق ، لقد صدمنى تلفزيون لندن بجهله وتأخره ولذلك انحنيت احتراما لتلفزيون القاهرة ، خصوصا عندما جلست اشاهد برامجه فى أول لحظة عدت فيها الى ارض الوطن والحمد لله لانهم كانوا يبشرون الناس بالمسلسلات الجديدة التى ستذاع عليهم ، مستقبلا وكذلك افلام التلفزيون التى انتجوها من اجلهم ، وعلى الاخص مسلسل " المرأة الللى كلت دراع جوزها " وفيلم " اللحمة الللى اتكلت فى الحلة " ولم ينس التلفزيون المصرى ان يذكر أسماء كبار الكتّاب الذين تعاقد معهم امثال أحمد أبوشفطورة وسيد ابودراع !

حبذا لو سافر الاخ العبقري صفوت الشريف فترة من الوقت الى لندن لتعليم الانجليز الجهلة فن التفاض ، وكيف يكون ، وليته يستمر فى رحلته لتعليم بقية خلق الله فى انحاء الكرة الارضية ، وعلى العموم تحية له من القلب ، واغنية له من بتوع وديع الصافى "والله يرضى عليك يا عمى" !!



**وهذا أضعف
الأيمن !**



مبروك على اتحاد الكورة انتهاء موسم الدورى الممتاز ، ومسابقة كاس مصر ، ودورة شطنوف المحطة ، واوالمبياد منوف العسل ! مبروك على اتحاد الكورة فقد ادى واجبه ، وقطع قلوب الكباتن العظام ، وقسم ظهور المتفجرين والمشجعين ، ولكن الغاية تبرر الوسيلة ، ومن اجل تحقيق الاهداف العظيمة يدفع الإنسان دم قلبه احيانا ، ويدفع حياته ايضا اذا لزم الامر !.

وغاية الكورة فى مصر هى الحصول على النقطة ، وفوز الاهلى على منتخب شبرا البلد ! وانتصار الزمالك على اتحاد مشتول السوق ! أما الاشتراك فى كأس العالم أو الحصول على مركز متقدم فى الدورة الاولمبية ، فهذه كلها تطلعات بروجازية كروية ، وانحرافات فوتبولية ، وخيانة للبروليتاريا الشوارعية الحوارجية ماركة الكورة الشراب !

مبروك على اتحاد الكورة انتهاء جميع المواسم التى يشرف عليها ، ومبروك لفريق الترسانة فوزه بكأس مصر ، فهو بالرغم من البوتيكات والخلافات والحاجات والمحتاجات الا انه لا يزال نادى عمال مصر . مبروك على الترسانة ولو اننى كنت اتمنى لو فاز نادى المحلة بكأس مصر ، فهو نادى الفلاحين والعمال والناس اللى تحت ، كما انه مصنع كورة على الجودة ومتعهد توريد كباتن طويلة التيلة لمنتخب مصر ، وهو ايضا نادى شوقى غريب الذى كان مفتاح الفوز بكأس افريقيا حين ركن بمعلمة كرة حلوة فى مرمى فريق ساحل العاج بعد خمس دقائق فقط من نزوله ارض الملعب ، وكان هذا اول استفتاح فى مشوار البطولة الذى انتهى بالنصر .

ولكن .. هكذا شامت الاقدار وفاز نادى الترسانة بالكأس ، ولا يعيب هذا الفوز الا أن الكأس بقيت فى العاصمة وهى محل الاقامة المختارة للكأس ، الا اذا حدثت كارثة أو حادثة أو صادفها سوء حظ .. وفى كل بلد فى أنحاء العالم يلعب الناس كرة القدم ويتنافسون على الكأس ، ولكن الكأس لا تستقر فى مكان . فى انجلترا مثلا ، الكأس مرة فى لندن ، ومرة فى ليفربول ، ومرة فى بريستول ، ومرة فى مانشيستر ، ومرة فى ليدز .

وفى أسبانيا مثلا الكأس مرة فى مدريد ، ومرة فى لشبونة ، ومرة فى توليدو ، ومرة فى الاندلس . وفى فرنسا مثلا ، باريس لم تتل شرف الفوز بالكأس إلا فى موسم العام الماضى ، بعد غياب ربع قرن ، غابت فيها الكأس فلم تدخل باريس خلالها مرة واحدة ولو فى زيارة عابرة .

ولكن فى مصر الأمور تختلف ، الكأس للاهلى ثم للاهلى ثم للاهلى ، وأحيانا للزمالك ، فإذا لم يستطع الاهلى ، وإذا فشل الزمالك فهو للترسانة ، وهو من نوادى القاهرة . أما نوادى الاقاليم فهى للمشاركة فقط ، وللفرجة فقط ، وهى فى النهاية كماله عدد ليستقيم الحال فيصبح لدينا دورى عام ، يتنافس فيه للحصول على الكأس الاهلى والزمالك فقط ، فإذا اختلفت قواعد اللعبة بسبب حادثة أو كارثة فلتذهب الكأس الى الترسانة أو الى القاهرة فى واقع الأمر . وفى كل أنحاء العالم الفرصة متاحة أمام كل الاندية للحصول على الكأس ، والكورة مشاع بين الجميع ، ولا فضل لكروى على كروى الا بالموهبة والاستعداد والتدريب .

ولكن عاصمة مصر المحروسة هى أغرب عاصمة على وجه الارض ، كل شىء فى القاهرة وكل شىء للقاهرة ، إذا أردت أن تكون كاتباً مرموقاً فاذهب الى القاهرة ، إذا كنت تحلم بأن تصبح نجماً مشهوراً فأسرع الى القاهرة ، إذا أردت أن تأكل فى مطعم ممتاز عليك بالقاهرة ، إذا كان فى نيتك أن تسهر سهرة حمراء مسخخة أو خضراء فسدى فاهرع الى القاهرة ، إذا كنت تريد أن تنزل فى فندق أو تركب قطارا أو تطير الى الخارج ، إذا كنت تريد أن تعمل أو تلعب أو تنشل أو تسرق أو تهبر .. فيم وجهك شطر القاهرة .. حتى الكورة فى القاهرة ، عائداً فى القاهرة ونتائجها للقاهرة وجوائزها فى القاهرة وستبقى من نصيب القاهرة ، وحتى منتخب مصر هو منتخب القاهرة ! فى بطولة افريقيا الأخيرة اشترك فى الفريق (القومى) لاعب واحد من اسكندرية ولاعب واحد من المنيا وجميع اللاعبين كانوا بالقاهرة .. ولم يفتح باب الفوز الا شوقى غريب لاعب المحلة الذى اشترك بالصدفة فى الشوط الثانى وفى المباراة الثانية ، وبعد أن انتهت المباراة الاولى بالهزيمة ، ثم جلس شوقى غريب يعد ذلك على الخط يتفرج على منتخب القاهرة القومى وهو يصارع منتخبات افريقيا القومية المفترية ، التى انتصرنا عليها بفضل الجماهير وببركة دعاء الوالدين !

ولذلك ..

ولأننا نلعب بمنتخب القاهرة ليس بمنتخب مصر ، فلن نتمكن من تحقيق أى فوز على المستوى الدولى لانه ليس معقولا ولا مقبولا أن تتولى الاقلية تمثيل بلد من البلاد ، ثم تقف الاغلبية موقف المتفرج دون أن يكون لها حق المشاركة ولو بالرائى ! انها عملية مستحيلة بالطبع ولكنها حدثت هنا فى مصر وفى مجال كرة القدم . تصوروا .. الصعيد كله وسيناء كلها والصحراء الغربية كلها والوادي



الجديد كله غائبون فى مجال الكرة . والدورى العام المصرى أو برلمان الكرة المصرية ، للقاهرة خمسة مقاعد ، ولمنطقة القناة ثلاثة مقاعد دائمة ومقعد رابع حسب التساهيل ، والإسكندرية بجلالة قدرها لها مقعد واحد ، وللدلتا مقعد وقيل مقعدان ، والصعيد كان له مقعد واحد ، ولكنهم لم يحتفلوا وجود ممثل للصعيد فى برلمان الكرة فتأمرأوا عليه وأطاحوا به وشطبوا المنيا من خريطة الدورى العام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولكنهم (شلحوا) فريق المنيا على رأى - أبناء الشام - أعظم لاعبيه وضمهم الى نوادى القاهرة ، ولكى يضمنوا عدم عودة المنيا مرة أخرى الى الدورى العام !

فهل هذا دورى عام ؟ انه بالقطع ليس (دورى عام) ، لان الدورى العام هو دورى عموم أبناء مصر ، وهذا الدورى الذى لدينا ليس لعموم أبناء مصر ولكنه دورى خاص لبعض المصريين ، أما أغلبية المصريين فلا ناقة لهم ولا جمل فى هذا الدورى العام ! وقد يقول مشجع من إياهم ان الكرة الافضل هى التى تفرض نفسها على الدورى العام ، وهو قول حق يراد به باطل ، والسبب ان الدورى المصرى غير الدورى الانجليزى مثلا . ففى انجلترا الفرصة متاحة للجميع ، وإشارة المرور الى الدورى الممتاز مفتوحة أمام الكل ، لان الكرة فى انجلترا حرفة وتجارة . والنادى الاغنى يستأجر أعظم اللاعبين ويستخدم أعظم المدربين ويشترك بهم فى معركة المصير . ولان الكرة تجارة فى انجلترا .. فكل ناد وله مستثمرون ، وهم يوظفون أموالهم فى مجال الكرة ، كما يوظف غيرهم أموالهم فى مجال الصناعة .

ولكن الكرة عندنا نشاط رياضى يخضع للسيد الوزير والسيد المحافظ ، والسيد مدير الشؤون الاجتماعية ، والسيد مدير التنظيم ، والسيد مدير البلدية ، والسيد مدير مكافحة المخدرات .. باعتبار ان حشيش الملاعب يدخل ضمن اختصاص البية المدير ! فى وضع مثل هذا لا يكون هناك أمل فى أن يصبح نادى منوف ضمن أندية الدورى العام ولا يمكن أن يحلم فريق السويس ببطولة الدورى الممتاز ، ولا يمكن أيضا أن يطمع نادى المحلة أو نادى الترسانة فى كأس مصر ، الا اذا حدثت للمساابقة حادثة أو كارثة أو صادفها سوء حظ .

تماما كما حدث هذا العام . فالاهلى اعتذر عن الاشتراك فى المسابقة ، والزمالك أطاح به النادى المصرى عديم المستوى الذى يهزم نادى الزمالك مرة ، وينهزم من نادى بلمشط عدة مرات . وبذلك خلا الجو لأول مرة منذ عشرين عاما أمام نوادى العمال والفلاحين والناس اللى تحت . وهكذا فاز الترسانة بالكأس

ومبروك عليه بالرغم من اننى كنت أتمنى أن تكون الكأس من نصيب نادى المحلة
لكى تخرج الكأس من زمام مدينة القاهرة ، وأيضا لأن نادى الترسانة اشتغل هو
الآخر بالبوتيكات والانتيكات ، وصار من رجال الأعمال ولكن على طريقة رجل
(الأعمال) توفيق عبدالحى ، باعتبار أن الغش والنصب وكافة شىء يقضب
الرحمن يندرج أيضا تحت وصف الأعمال !



**هؤلاء المحتالون
وأمرضهم المدهشة**



منذ بداية الانفتاح التلهيى وقبل صيحة حسنى مبارك بضرورة الاتجاه الى الانفتاح الانتاجى ، لاحظت ظاهرة غريبة عن المجتمع المصرى لاحت اول بشائرها فى صحف الخليج .. خطاب من مصرى او مصرية غالبا من مريض او مريضة ، ودائما المرض خطير ورهيب ، يبدأ من سرطان فى المثانة او سرطان فى الثدي وينتهى بسرطان فى المخ .. وصاحب الخطاب يطلب من المحسنين الكرام ان يعاونوه فى محنته او يساهموا فى تكاليف علاجه حيث انه صاحب سبعة من العيال ووالده مشلول شلل كلى وامه عاجزة نظر ومريضة بالسكر ومصابة بصدا ع مزمن منذ مائة عام !

بعض اصحاب هذه الخطابات كان يحرص على ذكر رقم حسابه فى البنك حتى يتمكن السادة الراغبون فى حجز جناح فى الجنة من ارسال تبرعاتهم قبل فوات الاوان .. بالطبع .. لم يكن كل اصحاب الخطابات من طبقة النصابين المحتالين ، ولكن كانت هناك نسبة كبيرة من هؤلاء بين اصحاب الخطابات وكانت النتيجة ان النصابين قضوا على امل المرضى الحقيقيين فى الحصول على طريق للنجاة .. والنصابون لايهمهم ما يحدث عادة للآخرين المهم ان يحصلوا على ما يريدون باى طريقة ومن اى سبيل ..

زمان كان لدينا فى الجيزة موظف كحيتى مرتبه على قده .. وكان صاحب مزاج يقضى الليل وسط سحابة من الدخان الازرق المعطر ، ولان العين كانت بصيرة واليد كانت قصيرة ، فكان يضطر كل مساء الى فرد منديل فى يده والطواف على اصحاب الدكاكين ، كل يوم فى شارع مختلف ، يحثهم على التبرع لغريب مسافر الى بلده ، مرة الى اسيوط ومرة الى المنصورة ومرة الى الخرطوم .. وبمحصوله التبرعات التى كان يحصل عليها ، كان يسهر سهرة حافلة يدخن المزاج ويأكل الكباب ويختم السهرة بصينية بقلادة من صوانى الحاج صبحى أشهر حلوانى فى ذلك الزمان .. واذكر ذات صباح فى عام ١٩٦٨ ان شابا باكيا جاعنى فى منزلى زاعما انه كان عاملا فى مؤسسة روزاليوسف ولكنهم فصلوه لسبب تافه وان

المرحوم والده كان يعمل فى روزاليوسف ايضا .. وان الوالد توفى وهو يدعو الله ان يتمتع العبد لله بالصحة وان يمد فى عمره وان يبارك الله له فى أمواله وعياله ، ولأننى كما قال الابن العاطل كنت شديد العطف على الوالد وكنت السبب فى ايجاد مسكن لهم فى المساكن الشعبية على هضبة المقطم بجوار مشرحة زينهم .. وتصورت ان الولد الباكي يطمع فى العودة الى عمله فى روزاليوسف ولكنى اكتشفت انه لم يحضر لهذا السبب ، وانما حضوره كان لامر رهيب وخطير لوصح لوجب اقالة وزير الصحة وسجن جميع وكلاء الوزارة واعتقال جميع اطباء الصحة من الاسكندرية الى اسوان فالولد الباكي له ابن وحيد فى الخامسة من عمره ولكنه فجأة مرض مرضا خطيرا لايعرف سره فحملة وذهب به الى مستشفى ام المصريين بالجيزة ، ولكن الولد مات فى اليوم التالى .. ولما كان الموت حق وعلى رعوس العباد فقد ذهب الوالد - الذى يبكى أمامى - الى المستشفى لاستلام جثة ابنه المتوفى ولكن المستشفى رفض تسليم الوالد جثة ولده قبل ان يدفع مائة جنيه نقدا وعدا والا فلن يكون للولد قبر وسيبقى مدفونا فى ثلاجة المستشفى الى اخر الدهر .. وغلا الدم فى عروقى وأنا استمع الى قصة الوالد الباكي وقد تحول من باكى الى لاطم وبطريقة تفوق لطم الايرانيين فى يوم ذكرى استشهاد الامام الحسين .. ورفعت سماعة التليفون واتصلت بمدير مستشفى ام المصريين فى بيته ، لان اليوم كان يوم جمعة والمدير فى اجازة ، ورجوته ان ينتظرنى فى المستشفى بعد نصف ساعة .

وذهبت بالوالد الى المستشفى ومعنا الحاج ابراهيم نافع وبذلت جهدا كبيرا فى السيطرة على اعصابى حتى لا اترك ليدى مهمة التفاوض مع الدكتور المدير بدلا من لسانى .. اذ كيف يحجز على جثة ولد ميت فى مستشفى حكومى مقابل اى مبلغ من المال ؟ وهل نحن فى دولة عربية ؟ وهل هذا اسلام ؟ لو ان هذا الولد مات فى مستشفى فى تل ابيب او مستشفى فى بلغاريا تحت ظل حيفكوف ، لو انه مات فى بورندى او اوروندى او بوركينيا فاسو ، هل كانوا يحجزونه وهو رهين الموت رهنا لمائة جنيه ؟ وقتلت للمدير وأنا اكبت ثورة عنيفة فى داخلى ! كيف تحجزون طفلا ميتا عندكم فى المشرحة لانه لم يدفع ماعليه من نقود ؟ ورد المدير على السؤال بسؤال ؟ .. ومتى دخل الطفل المستشفى ؟ واجاب الوالد الباكي اللاطم الصارخ فى البرية : منذ خمسة ايام واجاب المدير لم يدخل المشرحة طفل منذ شهرين على وجه التحديد وسأل المدير عن اسم الطفل .. فذكر الوالد اسم الطفل واسم ابيه وطلب الدكتور دفتر المشرحة ودفتر المستشفى .. ولم نعث على اى اثر لاسم الطفل فى الدفترين .. واستدعى المدير اطباء المستشفى واستدعى الكتبة واستدعى الممرضين واستدعى بعض المرضى واجمع الكل على ان المستشفى لم يستقبل طفلا مريضا او مصابا او ميتا ولم يسمع احد بهذه القصة على الاطلاق .. والقيت نظرة على الوالد فاذا به جالسا على الارض مسندا ظهره الى الحائط ورأسه بين يديه وهات يابكاء على الطفل المزعوم .. وكدت ادفعه بقدمى او اصافح قفاه

بكفى ولكن الحاج ابراهيم سحبنى من يدى الى الخارج .. وتركتاه فى المستشفى
يبكى كما الخنساء تبكى اخاها صخرا !

الى هذا الحد وصلت الاعيب المحتالين يستخدمون كل الاوراق لتحقيق نصبهم
ويغفركون أية اكاذيب من أجل الوصول الى غايتهم .

الا هذا

ولكن كله كوم وما حدث فى الاسابيع الاخيرة كوم آخر .. فذات صباح تلقيت
مكالمة هاتفية « ترك » من الصعيد الجوانى وكانت المتحدثه سيدة صوتها خفيض
ولهجتها صعيدية .. وقالت انها مريضة بسرطان المخ وانها أم لخمسة اطفال
وزوجها موظف بسيط مرتبه مائة جنيه فى الشهر وانها فى حاجة الى رعاية بعد ان
ضاعت الدنيا فى وجهها .. ولم يعد امامها اى حل الا الانتحار .. وزعمت انها
تحدثنى من بيت جارة لها وان فى استطاعتى ان اطلبها فى اى وقت ، وتوسلت
للعبد لله ان انشر مأساتها فى عمودى الاسبوعى « أما بعد » لعل وعسى ان يكرمها
الله عن طريقى فيتحقق لها العلاج والشفاء ويضمن العبد لله لنفسه قصرا فى
الجنة .. ولأننى قليل الثقة فى احاديث التليفونات فقد طلبت منها مشكورة ان ترسل
للعبد لله خطابا على اخبار اليوم تشرح فيه حالتها المرضية بالتفصيل ليكون فى
يدى وثيقة استند عليها .. وبالفعل وصلنى الخطاب فى اليوم التالى .. شرحت فيه
حالتها الصحية وعنوانها ورقم التليفون الذى يمكننى الاتصال بها عن طريقه
ونشرت قصتها على الناس وطلبت من وزير الصحة ان يسرع بعلاج هذه السيدة
المریضة بأى مستشفى حكومى .. بشرط ان تتولى الوزارة الاتفاق على العلاج
والدواء .

اختفاء

وبعد صدور اخبار اليوم بساعات اتصل السيد الدكتور وزير الصحة بالعبد لله
وابدى استعداده لعلاجها فى اى مكان فى مصر او فى الخارج ، طالبا الاسراع
بتقديم تقرير طبى عن حالة السيدة لكى يصدر أوامره بعلاجها فى المكان الذى
يحقق لها العلاج والشفاء .. وختم الوزير حديثه قائلا : ستعالجها ولو فى امريكا ..
فالمبالغ المرصودة لعلاج المواطنين على حساب الدولة هى من حق الفقراء أولا
وقبل اى أحد آخر .. وشكرت الوزير ووعدته بالاتصال بالسيدة المريضة . وبعد
ساعة واحدة دق جرس التليفون فى منزلى ، وكان المتحدث صديق من الرياض
وقال الرجل الطيب : لقد قرأت مأساة السيدة وأنا فى الطائرة فى طريقى الى
الرياض ، وأنا على استعداد لعلاجها فى اى مكان على ظهر الارض ، وعلى
استعداد ايضا لرعاية اسرتها .. ليس هذا فقط لقد أبلغنى الرجل الفاضل انه قد
اصدر أوامره الى طبيبه الخاص فى القاهرة ليقوم باجراء التحاليل والاشعات

اللازمة تمهيدا لعلاجها فى المكان الذى يتوافر فيه العلاج .. وبعد الظهر اتصلت السيدة المريضة تليفونيا ولم اكن موجودا لسوء الحظ ، وقالت لابنتى هالة انها ترفض العلاج فى مستشفى حكومى وانها كانت تلمع فى العلاج بمستشفى خاص .. وحاولت الاتصال بالسيدة لاشرح لها الامر ، ولكنهم ابلفونى انها سافرت لابيها وابلفونى فى المرة الثانية انها مريضة لاتقوى على الرد .. ولكنى لاحظت فى المرات الثلاث ان الصوت الذى يرد على هو صوت السيدة نفسها التى شكت لى مأساتها وان التليفون ليس تليفون جاريتها كما زعمت ولكنه تليفونها وان العملية وراها سر .. و اردت ان اقطع الشك باليقين ، فنشرت فى الاسبوع الثانى وقائع ماجرى بينى وبين الوزير وبينى وبين الرجل الطيب فى الرياض .. وبعد ساعات من صدور اخبار اليوم ، عادت السدة الى الاتصال بالعبد لله .. شكرتني طبعاً فى البداية ودعت لى بطول العمر ، ثم طلبت منى ان اعطى عنوانها للرجل الطيب الذى تحدث معى من الرياض .. ولكنى طلبت منها قبل اتخاذ اى خطوة فى هذا الشأن ارسال التقارير الطبية التى تؤكد انها مصابة بسرطان المخ .. وبعد مناقشة طويلة وعريضة بينى وبين السيدة « المريضة » قالت السيدة انها ستحاول الحصول على هذه التقارير وبالفعل تلقيت بعد ثلاثة ايام خطاباً من السيدة ومع الخطاب رويشة من الدكتور « ف . ف . ي » مدون عليها عبارة رئيس قسم الاشعة المقطعية كلية طب جامعة اسيوط ..

بعد التحية

ACODE FOR CTSC BRAIN

هكذا فقط ولاشئ اخر .. والطبيب طبعاً برىء لان اى مخلوق يشعر بصداع رهيب بالراس أو بمغص قاتل فى البطن .. سيعطيه الطبيب ورقة الى قسم الاشعة لتصوير العضو المعطوب .. المهم ان الرويشة بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٩٠ اى بعد أول حديث لها معى بعدة ايام ..

والمطيباتية

الغريب اننى تلقيت خطاباً اخر من قارئ طيب يشكرنى فيه على نشر مشكلة السيدة المريضة ثم يقول « الا ترى انك ظلمتها عندما قبلت عرض وزير الصحة ورفضت عرض الصديق الكريم الذى اتصل بك من الرياض » ثم يقول القارئ الطيب « ان المسكينة ستدوخ السبع دوخات مابين القومسيون ومكتب الوزير والميزانية لاتسمع ، اما الصديق الذى فى الرياض فهو جاهز خصوصاً وانه اتصل بطبيبه الخاص بالقاهرة لاجراء اللازم .. » انتهى خطاب القارئ الطيب وحبذا لو اعرف رايه الآن بعد قراءة هذا المقال ..

ماذا جرى ؟

اقول لكم الحق لقد اصابني نوع من الغثيان بعد هذه الواقعة وانا الخبير فى امور النصب والاحتيال وصاحب تجربة طويلة .. منذ تجربتي مع اول شحات اعمى كان يطوف حارتنا فى زمن الحرب العالمية الثانية يتسول بصوت مسرّع مسلوخ « عشا الغلابة عليك يا كريم » وذات مساء فى شهر رمضان وقفت على باب غير بيتنا ومعى قرص جلة ودعوت المتسول الاعمى لياخذ نصيبه منى وهو يقترب منى وعصاه فى يده تتحسس له الطريق وناولته قرص الجلة ، فرفعه الى فمه ليقبله باعتباره نعمة من الله ينبغى تقبيلها حتى لاتنزل .. وعندما دخلت رائحة القرص الى خياشيمه واكتشف انه ملعوب من ولد شقى لايعرف العيب ولايتمسك باخلاق الحارة .. طوح العصا ناحيتى فشتمته واخذت ذيلى فى اسناني وهات يافكك وانخلع قلبى عندما اكتشفت انه يجرى خلفى على نحو اسرع من بن جونسون الذى جردوه من ميدالياته وقلشوه من البطولة بسبب تناوله المنشطات فى دورة سول .. ولكن لانى كنت وقتئذ كالغزال فى الرمح وكالارنب فى المناورة فقد تمكنت من الافلات من قبضة الشحات الذى لم يتركنى الا عندما وصلت الى قرية المنيب على بعد ثلاثة كيلو مترات من المكان الذى جرت فيه الحادثة .. ولكننى تعلمت درساً خلاصته ان المظاهر كدابة ، وانه ليس كل الشحاتين عميان او مكسحين .. وان الاعيب اصحاب الحيل بحرهما واسع وعميق .. ولا اعرف لماذا تذكرت هذا المتسول الاعمى الذى رمح خلفى منذ خمسين عاماً كأنه حصان مشترك فى سباق الدربى وعلى موعد مع الجائزة الاولى فى السباق التاريخى الكبير .. !

والغريب اننى تلقيت بعد حادث السيدة المريضة فى الصعيد مائة خطاب من مرضى فى كل مكان لدرجة خيل لى فيها ان مصر تحولت الى مستشفى كبير وحتى لاناخذ البرىء بالمساء ، ولكى لانقع فى حبات المحتالين والنصابين ، فقد اتفقت مع الدكتور اسماعيل سلام طبيب القلب المشهور بتحويل كل هذه الخطابات اليه .. حيث انه استطاع بالجهود الذاتية ان يرصد مبلغا كبيرا لعلاج الفقراء ، وهذا المبلغ يكفى لعلاج عدة الوف من المواطنين .. والدكتور اسماعيل سلام بالمناسبة طبيب اصلا ومشتغل بالسياسة ويذكرنى بالمرحوم انور المفتى واستاذنا الدكتور يس عبد الغفار وبعننا الكبير الدكتور على عبدالعال وبغيرهم من النماذج العظيمة الشامخة فى تاريخنا الطبى الحديث .

اما السيدة الصعيدية فلن افصح سرها بشرط الا تعود الى عمليات النصب من جديد لان رقم تليفونها معى وعنوانها ايضا ولكن المسامح كريم ..

ويبقى فى النهاية سؤال ماذا جرى للمصريين وماذا جرى بهم ؟ وماهى الحكاية ؟ ولماذا هذا التدهور وهذا التفكك ؟ والى اين المصير ؟ اللهم لانسالك رد القضاء ولكن نسالك اللطف فيه !!



يارب أحسنني
من . إعلاني ،



العبد لله .. يعلم الله .. يشتغل بالصحافة منذ أكثر من أربعين عاما .
وبعض أعمالى منشورة فى مجلات صدرت فى العام ١٩٤٤ .. واشتركت فى
اصدار مجلات كنا نطبعها ونبيع نسخها بالآلة فلم تكن مصر قد عرفت الكيلو
بعد !

والعبد لله اشتغل فى الصحافة الحزبية ايام العهد الملكى .. واخترت
جرائد الوفد . فقد كان هو الحزب الوحيد الذى اختار جانب الجماهير ضد
اعداء الشعب .

وكانت جرائد الوفد الوطنية تدفع شهرا وتصهينى عدة شهور ، وكان الصحفى
"الشاطر" هو الذى يشتغل فى أكثر من صحيفة ، خصوصا اذا كان صاحب عيا أو
صاحب عيال ! وبعض الصحفيين الذين انتقلوا الى رحمة الله كان يشتغل فى
جريدة وفدية وفى جريدة أخرى سعادى ولا يجد حرجا فى ذلك ، فقد كانت
الصحافة وقتئذ - مجرد مهنة - واحسن من كافة شىء يفضب الرحمن ! وعندما
تفجرت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة أصدرت وفى وقت واحد حريدتين .

الجمهورية لسان حال الثورة ، والقاهرة وكانت سياسية مستقلة فضضلت العمل
فى القاهرة الى أن تحولت من صباحية الى مساءية وعندما عرضوا علينا الاستمرار
فى العمل مقابل تخفيض رواتبنا .. رفضت ففصلونى ورفضت استلام المكافأة
واقمت دعوى أمام القضاء ، ولكنى خسرت القضية لان المحامى الهمام الذى وكلته
عنى لم يظهر مرة واحدة أمام المحكمة ، وبالطبع لم أظهر أمامها أنا الآخر ، فقد
كنت أنا والمحامى صديقين ، وكنا نسهو حتى الصباح ، ونستيقظ بعد الظهر ، ولم
نعرف بأننا خسرنا القضية ، وحكمت المحكمة ضدنا ونحن أصحاب الحق .. بدفع
مصاريف التقاضى واتعاب المحاماة ..

وتركت القاهرة واشتغلت فى مجلة التحرير ، محررا ثم مديرا للتحرير ، ثم نقلت
الى الجمهورية محررا ثم رئيسا للشئون العربية ، ثم مشرفا على الصفحة

الآخيرة ، ثم مفصولا فى العام ١٩٥٨ مع دفعة بيرم التونسى وعبدالرحمن الخميسى والفريد فرج وعشرات من الكتّاب والصحفيين . ولكنى اشتغلت بعد اسبوع واحد من فصلى فى مجلة روزاليوسف وسكرتيرا للتحريير . ولم تكن الصحافة قد أمت بعد !

وبعد عام واحد من العمل فى روزاليوسف تم اعتقالى وقضيت ثمانية عشر شهرا وتمتعت خلالها بالطواف فى رحلة سياحية مع الإقامة الكاملة فى سجون القلعة والفيوم وبنى سويف والواحات . وعندما خرجت من سجنى وأجهتني مشكلة أننى مفصول من الاتحاد القومى مع أننى لم أكن عضوا فيه ، وأن الاشتغال بالصحافة حرام على العبد لله باعتبارى لست اتحاديا ولا قوميا ولا يحزنون !

وتعجبت لنقل ملكية روزاليوسف الى الاتحاد القومى ، وخيل لى أن الاتحاد القومى آياه ربما كان أخا غير شقيق لاحسان عبدالقدوس . ولم أكن أنا الوحيد المعزول من جنة المالك الجديد ، ولكن كان هناك مائة كاتب وصحفى من بينهم الدكتور لويس عوض ولطفى الخولى ومحمد عودة وآخرون . ثم شملتنا رحمة الاتحاد القومى بفضل مساع بذلها الدكتور لويس عوض مع محمد حسنين هيكل ، وانتهت بجل سعيد ، ان تستمر فى العمل الصحفى دون أن نتشرف بالدخول فى الاتحاد القومى المجيد .

وعندما جاء الاتحاد الاشتراكى فوجئت بأننى أيضا معزول وممنوع من العمل الصحفى لأننى لست اتحاديا بما فيه الكفاية ولا اشتراكيا كما ينبغي !! المهم ان جميع الصحفيين الذين كانوا فى الاتحاد القومى اصبحوا على الفور أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى باعتبار أن القومى هو اشتراكى فى الاصل ، أما صفتهم كاتحاديين فهى مسألة لا تحتل أى شك . ولكنى ضحكت ضحك غرائب الابل عندما قرأت اسم احسان عبدالقدوس فى كشف المعزولين وكذلك اسم محمد عودة ولويس عوض ! ثم فتح الله علينا فأصبحنا أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى وصحفيين أيضا . وان كنت لم اضع قدمي فى الاتحاد الاشتراكى المبنى الا فى العام ١٩٦٨ ! وفى العام ١٩٧١ دخلت السجن وخرجت بعد سنتين معزولا ومفصولا وممنوعا من الكتابة بأجر ويدون ، والاكادة أن جميع الزملاء الذين كانوا فى الاتحاد القومى ثم فى الاتحاد الاشتراكى ، أصبحوا جزءا من مجتمع العائلة المصرية الواحدة وكبيرها الذى لا يخطئ ولا يقفل ولا يظلم العبيد !

وخرجت من مصر وعدت بعد مائة شهر بالتمام والكمال لاكتشف أن مصر صارت ديمقراطية وحزبية ، وأن الصحافة صارت من أملاك المجلس الاعلى للصحافة ، وحكمة الله أن الزملاء الذين كانوا فى الاتحاد القومى ثم فى الاتحاد الاشتراكى ثم فى مجتمع العيب وأخلاق القرية ، هم انفسهم الذين يتصدرون العمل الصحفى فى المجتمع الوطنى الديمقراطى المتعدد الاحزاب ! واكتشفت



أيضا أنني معزول من العمل السياسي وأننى مسموح لى بالعمل الصحفى باعتبار
"الباب الذى يجيئك منه الريح سده واستريح" !!

ومع أننى من أملاك هذا المجلس الاعلى للصحافة ، الا أنني لم أقابله مرة
واحدة وهو يبدو للأسف الشديد انه مجلس عال وأعلى مما نتصور ، لأننى لم
أصادفه فى مقهى ، ولم ألتق به فى حفلة ، ولم أشاهده فى مسرح ، ولم تقع عينى
عليه فى أى زمان أو مكان . والحق أقول أنني تأكدت بعد التجارب والمصائب أن
العمل الصحفى بالنيات ، وأن الزملاء الذين دخلوا القومى والاشتراكى والتنظيم
السياسى ومصر الوطنى الديمقراطى ، لا بد وان يكونوا من أصحاب النوايا
الحسنة ، ولذلك فسكتهم سالكة ، وطريقهم مفتوح ، ورواتبهم متضخمة وأحوالهم
ميسرة ، ولهم حراسة وتليفون ، وبطاقة تموين حمراء ، مع أن العبد لله ليس له أى
بطاقة ، ويبدو أنهم عزلونى من التموين ، كما عزلونى من السياسة ، باعتبار أن
الامن الغذائى والامن المركزى يتبعان قيادة واحدة ، ويسيران على الخط القومى
الاشتراكى الوطنى الديمقراطى ، ويعلم الله ماهى الاسماء التى ستضاف على هذه
اليافطة فى قادم السنين ؟ المهم أن العبد لله كان يريد لو التقى بالمجلس الاعلى
مالك الصحافة ، الجديد لكى أشكوله حالى وأبث له شكوكى وشكوكو أيضا ، غير
أنى صرفت النظر عن هذا الامر بعد أن قرأت فى الصحف التى يملكها المجلس
بأن هناك اقتراحا بمنع كتاب الصحف القومية من الكتابة فى الصحف الحزبية
والصحف العربية أيضا . وهنا قررت أن أكتب فى الصحف الحزبية بالرغم من
أننى لم أفكر فى هذا الامر من قبل .

ولكنه نوع من التحدى فقط ورغبة منى فى العراك .. وبالرغم من أنه فى لحظة
الاختيار سأختار الصحف الحزبية والصحف العربية بدون أى شك ، وأعتقد أن
أغلب كتاب مصر المقروئين سيسلكون نفس الطريق .. لان الكتابة فى الصحف
العربية ليس بالواسطة ، ولا بالنفوذ . ولكنهم يستكتبون صاحب الكلمة المقروءة
والنابضة بالحياة ، والعبد لله - والحمد لله - لم يكن اختراع الحكومة أو صنعة
نظام .. ولكننى كاتب حفرت الصحف بأظافر يدي ، وفرضت نفسى كاتبا ليس فى
مصر وحدها ، ولكن فى العالم العربى ، الواسع العريض . وما ينطبق على العبد
لله ، ينطبق على أحمد بهاء الدين بشكل أكيد وعلى فتحى غانم ، وعلى صلاح
حافظ ، وعلى أحمد حمروش ، وعلى كل كاتب مصرى يكتب فى الصحف العربية
من أول محمد حسنين هيكل وإحسان عبدالقدوس والى العبد لله وآخرين !..

وبالرغم من ذلك أريد أن أهنس فى أذن المجلس الاعلى أن وجود كاتب مصرى
فى جريدة عربية هو مكسب لمصر .. وأن هناك نظما عربية من إياها على استعداد
لدفع الملايين بشرط اختفاء القلم المصرى وإحلال أقلام من إياها والتى تشبه الى

حد كبير أقلام بعض السادة المتصدرين !!! إنها مجرد نصيحة أهمس بها في
أذن المجلس الأعلى ، فإن أخذ بها كان بها والا فسيكون شأنه شأن المجلس
البلدي الذي تفرغ بيرم التونسي فترة طويلة من حياته للهجوم عليه .

وليعلم المجلس الأعلى أن مصر ليست بالمجلس الأعلى ولا بالمجلس الأدنى
ولا بالمجلس الذي هو بين بين ، ولكن مصر بفنانيتها وكتابها وعلمائها ومهندسيها
وأطبائها ونجومها في كل فن وفي كل مجال .

ويارب .. احمنى من "اعلائي" جمع أعلى ، أما أعدائي فأنا بهم كفيل !!



**الأعلى والأوطى
والنص نص !**

الله يرحمه ويحسن إليه ، أبلغ وانبع من انجبت أمة محمد ، عمنا أبو الطيب المتنبي زعيم الأغلبية في شعب الناطقين بالضاد ، عبر كل العصور ومنذ مولده وحتى يرث الله الأرض ومن عليها . الله يرحمه ويحسن اليه عبقرى بنى قحطان وبنى غطفان وبنى سليم ، وقد شهد له الجميع بالرغم من عدم فوزه بجائزة الدولة التقديرية أو التشجيعية ، وبالرغم من عدم تكريمه بحفلة أو تسفيره في رحلة .

وبالرغم من انه لم يكن عضوا في المجالس القومية المتخصصة ، ولم يكن وكيلاً لوزارة الثقافة ولا حتى مديراً بوزارة الإعلام والأغرب والأعجب انه عاش مطاردة من النظم العربية ، ملاحقا من الشرطة العربية ، مكروها من النقاد العرب ، محسودا من شعائير العرب ، ومات في النهاية مقتولا بأيدي عربية بالقرب من قرية النعمانية على طريق بغداد . قتلوه وقتلوا ولده محسد وخادمه العجوز وسرقوا أمواله ونهبوا كتبه ، وباعوا جماله في سوق الثلاثاء ثم فروا هاربين . وانتقل الى مكان الحادث مأمور القرية ورئيس مباحث المركز ونائب مدير أمن بغداد ، ووكيل وزارة الداخلية ، ويعد أن ألقوا نظرة على مسرح الجريمة وعابثوا الجثث ، أغلقوا المحضر وقيدوا الحادث ضد مجهول ! ومع ذلك لم يبق من عصره كله إلا ، .

ولم يبق من الأدب في كل العصور إلا أدبه . لان الخلود ليس بالجوائز ، وليس باللجان ، وليس بالمجلس الأعلى أو المجلس الأعلى ، ولكن يعيش الأديب بالتفرد والاصالة والعبقرية والنبوغ . واذا كان عمنا أبو الطيب المتنبي قد قتلوه قتلا حقيقيا بالسكاكين والمطاولي قرن الغزال على طريق بغداد ، فقد قتلوا بعد ذلك عشرات ومئات من العباقرة والموهوبين ، ودون أن يستخدم القتل آلات حادة أو أطعمة مسمومة ، وسقط على مر العصور عباقرة قتلى الإهمال والتجاهل ، سقطوا واحدا وراء الآخر ، مرة على طريق بغداد ومرة على طريق دمشق ، ومرة على طريق بيروت ، ومرة على طريق القاهرة ، ومرة على طريق بنى غازي ومرة على طريق الكويت ، ومرة على طريق الرياض ، ومرة على طريق الدار البيضاء ، ومرة على

طريق وهران ، ومرة على طريق تونس الخضراء ، ومرة على طريق نواكشوط ، ومرة على طريق صنعاء ، ومرة على طريق حضرموت !

فى مصر مثلاً مات الشاعر عبدالحميد الديب دون كلمة رثاء ، وكتب كامل الشناوى بعد موته فى جريدة الاهرام (اليوم مات شاعر تعرى واكتست الاضرحه ، وجاع وشبعت الكلاب) وحتى شعره دفنوه معه فحرموا نشره ، وحرموا طبعه ، ومع ذلك عاش الديب عند الادباء ، وعاش شعره فى ذاكرة الذين يقدرّون معنى الكلمات . ومات شعر الشيخ عبدالمطلب شاعر وزارة المعارف . لان الشعر الحى هو الذى يبقى فى ذاكرة الزمن ، أما الشعر الميت فهو الذى يقرر على طلبه المدارس ، وتحتفظ به الدولة فى أرشيف وزارة الثقافة ووزارة الإعلام .. ومات الشاعر الكبير كامل الشناوى دون تكريم من الدولة ، ودون جوائز من المجلس الاعلى أو المجلس الاوطى أو المجلس النص نص ، ولبت الامر توقف عند حد الاهمال أو عدم التكريم ، ولكن زاد الطين بلة ، انهم نشروا اسمه فى كشف المصاريف السرية فى بداية الثورة ، وعاش الخمسة عشر عاماً الاخيرة من حياته مهزوزاً مذعوراً ، يتلفت حوله بالعين أحياناً وبالقلب أحياناً ، ومع ذلك عاش كامل الشناوى بعد موته وسيعيش طويلاً فى تلاميذه وما أكثرهم ، وفى شعره وما أعذبه وفى فنه وما أرفعه . ولو أنصفت الدولة لمنحت اسم كامل الشناوى جائزة الدولة التقديرية تكريماً لفنه ، وتقديراً لعينه النفاذة التى كشفت وجذبت كل موهبة غالية ونفيسة عرفها وقتنا الحالى الذى نشهده ونعيش فيه . وإكاد أزعم - والله على ما أقوله شهيد - أنه لا توجد موهبة حقيقية وأصلية فى هذا الزمان ، إلا وساهم كامل الشناوى فى ظهورها ودفعها الى الامام ، أنيس منصور ، يوسف ادريس ، كمال الطويل ، فتحى غانم ، بليغ حمدي ، أحمد عبدالمعطى حجازى ، صلاح حافظ ، عبدالحليم حافظ ، وصلاح عبدالصبور . حتى أحسان عبدالقدوس وحتى محمد حسنين هيكل وحتى مأمون الشناوى ، وعشرات من النوابغ الذين ملأوا حياتنا نوراً وزهواً وضياءً وانغاما على امتداد خمسين عاماً من هذا القرن العشرين ! ومات أيضاً شريداً وحيداً ، غلبان زمانه ومسكين أوانه عمنا زكريا الحجاوى خادماً الكلمة الصادقة والفن الرفيع ، بعد ان عاش حياته موظفاً بالمكافأة ، وبعد أن انهزم بيته ولم يجد مسكناً يأويه فهاجر الى الخليج ، ودخل مستوطناً فى خدمة الحكومة ، وعندما أصبح له مكتب وتليفون وأصبح يذهب فى مواعيد ويتكلم بحساب ، وتحيط به المكائد والدسائس والأعياب الموظفين ، عندئذ توقف قلبه ومات زكريا الحجاوى وعاد الى مصر فى صندوق ، ودفن فى صحراء العباسية ، وهو الذى كان يخاف الوحدة والظلام والسكون ! لم يحتمل زكريا الحجاوى الفنان حياته الجديدة فى الخليج ، حياة الروتين والنظام والكلام بحساب والحضور بمواعيد ، والانصراف بعد التوقيع فى دفتر المستوطنين . ولو أنصفت المجلس الاعلى للفنون والآداب



لمنع اسم زكريا الحجاوى جائزة الدولة التقديرية فى الفنون التى حجبوها هذا العام . فقد أثرى زكريا الحجاوى حياتنا بالنغم وبالكلمة وبالنش فى طين مصر عن النواذب وكان آخرها الرئيس متقال ، بالإضافة الى السنارة التى كانت فى عينه النفاذة والحساسة ، والتى اصطاد بها عشرات من الموهوبين الافذاذ ، وكان احدهم صلاح جاهين الفنان الشامل الذى شغل الناس والحياة ، وسيظل يشغل الناس والحياة والى زمن بعيد يعلمه باسط الأرض ورافع السماء . ومنذ عام واحد على وجه التحديد رحل عن دنيانا فنان مر على أرض البشر كما يمر الأولياء وأصحاب الطريق ، كان خافض الصوت خافت الطموح ، شديد التأثير على من حوله ، وعكف فى صمت وفى صبر الرهبان فى تشكيل عقول جديدة ومواهب واعدة ، وأكاد أقول أنه لا يوجد فى مصر الآن فنان تشكيلى واحد من سن الخامسة والعشرين الى سن الأربعين إلا واشترك الفنان حسن فؤاد فى صنعه وفى وضعه على الطريق الصحيح . وقضى حسن فؤاد حياته كطائر السنونو يقطع من كبده قطعا صغيرة ليطعم أفرأخه ، وكطائر السنونو أيضا مات حسن فؤاد قبل الأوان ، ولكن بعد أن شبت أفرأخه عن الطوق وحلقت فى العلالى بريش قوى اشترك حسن فؤاد فى تثبيته وفى إنباته وتزويقه بأحلى وأجمل الألوان . ونفس الكلام الذى ينطبق على كامل الشناوى وزكريا الحجاوى وحسن فؤاد ، ينطبق أيضا وربما بشكل أكبر على الفنان الراحل صلاح جاهين . وكان يمكن للمجلس الأعلى للمجلس الأعلى ولللمجلس النص نص ، ان يمنح جائزة الدولة لروح الفنان صلاح جاهين ، فى الأدب ممكن ، فى الفنون ماشى ، فى العلوم لا بأس ، فى الهموم لا مانع . ولكنه حجب الجائزة الثالثة فى الفنون ، ووزع جوائز الأدب على وكيل وزارة الثقافة ووزير أوقاف السابق ، ولا أدري لماذا لم يمنحوها أيضا لوزير التموين ومدير التليفونات ورئيس هيئة مترو الانفاق ومدير الأمن العام ، فكلهم ساهموا بشكل أو بآخر ، فى تنشيط عقل مصر وتجديد روحها ، وهم لا يستحقون فقط جائزة الدولة التقديرية ، وإنما هم يستحقون ما هو أكبر من ذلك ، مكافآت تشجيعية وحوافز وتمائيل تنصب لهم أمام الجمعيات الاستهلاكية ومحطة السكة الحديد وسجن التخشبية بالقلعة !

وإذا كان هؤلاء الفنانون العظام من أول كامل الشناوى الى صلاح جاهين - حكمة الله - يشتركون فى صفة واحدة ، هى عدم حصولهم على جائزة الدولة التقديرية أو التشجيعية أو التى يسعر السوق السوداء ! فقد كانت تجمعهم - حكمة الله - صفة واحدة . وهى الصياغة والوقوف على باب الله وليس على باب السلطان . كانوا جميعا طرازا من الصياغ العظام الذين أحبوا الليل والناس والفرن العظيم من أى اتجاه . كان كامل الشناوى يشم رائحة المواهب على بعد ألف ميل ، وكان خبيرا فى انتقائها وصقلها وتقديرها للناس . وكان زكريا الحجاوى يسرح فى

شوارع مصر وخلفه مجموعة من الصبية الموهوبين صاروا جميعا اعلاما فيما بعد ، وكان حسن قواد مفتونا بالشباب وراعى قطع المواهب الجديدة ، وكان صلاح جاهين يحب كل جديد واى جديد . ولكن يبدو أن هذا الصنف من الفنانين الذين يحبون الحياة لا تحبهم دواوين الحكومة ولا أنظمة المجلس الاعلى والمجلس الاوطى والمجلس النص نص . واذا كنا قد قصرنا حديثنا على الموتى من الفنانين العظام . فمن بين الفنانين الاحياء من لم يحصل على جائزة الدولة التقديرية وهو اكبر منها . ولكن الجوائز ضلت طريقها اليهم ، لانهم عرفوا الطريق الى الفن ، وضلوا الطريق الى دواوين الحكومة . على رأس هؤلاء شيخ الفنانين القصاصين محمود البدوى ، ورافع لواء الحب احسان عبدالقدوس .

وصاحب القلم الانيق الرشيق أنيس منصور ، والكاتب الذى اعتزل الناس وعكف فى مسجده الدكتور مصطفى محمود ، وشيخ نقاد الامة لويس عوض ، والفنان المسرحى نعمان عاشور والكاتب القصاص يوسف ادريس ، كلهم يستحقون الجائزة ، وكلهم اكبر من الجائزة ، ولكنهم جميعا لم ينالوها ، مع أن محمود البدوى تعدى الثمانين من عمره المديد ، ونعمان عاشور يزحف الآن نحو السبعين ، والباقيون جميعا وصلوا الستين أو تجاوزوها بقليل . ولا أدري متى تعطى هؤلاء جائزة الدولة التقديرية ؟ ولا أدري أيضا إمتى الزمان يسمح ياجميل ، وتأخذ جائزة الدولة التقديرية ومع الشكر الجزيل ؟ ولكن عزاء الاموات من الفنانين العظام ، وعزاء الذين مازالوا على قيد الحياة ، انهم ماتوا فى فراشهم ، أو سيموتون فى فراشهم ، وإن يلقوا مصير أبو الطيب المتنبى ، أبلغ وأنبغ من أنجب أمة محمد ، وفنان عصره وكل العصور ، قتلة فارس من بنى خيبر - مع الاعتذار لمسرحية سمير غانم - وفى قرية النعمانية على طريق بغداد وقتلوا ولده وخادمه ، وسرقوا أمواله ونهبوا كتبه وباعوا جماله فى سوق الثلاثاء ثم فروا هاربين ، وانتقل الى مكان الحادث مأمور القرية ورئيس مباحث المركز ونائب مدير أمن بغداد ووكيل وزارة الداخلية ، وبعد أن القوا نظرة على مسرح الجريمة وعابنوا الجثث ، اغلقوا المحضر وقيدوا الحادث ضد مجهول ! ومع ذلك لم يبق من عصره كله إلا هو ، ولم يبق من الأدب فى كل العصور إلا أدبه ، لان الخلود ليس بالجوائز ، وليس بالبلجان وليس بالمجلس الاعلى والمجلس الاوطى ، ولكن يعيش الأديب بالتفرد والاصالة والعبقرية والنبوغ !



على الابطال دوار!



هل سمعتم عن الكابتن (كعبها) من قبل ، لقد كان يشغل مركز قلب الدفاع فى فريق شطرنوف المحطة الذى كان يلعب فى دورى الدرجة الثالثة . ومع انه كان يلعب فى مركز الظهير ، ومهمته بالتحديد هى منع الاهداف من دخول مرماه ، ومنع المهاجمين من دخول الصندوق ، إلا انه بالرغم من ذلك ظهر اسمه ذات عام فى كشف الهادفين ! ولم يكن هذا على سبيل النكتة ، ولكنها كانت حقيقة واقعة . لأن الكابتن كعبها سجل خلال ذلك العام ٨ اهداف فى مرماه ! ويبدو ان الكابتن كعبها اكتشف فجأة ان تسجيل الاهداف فى مرمى الخصم عسير وصعب المثال ، فما المانع من تسجيل الاهداف فى مرماه ؟ مادامت الكرة - على رأى الكابتن لطيف - اهداف !

واسأل حضراتكم : هل رأيتم ما حدث فى دورة افريقيا ؟ لقد لعب فريقنا ثلاث مباريات . واختلف أداء الفريق من مباراة الى أخرى . وفى مباراة الكاميرون لعب الفريق تبعا ولا فريق البرازيل ولكنه لم يسجل شيئا وفى مباراة كينيا لعب فريقنا ولا فريق البرازيل ولكنه سجل ثلاثة اهداف . وفى مباراة نيجيريا لم يلعب ولم يسجل ، وخرج الفريق (البطل) من دورة افريقيا غير مأسوف عليه . ولكن على من تقع المسؤولية الآن ؟ على الخواجة سميت ؟ العبد لله يعرف ان حملة شعواء من بعض السادة إياهم تنتظر الخواجا سميت باعتباره هو الذى أفسد الكرة المصرية . وهو الذى تسبب فى انحدارها . وكان الفريق تبعا كان زينة مسابقات كأس العالم ، وبيع كأس أوروبا ، ووردة كأس افريقيا ، وكان مصدرا للعملة الصعبة ، ومن أسباب تشجيع السياحة فى مصر !!

والحق أقول ان الخواجا سميت مظلوم وبريء وصاحب فضل على الفريق القومى . بدليل أن فريقنا بشهادة الجميع لعب أحلى كورة فى البطولة ، ونجح الخواجا سميت فى أن يصنع من الفسيخ شربات . ولكن جريمة سميت التى لا تغتفر هى أنه لم ينزل الى الملعب ليحرز الاهداف بنفسه .. عندما عجز الكابتن إياهم عن احراز هدف يتيم فى مرمى فريق نيجيريا كان كفيلا بوضع فريقنا على

رأس المجموعة ، وبالقسط كان الفريق المصرى هو الفريق المرشح ليقابل المغرب فى نهائى الكأس ! ولكن الخواجا سميت جلس على دكة المدربين ولم يشترك مع اللعيبة ، وهى جريمة كبرى تستوجب احالته الى محكمة العدل الكروية وتنفيذ عقوبة الاعدام فيه !

هل هى مسئولية احمد رفعت ؟

العبد لله يعتقد أن جزءا من المسئولية يقع على رأسه . لانه أولا . كمدرّب لايرقى إلى مستوى الفريق القومى . وثانيا لانه زملاوى الهوى استعان بالكابتن طارق يحيى مع انه كان بعيدا عن المنتخب فى عصر شحّة . ولم يكن شحّة متحيّزا عندما صرف النظر عن الكابتن طارق يحيى لأننا جميعا نعلم أن طارق يحيى مجرد لاعب محلى ولا يصلح لمباريات على هذا المستوى الرفيع !

طيب .. هل المسئولية تقع على عاتق اللعيبة ؟

الحق أقول أن اللعيبة أدوا واجبهم فى حدود مواهبهم ولكن هناك بعض الملاحظات التى ينبغى تسجيلها حول هذا الموضوع . منها مثلا أن الكابتن ربيع يس هبط مستوى أدائه بشكل خطير . ليس هذا ربيع يس الذى نعرفه . هل هى الشيوخوخة ؟ هل هو الارهاق ؟ هل هو الاحباط ؟ هناك سرما فى هبوط مستوى هذا اللاعب الذى كان فى الملعب مثل النحلة ، وفى الشوط على الأجوال كان مثل مدفع رمضان .. والكابتن حسام حسن تفرغ لمناقشة الحكام باعتباره عضو مجلس الكابتن فى برلمان الكورة . وحاول فى مباراة الكامبيون منع حكم المباراة من اطلاق صفارة النهاية . وكأنه يلعب فى أرض ماتوسيان بالجيزة ، وكأن الحكم هو المعلم قطب الذى يقوم بالتحكيم بين الفرق لقاء علبة سجاير !

الكابتن شوبير ادى واجبه على أكمل وجه ، وحمل مرماء من أخطار جسيمة ، ولو وصل فريقنا الى النهاية لحصل شوبير على لقب أحسن حارس مرمى فى افريقيا . الكابتن شوقى غريب بعد الاصابة غيره قبل الاصابة . وهو معذور بالطبع لانه لم يفرض نفسه على الجهاز الفنى ولكنهم اختاروه على أساس (عد غنمك يا جحا) الكابتن طارق يحيى لم ينجح فى اختراق الدفاع أو تخطى الظهير وفشل فى توقيف الكورة وفى تمريرها ، وتهيأت له الكورة أمام المرمى فطمع وتحفز وشاط الكورة فى الظهير النجبرى . ومع ذلك تركه المدرب يلعب الشوط الاول فى مباراة نيجيريا ، وسمح له باللعب أغلب الشوط الثانى ، ومع أنه كان فى كل الوقت مشاهدا إلا أنهم لم يسحبوه من الملعب باعتباره أحد خبراء الكورة فى قارة افريقيا ، ويبدو أنه كان مكلفا بكتابة تقرير عن سير المباراة !!

التغيير الذى حدث فى الشوط الثانى كان خطأ جسيما . لانه أشرك رمضان فقط ، وكان ينبغى اشراك عماد سليمان أيضا باعتبار أن مباراة نيجيريا كانت مباراة حياة أو موت ، ويأطابت يا اتنين عور !!

على العموم لا داعى للحزن ، ولا وقت للعتاب ، وفى دنيا الكورة حظوظ كما فى دنيا البنى آدمين ، والعبد لله ليس من أنصار اعطاء الكورة حجما اكبر مما تستحق كما يفعل بعض السادة المعلقين . فيربطون الفوز بالحضارة ، ويعتبرون الهزيمة ضربا من ضروب العار ، والتعادل رجس من عمل الشيطان . مع أن الكورة مجرد لعبة ، يهزم فيها القوى أحيانا ، وينتصر فيها الضعيف أحيانا ، كما حدث عندما هزمت الجزائر المانيا الغربية ، وكما هزمت البرتغال انجلترا ، وكما أخرجت بلجيكا الاتحاد السوفييتى من كأس العالم ، كما أن أغنى وأقوى دولة على ظهر الأرض وهى الولايات المتحدة الامريكية ليس لها فى كرة القدم إلا الفريق الأولمبى ، وهو يلعب الكورة كما الخالق الناطق فريق بلبيس !

بقيت نقطة أخيرة هى مسألة الكابتن كعبها ، والسبب الذى من أجله ذكرناها فى بداية الحديث . السبب أيها السادة أننا خرجنا من دورة افريقيا بسبب الهدف الفطيس الذى دخل مرمانا فى مباراة الكاميرون ، والذى سجله العجوز (ميلا) فى حراسة اثنين من خفراء مرمى مصر الدولى وقفا يشاهدان الكورة وهى تتهدى داخل المرمى ، ويأسفان لعدم وجود كاميرا معهم لتسجيل هذه المناسبة السعيدة التى ترشحهما للحصول على جائزة الكابتن (كعبها) الدولية ، ولولا هذا الهدف اللعين ، فمن يدري ؟ ربما لعبنا فى الدور قبل النهائى ، وربما فى الدور النهائى ، وربما عدنا فى حوزتنا كأس حنين بدلا من العودة بصندل حنين ، باعتبار أن حنين الكروى ليس له (خف) ولكن له جزمة (كلارك) من النوع الثمين .

على العموم "هاردلك" للفريق المصرى فقد أدى واجبه فى حدود امكانياته وأعطى فى حدود طاقاته ، وفعل المستحيل من أجل النصر والفشل فى دورة الدار البيضاء ليس نهاية الحياة . وكمن من دورات قادمة سنواجه فيها الفشل ، وكمن من دورات قادمة سنحقق فيها النجاح . لأن المهم فى هذه الدورات هو التواجد وليس الفوز ، والمنافسة وليس النصر ، وضياح الكأس مسألة طبيعية للغاية ، لأنها لو دامت لغيرنا ما اتصلت الينا . وأيضا لأن الكأس - فى الكرة كما فى المنايا - على الأبطال دوار !

مرحبا أيها السجن

تصويرا .. منذ نحو ٦٠ عاما ، كتب الكاتب الساخر عمنا الكبير الشيخ عبدالعزيز البشرى مقالا اتهم فيه رئيس الوزراء وقتئذ ، حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا ، اتهمه بالخيانة ، وبأنه باع مصر للاعداء . وسخر الشيخ عبدالعزيز البشرى من رئيس الوزراء قائلا : وبالرغم من خيانة رئيس الوزراء فأننى اعترض على محاكمته ، لأن فى هذا ظلم لرئيس الوزراء ، لأنه ليس شخصا واحدا ولكنه عدة أشخاص . ولا يجوز محاسبة كتفه بما جناه رأسه . ولا يمكن محاكمة

بطئته على جرم ارتكبه فخذ.. الى آخر ما جاء فى المقال .

وبالرغم من ذلك حكمت محكمة جنايات مصر برئاسة عبدالعزيز باشا فهمى ببراءة الشيخ عبدالعزيز البشرى . وجاء فى حيثيات الحكم : أن الرجل العام وعلى الأخص الذى يتولى مسئولية عامة يكون عرضه للنقد وبالأسلوب الذى يراه الكاتب مناسبا كذلك !

ومنذ نحو ٦٠ عاما أيضا كتب المرحوم الفنان بيرم التونسي وبالخط العريض على صدر صحيفة المسلة - التى هى لا جريدة ولا مجلة - ملعون أبو المحافظ ! وتحت العنوان كتب يقول : بينما كنت أمشى فى شارع الأزهر اذ احتك بى نشال ولهدف المحفظة من جيبي ، فلما اكتشفت السرقة هتلت من أعماقى ملعون أبو المحافظ . والسبب اننى كنت قبل ذلك أضع نقودى فى جيبي ، ولكن أحد أصدقائى نصحنى باقتناء محفظة لحفظ النقود ، فاذا بالنشال اللعين ينشل النقود والمحفظة ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أصرخ ملعون أبو المحافظ !

وقضت محكمة جنايات مصر ببراءة بيرم التونسي من تهمة سب المحافظ ، لأنه لم يقصد سب محافظ القاهرة ، ولكنه كان يسب المحافظ - جمع محفظة - التى سرقها النشال ومعها نقوده !

ومنذ ٤٠ عاما على وجه التحديد كتب العبد لله مقالا عن الفريق محمد حيدر باشا فى مجلة "كلمة ونص" ، والتى كان يرأس تحريرها الأستاذ مأمون الشناوى ، وبعد أن هاجمت حيدر باشا هجوما شديدا ، ختمت المقال قائلا : ويعتبره الخبراء العسكريون واحدا من ألمع جنرالات الحرب فى العالم ، وعلى رأسهم جنرال اليكتريك وجنرال مونتورز . ومع ذلك حكمت المحكمة ببراءة العبد لله من تهمة القذف فى حق القائد العام محمد حيدر باشا .

حدث هذا منذ ٦٠ عاما وحدث مثله منذ ٤٠ عاما فما الذى يجرى فى مصر هذه الأيام ؟ هل تدهورت الأحوال بصحافة مصر فأصبحت أقل حرية فى الثمانينات مما كانت عليه فى العشرينات وفى الأربعينات ؟ الحقيقة أن قضاء مصر الشامخ لا يزال عند موقفه فى قضايا النشر ، بالرغم من المحاولات التى تتعرض لها الصحافة من بعض الجهات ، وبالرغم من مساعى البعض فى وضع السدود أمامها والقيود فى معصمها ، وهى مسألة يجب أن يتوقف عندها الصحفيون جميعا ونقابتهم على وجه الخصوص .

أذكر اننى منذ ١٥ عاما كنت مقدما لمحكمة الجنايات فى قضية قذف ضد رئيس مجلس إدارة مؤسسة السينما . وكنت قد اتهمت القائمين على المؤسسة بسرقة أموال الدولة وتهليلها . وكان على رأس المؤسسة رجل يدعى تركى انتقل الى رحمة الله ، وتساطلت فى المقال : "هل هو تركى فعلا ؟ أم أنه مجرد اسم مثل بقلظ

وزقلت ، وباعتبار أنها مجرد أسامى .. والاسامى ببلاش " . وقلت أيضا فى معرض الحديث عن الفساد الذى يضرب جذوره فى المؤسسة : " ولقد شد الضانى السحار الى الإذاعة ، فشده السحار الى السينما ، ومن شدك تشده ولو بعد حين " ! وكان العبد لله وقت نظر القضية يقضى عقوبة مدتها عامان فى سجن القناطر فى القضية المعروفة بأسم مراكز القوى .

وبالرغم من ظروفى التعيسة إلا أن المستشار أبوهيف أصر على منحنى الفرصة كاملة فى الحصول على المستندات التى تثبت فساد المؤسسة وتبديدها لأموال الدولة . ولم يعجب ذلك القائمون على أمر المؤسسة فسعوا بشدة لنقل القضية الى دائرة أخرى ، ونجح مسعاهم فى النهاية فأحيلت القضية الى دائرة المستشار زكريا حذيفة . وربما اختاروا المستشار زكريا حذيفة بالذات ، لأنه كان من ضحايا ما يسمى بمذبة القضاء ، ولأننى من مراكز القوى ، ولكن لأن القضاء المصرى عادل وقضاة مصر فوق مستوى الشبهات ، لذلك صدر الحكم فى النهاية ببراءة العبد لله ، وجاء فى الحيثيات : " حيث أن المؤسسة كانت فاسدة فان القائمين عليها بالضرورة كانوا فاسدين " . وأثبت المستشار العظيم فى حكمه التاريخى ضياع ٨ ملايين جنيه من أموال المؤسسة بطرق مشبوهة ولعلاقات مريبة .

والجدير بالذكر الآن هو ما قاله شيخ المحامين المصريين وعمدة خبراء قضايا النشر ، قال عمنا الدكتور محمد عبد الله : " انه شيء مؤسف للغاية أن يكتب كاتب ساخر فى العشرينات هو الشيخ عبدالعزيز البشرى يتهم رئيس وزراء مصر بالخيانة ويحكم عليه بالبراءة " ، وان يسخر كاتب ساخر آخر فى السبعينات من رئيس مؤسسة السينما فنحكم بحبسه مع الحرامية واللصوص وتجار المخدرات " . وتسائل شيخ المحامين المصريين : " إلى أين نحن ذاهبون يا حضرات المستشارين العظام ؟ وما هو المصير الذى ينتظرنا جميعا إذا تعقبنا كل صاحب قلم ، وكل صاحب رأى ، ودفعنا بهم الى السجون " ؟ وأغرب شيء أن الدكتور محمد عبد الله لم يكن موكلا للدفاع عن العبد لله ، ولكنه حضر كمشاهد للقضية ، وهو الذى طلب الكلمة ، ورحبت به المحكمة ، باعتباره هو الحجة فى هذا المجال .

وانذكر أنه قال فى مستهل مرافعته ، اننى سعيد أيها السادة لأننى أحضر هذه القضية أمام محكمة الجنائيات ، فمنذ عهد طويل لم تنتظر محاكم الجنائيات عندنا إلا قضايا المخدرات والقتل والسطو المسلح والاغتصاب . وهذه أول مرة منذ ربع قرن تنتظر فيه محكمة الجنائيات قضية من قضايا النشر ، بعد أن خيل إلينا أن مثل هذه القضايا صارت جزءا من متحف التاريخ ، وأن وصول مثلها الى محكمة الجنائيات هو ضرب من المستحيل ، كالقول والعنقاء والخل الوفى ، ولذلك حضرت لكى أشاهد بعينى واستمع بأذنى الى ما يدور فى هذه القاعة ، ولكى أرى بنفسى صحفيا يجلس فى قفص الاتهام خلف القضبان .

وبعد مرافعة الدكتور محمد عبدالله لم تجد هيئة الدفاع ما يدعوها الى المرافعة امام المحكمة ، وكانت هيئة الدفاع مكونة من الاساتذة عبدالرؤوف على وصبرى مبدى وعباس الاسوانى وعبد الحميد قطامش . واذكر أن جميع الصحف رفضت يومها نشر الحكم حتى كأعلان . ولم تنشره إلا مجلة صباح الخير لأنها كانت صاحبة مصلحة فى النشر ، لأنها هى التى نشرت المقال ونشرته أيضا جريدة الاخبار ، وهو موقف أذكره لها ولا أنساه .

ويبقى بعد ذلك إن التعديل الذى تم ادخاله منذ ثلاثين عاما على المادة ١٢٣ من قانون الاجراءات كان يهدف الى حماية الموظف العام الذى يشترك أو يتواطأ مع لصوص المجتمع الكبار ، الذين تمكنوا خلال فترة طويلة من الزمان من نزع كنوز مصر والفرار بها الى خارج البلاد . ولكن .. وبالرغم من ذلك تمكنت الصحافة المصرية من ضبط عشرات النصابين والقبض على عشرات اللصوص ، وكانت صاحب الفضل الاول والاخير فى كشف رشاد عثمان وعصمت السادات والحاج محمد لطفى والمرأة الفولازية . ولولا الصحافة لظل هؤلاء يمارسون عمليات النهب والسلب حتى الآن .

وبعد .. لقد قدم العبد لله الى محكمة الجنايات ثلاث مرات فى قضايا نشر ، وأكثر من عشر مرات امام محاكم الجنج مع غشاشين اللبن وحرامية طاسات السيارات ، وكان الحكم بالبراءة فى كل الاحوال . وعلى العموم .. العبد لله دخل السجن ثلاث مرات فى قضايا سياسية ملفقة ، فما المانع من دخول السجن فى قضية نشر . وسأوصى أبنائى بأن يكتبوا على قبرى بعد موتى .. هنا رجل عاش من أجل الكلمة وسجن بسببها ، ومات حزينا .. لأن الموت سيمنعه من مطاردة اللصوص والنصابين والادعياء !



**المهلباتى
والمهلباتكو!**



كلنا نسمع عن التهليل والمهللتي . ولكن هل تعرف من هو المهلبتي ؟
بعض الناس تعتقد ان المهلبتي هو الحرامي او الاونطجي او النصاب .
ولكن الحقيقة عكس ذلك على طول الخط .

فالتعليب مهنة محترمة يزاولها بعض الناس ، ويحصلون على رخصة من
الحكومة للتهليل ! وبعد حصول المهلبتي على الرخصة ، يصبح عضوا
محترما في الهيئة الاجتماعية ، وقد يصادفه الحظ فيصبح مليونيرا وبنكيرا ،
وقد يصادفه النحس فيشيب شعر رأسه ويصاب بالشيخوخة ، وقد يلقي
حظه قبل الاوان ! ولذلك اقلعت عن وصف حرامية البنوك ولصوص المال
العالم بالمهلباتية .

فحرامي البنوك ليس من طبقة المهلباتى ، ولكن يمكن وصفه بالمهلباتكو ، وعلى
وزن الشركات التي يؤسسها جماعة اهل الخير ، ومن عينة شركات عزيزكو
وعبدالعاطكو وهيدكو وزمزمكو وعطوتكو الى آخر هذا النوع من الشركات التي
ابتلانا بها الزمان .

أما مهنة التهليل الحقيقية فهي مهنة بسيطة وإن كان رزقها واسعا . وهي
تحتاج الى خبرة وتحتاج الى رأسمال وأيضا الى حظ . ولكن رأسمالها بسيط
بساطة المهنة نفسها . وهو لا يزيد عن قارب بخارى سريع ومساعد نشيط ، وهلب
من الذى تستعمله المراكب ، وسلك طويل من الصلب .

ويبدأ المهلباتى يومه بمسح منطقة الميناء ، فإذا كان المهلباتى من بورسعيد او
من السويس ، فهو يمسح منطقة الميناء أولا ، ثم ينطلق بعد ذلك وعلى طول القناة ،
ساحبا هلب خلفه ، وكل مهلباتى ونصيبه ، وكل مهلباتى ورزقه ، الهلب يشبك فى
صندوق ، يشبك فى حقيبة ، يشبك فى شوال ، المهم أن المهلباتى عندما يشعر
بأن الهلب شبك ، يقوم بسحب الهلب على الفور ، وينتشل الرزق الذى أرسله البحر
الى السيد المهلباتى ! أحيانا يكون الصيد صندوق ويسكى ، أو شوال بطاطس ، أو

صندوق شاي ، أو صندوق جواهر ، وكل واحد ورزقه .. ويرزق من يشاء بغير حساب !

ولكن ياديهة دقي إذا جاءت الرياح بما لا يشتهي الهلب . مرة سحب المهلباتى صندوقا كبيرا من البحر ، فإذا به صندوق متفجرات ، وهكذا فقد المهلباتى عينيه وإحدى ذراعيه ، وكاد - لولا لطف الله - أن يفقد حياته . ومرة إكتشف المهلباتى إن الهلب إصطاد جثة مشوهة ثم تبين بعد ذلك إنها لجندى إسرائيلى من قتلى حرب أكتوبر ، وأن نصف الجثة لم يذهب عبثا ، وإنما ذهب طعاما للأسماك وهكذا ترى أن التهليب مهنة محترمة ، والمهلباتى مواطن شريف يعتمد على الخبرة ويعتمد أيضا على الحظ ، كما أنه مواطن صالح ومغامر وعلى باب الكريم . وقد يصبح مليونيرا فى تهلية ، وقد تقضى عليه تهلية .

ولذلك توقفت ، وينبغى أن نتوقف جميعا عن إطلاق إسم المهلباتية على حرامية البنوك ولصوص المال العام . لان المهلباتى بالشكل الذى شرحناه ، هو مواطن شريف ووجوده ضرورى لتطهير الممرات البحرية من مخلفات السفن العابرة . أما لصوص البنوك ، فهم أحقر أنواع المجرمين الذين عرفتهم مصر فى تاريخها ، وهم أخطر أنواع الإرهابيين على الإطلاق . ولكننا للأسف الشديد نطبق قانون الطوارئ على الإرهابيين الذين يطلقون النار على خصومهم السياسيين ، ولا نطبق القانون ذاته على الذين يقتلون الوطن نفسه ، ويزهقون روح الشعب كله ، مئات والوف من الحرامية والمحتالين كنسوا البنوك ونهبوا المال العام . وإكتفينا بسجن الواحد منهم عدة أشهر ومصادرة ما تبقى لديه من أموال وممتلكات . وهى فى الغالب لا تكون أكثر من بضعة قروش فى بنك ، وبيت حكر فى حارة الطشطوشى ، ودبلة زواج من أيام الفقر ! ويدعى الحرامى من دول أن الفلوس ضاعت فى السوق .

وتسأل : أى سوق ؟ فلا تجد جوابا على الإطلاق . لان السوق برىء من أموال النصاب براءة الذئب من دم ابن يعقوب . ويغادر الحرامى من دول سجنه ليهاجر بعد ذلك إلى إستراليا أو أمريكا أو أوروبا ليصبح فيما بعد صاحب شركات أو صاحب أعمال ، أو يتبجح أكثر كما فعل توفيق عبدالحى فيصبح صاحب جريدة ، ويناضل على صفحاتها ضد الأوضاع الخاطئة فى مصر !! والعبد لله لا يعرف لمن يكون قانون الطوارئ إذا لم يكن لهؤلاء . لقد طبقنا قانون الطوارئ على التنظيمات السياسية التى تستخدم المدافع فى الحوار وهذا عدل ، وطبقناه على تجار المخدرات وعلى تجار العملة فى السوق السوداء .. وهذا أيضا عدل . ولكن هل تجار المخدرات أشد خطرا من لصوص البنوك ؟!

هل تجار العملة الصعبة فى السوق السوداء أكثر إجراما من حرامية المال العام ؟ إن سيدة حلوة ليس لها سابق عهد بأعمال التجارة ولا بأشغال المقاولات إستطاعت أن تقيم فى مصر إمبراطورية ، ولهفت ملايين الجنيتيات ، لهفتها



بالرشاوى وبالهدايا وبالاكراميات ، وأطلقت على نفسها إسم المرأة الحديدية ،
والمرأة الشيطانية ، والمرأة العجمية ، واستطاعت بفلوسها أن تفرض اسمها
ورسمها على كل صحف مصر القومية والقطرية أيضا !

ومن أخبار هذا الأسبوع أن المستشار محمد الجندى النائب العام أصدر قرارا
يمنع ثلاثة أشقاء أصحاب شركات نسيج وتريكو من السفر والتحفظ على أموالهم
وأموال أولادهم ، ليه ؟ لأنهم إستولوا على ٨٥ مليون جنيه من أموال البنوك .
٨٥ مليون جنيه ياكفرة ؟ طيب لو ذهب العبد لله أو أى مواطن مصرى الى أى بنك
وطلب سلفة ٨٥ جنيه فقط من غير مليون ولا أى حاجة ، فهل يعطيه البنك هذا
المبلغ المتواضع الذى يحتاج اليه ؟ النتيجة ستكون الرفض ولا شىء غير
الرفض . ولكن عندما يطلب ثلاثة أشقاء من عائلة واحدة ليس لها شهرة تجارية ،
ولا سابق إشتغال بأية أعمال ، إلا إذا كانت الصياغة تدخل فى باب الأعمال ،
عندما يطلب هؤلاء ٨٥ مليون جنيه كقرض حسن وإلى حين ميسرة ، فالموافقة تتم
فى الحال ، ليه ؟

فهل صحيح كما يشاع أن هناك عملية رش ضخمة حدثت بين الذى اقترض
والذى إقترض ؟! لان عائلة إسمها الثقفى أو الصيرفى أو الصردى لا يمكن أن
تكون موضع ثقة إلى الدرجة التى تهبر فيها ٨٥ مليون جنيه بدون أية ضمانات .
ولا بد أنهم اقترضوا المبلغ بأسلوب شيلنى وأشليك ، وياخت من نفع واستنفع ،
وأطعم الفم تستحى العين ، وتراعى مليون أراعى اتنين !

وهذه البنوك التى اقترضت ٨٥ مليون جنيه لعائلة عريقة من عائلات حوش بردق
ليست من عينة بنك حبيب أو بنك زليخة ، ولكنها بنوك محترمة من بينها بعض
البنوك الإسلامية ، ولاعتاب ولاملام على البنوك الإسلامية ، باعتبار أن فى أموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم ، ويبدو أنهم بعد أن بحثوا وتقصوا إكتشفوا أن
العائلة إياها غلبانة ياعينى وكبدها ناشف من قلة الزاد ، وإنها من النوع الذى
يندرج تحت بند السائل والمحروم ! ثم إيه يعنى ٨٥ مليون جنيه ! فى بنك ربنا
أكرمهم يابا ، وجعل الناشفة فى إيده خضرة ، بسبب رضا الوالدين وبركة دعاء
المستثمرين !!

ولكن الذى يكاد يقتلنى غما هو موقف بنوك القطاع العام . وعلى رأى المثل عد
غنمك ياجحا ، قال واحدة واقفة وواحدة نائمة ! كيف سمحت هذه البنوك لنفسها
وهى بنوك دولة مدينة ؟ أن تمنح ٨٥ مليون جنيه لعائلة مضروبة تدير شركات
نصب من عينة عزيزكو وصادفكو دون أية ضمانات حقيقية . أبحثوا الامر أيها
السادة ، فستكتشفون أن هذه العائلة لم تحصل إلا على ٤ ملايين جنيه فقط ،
والباقى أخذ طريقه إلى جيوب آخرين أطمأنوا إلى أن صاحب القرض مسنود
وظهره جامد وجيبه عامر بفضل الله ولقد كان من الممكن أن نغفر لهذه البنوك لو

انها منحت القروض لعائلات من نوع طلعت حرب أو اللوزي أو فرغلي ، بإعتبار أنها عائلات إقتصادية ، ويمكن لها لو توافر عندها فائض أموال ورغبة فى العمل أن تحقق شيئاً له قيمة . ولكن أن نعطي أموالنا لعائلات حكمة وبرعى وأبو الليف وسمسون أرضى ، ولشركات من نوع حافظكو وحارسكو ، فهي مسألة تحتاج إلى وقفة مع العدو قبل الصديق ، وإلى ضرورة فرض قانون الطوارئ على كل الذين نهبوا أموال مصر فى الفترة الماضية وتسببوا فى خراب مصر ، ولم يفعل ذلك فى تاريخ مصر من قبل إلا نبوخذ نصر البابلي وابن عثمان التركي وابن ديان اليهودي ، عندما احتل سيناء وشغط بترولها وسرق أثارها ونهب حتى قضبان السكة الحديد !

صدقوني أيها السادة حين أقول لكم إن الذى حدث فى مصر فى مرحلة الانفشاح التهديبي لم يحدث من قبل فى بلدنا إلا فى عصر قناصل الدول الأجنبية ، ولكن عذر الذين نهبوا مصر فى الأيام الخوالى ، أنهم كانوا جميعاً من صنف الأجانب ، قبارصة على أروام على طلائنة على صياح من مالطة على خواجات من فرنسا ومن بلاد نهر التايمز . أما الذين نهبوا مصر فى تلك الفترة القريبة فهم كلهم من مصر ، وأغلبهم من طبقة الصياح ، وأسماؤهم تنم عن البيئة التى نشأوا فيها ، والأزقة التى ترعرعوا فى سراديبها ، زينهم وعبدالحى وعبدالحافظ وعبد وعبد والسكاسنجى ، وهؤلاء برغم انحطاطهم وجهلهم ، عاملوا مصر كمستعمرة ، وربما بأشد مما فعل بها المستعمر المحتل ! لم يتقوا الله ، ولم يخشوا عذاب يوم عظيم .

والسؤال الآن : أين ذهبت هذه المليارات التى نهبها هؤلاء السادة الذين يدعون الآن أنها ضاعت فى السوق ؟ الأكيد أن هذه الأموال فى الخارج ، وهى أموال تستطيع سداد ديون مصر فضلاً عن إنعاش مصر ووضعها على أول طريق الرخاء والسلام الاجتماعى . ولقد قال لى الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل فى الأسبوع الماضى إنه قرأ تقريراً اقتصادياً عالمياً صدر فى الفترة الأخيرة ، وأن التقرير قال بصريح العبارة إن السادة الهابرين يملكون فى بنوك أوروبا وأمريكا وجزر البهامز ، ٦٩ مليار دولار بالتام والكمال !

ونستطيع إعادة هذه الأموال لو طبقنا قانون الطوارئ ، ولو أخذنا جميع الهابرين بربطة المعلم وحبسناهم فى معتقل الواحات الخارجة ، لا يخرج منه أحد على الإطلاق ، إلا إذا أعاد إلى مصر ما هلبه من البنك وهربه خارج البلاد ! جربوا هذه الوصفة ، وصدقوني .. ستكون هذه بداية طيبة لانعاش البلاد والعباد .



الوزير أحمد سلامة رجل طيب القلب حسن النية ، فقد أعلن أمام مجلس الشعب فى الأسبوع الماضى أن مياه الشرب نظيفة ونقية ومثل زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات ! وأعلن أيضاً أنه لا توجد حالة تسمم واحدة نتيجة مياه الشرب وأن

المستشفيات لم تبلغ عن حوادث من هذا النوع لا فى هذا الاسبوع ولا فى هذا الشهر ولا فى أى وقت على الاطلاق .

طبيب ما رأى السيد الوزير أن العبد لله أصابه التسمم فى الاسبوع الماضى بعد أن شربت كوب مياه واحدا من مياه الحنفية . والغريب أن ابنى اكرم وهو شاب وصحفى وعامل ورشيد أيضا نبهنى قبل أن أشرب أن المياه لها رائحة تشبه رائحة ولا مؤاخذة ! ولكنى لأنى من جيل الوزير أحمد سلامة ، ولأنى أيضا طبيب القلب وحسن النية فقد نهرت ابنى اكرم باعتباره من الجيل الجديد الذى لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب . وبعد هذا الكوب من الماء رأيت الموت وجها لوجه وتعرفت عليه شخصا ، انتابتنى حالة مثل حالة المصاب بالكوليرا وأشد .

والحق أقول إننى لم أذهب إلى مستشفى ، ولكن إتصلت تليفونيا بالطبيب الدكتور عبدالمعز وشرحت له الحالة فطمأننى بأن الحالة ليست خطيرة ، وأمرنى بالكف عن الشرب من مياه الحنفية ، وقال إنها تسبب حالات من هذا النوع وإنها منتشرة هذه الأيام وأنها تحمل ميكروباً لا يعيش إلا فى المجارى ، وهو ميكروب اسمه سلامونيا أو سلاميا أو شىء من هذا القبيل . وقال إن هذه الحالة منتشرة بشدة وإنه عالج منها هذا الاسبوع أكثر من عشر حالات !

هل لا يزال الدكتور أحمد سلامة مصرا على أن مياه الشرب نظيفة ونقية ومثل زوجة قيصرفوق مستوى الشبهات ؟ إذا كان لا يزال مصرا ، فقد ذكرنى بحكاية ظريفة رواها لى صديقى الحاج إبراهيم نافع وهو مزارع وصاحب عزبة فى المنصورة . فقد ذهب مرة لشراء سماد طبيعى من مخلفات البشر . لزوم تسميد أرضه الزراعية ، وسأل الحاجة صاحبة الشىء إياه عن سعر المتر ف قالت الحاجة : مائة جنيه للمتر ، وقال الحاج إبراهيم للحاجة صاحبة الشىء إياه : مش السعر غالى شوية يا حاجة ؟ ووضعت الحاجة يدها تحت خدها فى هدوء وقالت فى صوت خافت : "خش إتفرج بنفسك ، إحنا بضاعتنا نضيفة " وإذا كان الوزير يقصد أن بضاعة الحنفية نضيفة بهذا الشكل ، فأننا موافق ومسرور ومسموم ..

أفندم !!



**على قهوة
أنديانا !**



خلال رحلة الحياة الطويلة وعلى طريق صاحبة الجلالة الصحافة تعرفت على عدد كبير من الملوك والزعماء والرؤساء والقادة . كان اول الملوك الذين التقيت بهم هو الملك محمد الخامس ملك المغرب بعد عودته مباشرة من منفاه .. واكتشفت خلال اللقاء ان الملك العربي كان يحلم - بداية - بوحدة من طنجة الى طبرق ، او بوحدة الكسكسي والجلاب على حد تعبيره .. والكسكسي هو الطعام الشعبي للمغرب العربي كله ، والجلاب هو الزى القومى .

واكتشفت ايضا ان بينى وبين الملك هواية مشتركة هى الاستماع الى صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد . وطففت تونس كلها مع الزعيم بورقيبة عقب خلع الباي . واعلان الجمهورية ورأيت على الطبيعة كيف يكون الزعيم شعبيا . فهى فطرة لايمكن لاحد ان يصنعها او يصطنعها .

كانت فطرة فى سعد زغلول وفى مصطفى النحاس وفى جمال عبدالناصر ، وعرفت شكرى القوتلى وهورئيس سوريا ، وأحببته وصادقته ايضا . ونهاني بشدة عن اطلاق لفظ الكاميرا على آلة التصوير . ونبهنى الى ضرورة استخدام الاسم العربى الصحيح . وسألته : وماهو الاسم الصحيح للكاميرا ؟ قال : اسمها العكس . ليه ؟ لانها تعكس صورتك على الورق الحساس . وتعرفت على الرئيس بومدين خلال اشتعال الثورة فى جبال الجزائر ، وقضيت معه ليلة كاملة فى معسكر العربى بن مهيدى على الحدود المغربية الجزائرية ، وكان يحلم بجزائر جديدة وقوية وعربية !

وجلسنت على الارض مع الرجل العربى البسيط الشيخ زايد ، عندما لم يكن فى ابوظبى سوى السماء والارض ، وكان يحلم هو الآخر بدولة عامرة وفتية وممتدة ومعتمدة من البحرين والى كالباء !

وتعرفت على اكرم الحورانى عندما كان الحاكم الحقيقى فى دمشق ، واعجبني ذكاؤه وحماسه ، ومن شدة اعجابى به اطلقت اسمه على اسم ابنى الوحيد .. اكرم .

وكان هو الآخر يحلم بدولة قوية وعفية ومقتدرة ولايات عربية متحدة ومتماسكة .. من مراكش والى صنعاء ..

وعشرات غير هؤلاء تعرفت عليهم خلال رحلة الحياة الطويلة .. الملك فهد بتواضعه وبساطته وامين الحافظ رئيس سوريا الاسبق باستقامته وشجاعته . ونكروما باحلامه واحزانه واسماعيل الازهرى بطيبته وسماحته وامير البحرين بروحه المرحه وذكائه الوقاد ومعر القذافي بحيرته وقلقه . ومحمد احمد محبوب بفنه وثقافته ..

صدام حسين !

وفى بيت السفير المصرى عبدالعزيز اسحق فى القاهرة تعرفت على معظم زعماء افريقيا الذين نجحوا والذين فشلوا ، والذين ماتوا قبل ان يحققوا الحلم والذين افنوا العمر فى سبيل تحقيقه ، ثم عندما تحقق الحلم كان العمر قد ولى ! ورأيت جيفارا فى منزل صديق بالقاهرة ، واندثشت عندما رأيته لقد كان يبدو فنانا اكثر منه قائدا للثورة .. وتعرفت فى بيت الفنان طوغان على رجل غريب من بلاد بعيدة كان يعيش فى القاهرة . رجل يدعى شيدى جاجان . وكان يكافح على بعد الالف الاميال لتحرير بلاده .. جامايكا .. وبالرغم من بعد المسافة وسوء الظروف والاحوال ، فقد نجح الرجل فى النهاية وعاد حاكما لبلاده ولكنه لم يلبث طويلا فى كرسي الحكم .. فسرعان ما انقضوا عليه وقضوا على نظامه .

وما اكثر الرجال المشاهير الذين التقيت بهم خلال رحلة الحياة الطويلة ولكن اغربهم كان شابا صغيرا يجلس صامتا على مقهى فى حى الدقى هو مقهى انديانا . كان اسمه صدام حسين ، ولكن الظروف لم تتح لى ان اتعرف عليه بما فيه الكفاية . فقد كان شاردا ومشغولا على الدوام وكان هو نفسه الذى ذكرنى بتلك الايام البعيدة وعندما سألته عن سبب صمته وشروبه فى تلك الايام . قال : لاننى كنت احلم وبماذا تحلم يا عم صدام ؟ بامة عربية قوية وعزيزة وكريمة ومقتدرة - لقد حدث عكسه تماما كما يحدث دائما للاحلام - يتذكر الان حلمه القديم وهو قابع فى مخبئه تحت الارض هاهى النار والنار من فوقه تاكل الكويت وتكاد تقضى على كل العراق وتمزق العالم العربى وتبعثره اشلاء فى الهواء !! وامجاد يا عرب امجاد ! ولكنها الحياة ، صعود وهبوط ، وتلال ووديان وقمم وسفوح وتمضى الايام والناس ايضا ، ولا يبقى الا الكلمة الطيبة والعمل الصالح !

ليالى المنصورية !

لا اعرف اى سبب مقنع لتأجيل الجزء الرابع من مسلسل ليالى الحلمية ، وعرض مسلسل اخر بدلا منه فى رمضان القادم .. واعتقد انه مسلسل ليالى

الاسكندرية او ليالى المنصورية ، او ليالى الطرمسية . نسبة الى كفر طرمس .

يقول البعض ان المسلسل حساس ، لانه سيتعرض للمرحلة الحالية من حياة مصر ، ويتناول فترة الانفتاح وما صاحبها من انفشاح ، ويتعقب الذى عبر والذى هبر ، والذى خرج من المولد .. يامولاي كما خلقتنى ! واسأل بدورى حضرات السادة المسؤولين عن مسلسلات التليفزيون .. وماله ؟ لنفرض انه سيتعرض لكل هذه الاشياء .. فما المانع ؟ وما الضرر ؟ ومهما كانت نبرة المسلسل فستكون شهادة حق لهذا النظام الذى نعيش فى ظله الان .. والسبب ان هذا النظام الذى يحكم مصر هذه الايام هو الذى وضع رشاد عثمان خلف القضبان ، وهو الذى قدم عصمت السادات لمحكمة القيم وهو الذى حبس دم محمد لطفى وطارد المرأة الفولاذية وقصم ظهر الفساد ، واطاح بالهبيشه والخطافة .. والذين فى ايديهم كلابات لزوم التقلب والتهلبي .

لابأس اذن من عرض صور الفساد ولا جناح على من يتناول حياة الفاسدين حتى ولو كان بعضهم من كبار الموظفين او صغارهم . لانه لا يوجد على ظهر الارض دولة واحدة كل الموظفين فيها من اولياء الله الصالحين .

وسر نجاح مسلسل ليالى الحلمية انها تناولت بالنقد والتجريح والتشريح شخصيات لها وجود فى حياتنا . الست الهانم الملعب ، والباشا الهجاص ، والعمدة الثعلب ، والفدائى الحقيقى والفدائى النصاب ، واستعرض المسلسل نماذج بشرية شتى ، بعضها تدرج من فوق وبعضها تشعل من تحت . وهذا هو سبب انتشار المسلسل وتعلق الجماهير به ومن تصاريق القدر ان اغلب مسلسلات التليفزيون وقصص الافلام ايضا تتناول حياة بشر لانعرفهم وشخصيات لم نقابلها من قبل ، وليس هناك احتمال بأننا سنقابلهم فى اى وقت ، وشخصيات هبله ، اذا احبت تحب على طريقة قيس وليلى ، واذا قاتلت تقاتل كما عنتره وكما ابو زيد الهلالي سلامة ، وتجد شخصا يقع فى دبايب واحدة ست معصعة ، شفايفها فى حجم شفايف رتيبة حنفى . ولا تسألنى عن من تكون رتيبة حنفى لاننى لا اعرفها ، ولا اعتقد ان هناك احدا يعرفها فى اى مكان . المهم انه يفضل يحب ويواصل الحب ويستأنف الحب ، ويموت فى الحب ، وحتى ينتهى المسلسل او الفيلم دون ان تعرف .. ليه .. او ايه !

فتش عن الرقيب

والعبد لله يعتقد ان السبب المباشر لهذا الهرش مخ الدولى الذى نغص علينا حياتنا ونكد علينا عيشتنا هو إدارة الرقابة على المصنفات الفنية ، وهى إدارة تعيش فى عصر الخديوى عبدالسميع وهى تعتقد ان كل مستوظف حكومة مقدس

وكل صاحب مهنة محترمة هو آية من آيات الله . وهى تعترض على اى عمل فنى يتعرض لرجل الشرطة - اللهم الا عسكرى الدرك - باعتبار ان الشرطة فى خدمة الشعب . وممنوع على اى عمل فنى ان يتعرض لمحام . ليه ؟ لان المحامى هو نصير العدالة وخادم القانون . واذا تناول العمل الفنى احد رجال الصحافة ، هاجت الصحف وماجت وتدخل الرقيب على الفور .. لماذا ؟ لان الصحافة هى السلطة الرابعة ، وهى صاحبة الجلالة ، وكل العاملين فى بلاطها فى طيبة ابى موسى الاشعرى وفى ودع على بن أبى طالب ، وفى نزاهة عمر بن الخطاب .

اما اذا تناول العمل الفنى وزيرا أو وكيلا أو مديرا عاما فيا داهية دقئ .. ليه ؟ لان هؤلاء جميعا مثل زوجة فرعون لها قصر فى الجنة ، ومثل زوجة قيصر فوق مستوى الشبهات .

ولذلك تدور اعمالنا الفنية فى مجالات ضيقة ، وهى لا تتناول بالنقد والتجريح إلا فئات معينة وهى غالبا مقهورة ومكسورة الجناح دائما .. مدرس غلبان ، موظف كحيتى ، ممرضة كحيانة ، ساعى بريد تعبان ، ومن هنا يأتى التكرار ويصينا الملل ، لان الشخصيات فى كل الاعمال الفنية واحدة ولا تتغير !

ولكن فى البلاد إياها الباب مفتوح على البهلى والكل عرضة للنقد وعرضة للتشريع .. لانه مادام الانسان قد تولى عملا عاما ، واتخذ لنفسه مكانا تحت الضوء وأمام الجميع ، فمن حق هؤلاء الذين تصدى ، لخدمتهم ان يتصدوا لنقده . حتى ولو كان النقد جارحا او قادحا او لا يتفق مع اخلاق القرية .

وفى المسلسلات التليفزيونية فى البلاد اياها شاهدة اعمالا ابطالها رجل شرطة وأعضاء فى المجالس النيابية ووزراء وقضاة ومحافظين ورجال دين . لانه فى تلك البلاد لا أحد له حصانة أمام الفن ، حتى القضاء والحكومة والشرطة !

والآن .. هل أجد عند احد من السادة العارفين ببواطن الامور سببا واحدا يقنعنى بتأجيل مسلسل ليالى الحلمية ؟ خصوصا وان هذا النظام الذى نعيش فى ظله لم يكن السبب فى الفساد الذى نعيش فيه ، كما انه لم يتورع عن مطاردة الفساد وضربه ، ثم ماذا يمكن ان يقوله المسلسل اكثر مما قالت الحكومة ؟ وهى التى قدمت الى محكمة الجنايات محافظا وأكثر من رئيس مؤسسة وأكثر من وكيل وزارة وأكثر من رئيس حى .

يابتوع المسلسلات فى تليفزيون مصر ، افرجوا عن ليالى الحلمية ، لعل الله يرحمكم يوم الموقف العظيم .. قولوا انشا الله ..



آك ——— وري
 آك ——— واني !



وأك سوري إكوانى على رأى اخواننا فى جنوب السودان . وسوف اشرح لحضراتكم معنى العبارة حتى تتفهموا ابعادها وتدركوا مغزاها وتتحمسوا مرماها وهو مرمى منيع امنع من الشبكة بالنسبة لكباتن النادى الاسماعيلى .
فأك بمعنى اخ فى لغتنا الدارجة ، وهى تعنى الاسف مع الحسرة مع الندم مع الغم واقول الغم ولا اقول الهم لان الغم - بعيد عن القراء - هو الاحساس بوكسة الماضى والبكاء على شىء حدث من قبل أما الهم فهو شعور ارقى من الغم لانه شعور بالقلق على المستقبل ، والخوف من هاجس يحيط بالآتى .

وسورى هى كلمة « Sorry اسف » بلغة الانجليز وابناء العم سام وسكان استراليا واكوانى هى نفسها اخوانى بالبلدى الفصيح لولا ان جماعتنا فى جنوب السودان يقلبون الخاء كافا لغرض فى نفس يعقوب .

ولغرض فى نفس يعقوب واسحق وابراهيم ايضا ، اذفر أنا الآخر بهذه العبارة ليس حزنا ولا غما على الماضى فقط ، ولكن حزنا وهما على الحاضر والمستقبل أيضا .. فنحن العرب حكمة الله برعنا فى عملية الشجب بدرجة يحسدنا عليها اهل الارض جميعا كلما رزعتنا اسرائيل المزعومة علقه سخنة شجبنا العدوان الغادر ، وهناك عدوان غادر وعدوان طيب وعدوان لطيف وعدوان ابن ناس ؤ وعندما ذهب السادات الى القدس انهالت تصريحات الشجب من كل صوب وحذب ، واقبلت قوافل الشجوب - جمع شجب - من كل فج عميق ! وقتئذ كان العبد لله يقيم فى بغداد ، وكانت بغداد هى التى استنفرت العرب للوقوف فى وجه المبادرة الساداتية وضمنى تلك الليلة مجلس حضره اعضاء من الوفد السورى والوفد الاردنى والوفد الجزائرى وبعض الاخوة العراقيين وانا - حكمة الله - صريح كما اهل فى زفة ، صافى النية كما عبيط فى قرية . ولما كان الحديث كله عن ضرورة حشد الامة العربية لشجب المبادرة الساداتية . وحشد الامة المصرية للاطاحة بانور السادات ، فقد انسحبت من لسانى وقلت للحاضرين ان شجب الدنيا كلها لن يفيد فى مواجهة هذا الامر . وعندما سألونى عن البديل فى رأى العبد لله ، قلت ليس

هناك سوى بديل واحد ، هو ان تحتشد جيوش جبهة الصمود والتصدى وتهجم على دولة اسرائيل المزعومة ، وليس هناك سوى احتمالين ولهما نتيجة واحدة ان تهزم جيوش «الصمود والتصدى» دولة اسرائيل المزعومة او تنهزم جيوش «الصمود والتصدى» ، وتنتصر دولة اسرائيل المزعومة .

وفى الحالة الاولى ستسقط دولة اسرائيل وتذهب مبادرة السادات فى الكازوّة .. وفى الحالة الثانية ستقلب الاحوال داخل مصر ، لان جيش مصر البطل لن يقف مكتوبا اليدين وجيوش العرب تقاتل معركة المصير ضد العدو واقول الحق لحضراتكم . صوب الجميع نحوى نظرات غربية ، ترجمت بعضها على اننى ابله ، وبعضها على اننى حقير ، وبعضها على اننى ولد صغير لم يدرك حقائق الحياة بعد .

ولم انزعج على كل حال لهذه النظرات فقد اكون بالفعل تافه او ابله او طفل صغير لم ادرك حقيقة الحياة بعد . . . ولكن نظرة من هذه النظرات أزعجتني بشدة وجعلتني اتقلب فى فراشى كالمحموم طول الليل نظرة رمقني بها كادر حزبي يبدأ كلامه دائما بكلمة واحدة لا تتغير هى كلمة «الواقع وفى الواقع فان الانسلاخ من جسم المجموع من اجل الحصول على تمايز طبقى هو فى الاصل وفى الواقع فان الشواشى العليا للبراجوازية تهدف اولا .. وفى الواقع فان الحنجورى على قفا الشفق من اجل .

وفى الواقع الى اخر هذا الكلام الهرش مخ والذى حتما ولايدأ يبدأ دائما بكلمة «فى الواقع» كانت نظرة الاخ الحزبى اياه تعنى بصريح العبارة اننى جاسوس ! وبالرغم من اننى اهيل وتافه وعبيط وطفل ولا ادرك حقائق الحياة بعد فقد كان تفسيرى لنظرة الاخ اياه صوابا فى صواب وهو نفسه الذى تولى تفسير الامر للعبد لله بعد تلك الليلة بعام كامل فالدعوة الى حشد جيوش العرب من اجل معركة ضد اسرائيل هى فى الواقع دعوة لصالح اسرائيل اليه ؟

لان دول الصمود والتصدى مهمتها الصمود فقط داخل ارضها والتصدى فقط للعرب الذين يتصلون باسرائيل المزعومة اما الدعوة للحرب فى غير الوقت المناسب وفى غير المكان المناسب ، فهى مؤامرة لتحطيم قوة العرب وتسليم رقاب العرب لاسرائيل ولذلك . فمن واجب «الثوريين» العرب ان يحتشدوا للشجب ، وعليهم مواصلة الشجب ، والاصرار على الشجب حتى يصبح الوقت مناسباً للمعركة والمكان ايضا ، مع التاكيد على ان المعركة لن تنشب الا بمصر وبجيش مصر لانه لا معركة بغيرها ولا حرب وجيش مصر بعيد عن الميدان ، بعد هذه الجلسة بايام حضرت ندوة للسيد عبد الحليم خدام فى لندن ، وكان وقتئذ يشغل منصب وزير الخارجية السورية ، وكان يحضر الندوة معنا زعيم حزب الكهرباء وهو احد خدم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وعندما مات الزعيم كان الخادم اياه لا يملك سوى



مرتبته . ولكنه بعد رحلة «كفاح» خارج مصر .. وبعد تأسيس حزب الكهرباء صار من مليونيرات هذا الزمان . وهو يعيش الآن خارج مصر وبالكفاح امتلك شقة ثمنها مليون دولار في لندن ، ويمتلك شركة لمد اسلاك الكهرباء في بلد عربي ويقود حزبا لتحرير الامة العربية من الخليج الى المحيط . في اثناء الذنوة قتل للسيد عبد الحليم خدام : «اننا نعتمد عليكم في احراج نظام السادات بشن الحرب ضد اسرائيل» ، وابتسم عبد الحليم خدام واثار الى رئيس حزب الكهرباء وقال «ونحن نعتمد على رئيس حزب الكهرباء للاتاحة بالنظام الساداتي» ولم يكن عبد الحليم خدام يجهل حقيقة الزعيم الكهربائي او حزبه ، ولكنها كانت فرصة للقاء تبعة تحرير مصر على عاتق الزعيم الكهربائي باعتبار ان خدام ونظامه الطيب ليس من طبعه التدخل في شئون الآخرين ! وصرت ثوريا على الطراز العربي اشجب كلما سئحت فرصة ، واحيانا اشجب بدون مناسبة واحيانا اخرى اشجب على روعي من شدة ايماني بالشجب ! شجبت غزو اسرائيل لبيروت ، وشجبت غارة اسرائيل على تونس ، وشجبت خطف الطائرة المصرية ، وشجبت خطف الطائرة الليبية ، وشجبت الغارة الامريكية على ليبيا ، وشجبت استخدام الفيتو الامريكي لصالح اسرائيل .

وشجبت اضطهاد الفرق العربية في كأس الامم الافريقية ولكن الذي يغيظني بشدة هو انني كلما شجبت اكتشفت انني لا ازال مجرد تلميذ في مدرسة الشجب العربية . فبعض زعماء العرب - قواهم الله - يستخدمون عقاير لتقوية الشجب ، وبعضهم متمه الله بالصحة - يشجب ثلاث مرات على الاقل في الليلة الواحدة ، وبعضهم قادر على الشجب المتواصل حتى الصباح وصار الشجب هو اعظم بضاعة تنتجها امة العرب . والحمد لله لان اسرائيل المزعومة حفت قدمها من اجل استيراد شحنة واحدة ولكنها فشلت حتى الان ، واعتقد ان يقظتنا ووحدتنا اللي ما يغلبها غلاب قادرة على افشال المسمى الاسرائيلي للسيطرة على اسواق الشجب ! والدليل على اننا ملوك الشجب هو ما حدث اخيرا بعد لقاء بيريز والملك الحسن فقد شجب العقيد القذافي هذا اللقاء بشدة واخذ يشجب ثم يشجب ثم يشجب لدرجة ان الرئيس حافظ الاسد لم يجد ما يشجب به فقطع العلاقات وشجب بشدة ايضا منظمة امل وعلى دريها سارت منظمة حنان ومنظمة سعاد ومنظمة ريهام ومنظمة اشجان وغرق العالم العربي في معزوفة شجب من مقام البياتي والصبا والنهاوند . وسارع العقيد القذافي الذي هو في وحدة مع المغرب الى عرض الوحدة الاندماجية مع الجزائر ، ثم عرضها على الجمهورية الصحراوية (البوليساريو) ثم شجب العرب جميعا وعرض الوحدة على دولة «بوركينافاسو» باعتبار ان دولة فاسو هي الوحيدة التي تحرص على مقررات قمة فاس ! وشجب اللقاء ايضا الزعيم ابو نضال وبعد ان شجب ثم شجب ثم شجب بالثلاثة اقسام برأس سيدي المشجوب انه سيقتل كل من له علاقة بهذا اللقاء ، حتى الذين يشجبونه لان شجب اللقاء كاستحسانه .. وهو دليل على الاعتراف به ، وهي

جريمة يستحق مرتكبها الاعدام ، وشجب ايضا كل الاء الطيبين ، ابو مطوة ،
وابو مدفع ، وابو ميز ، وابوطيارة ، وابو غواصة ، وابو دبابة ، وابوقضية ، وابو
نكبة ، وابو كوارث ، وابو رجل مسلوخة ، وابو شجبان ! وبالطبع ستنتهى زويدة
الشجوب بالفصحى . والشجوبات بالبلدى ؟ وينفض المولد فى انتظار مناسبة
أخرى لاستعراض المشجوبات العربية ، خصوصا ان هناك اصنافا جديدة من
الشجب وارد بلاد بره ، وهى المعدل والمحسن كما ان هناك شجب خنزيرة وشجب
تمساحة وشجب حلوفة وهى اخر صيحة فى صناعة الشجبات !! واغرب شىء اننى
عدت الى لسان العرب المحيط لعمنا ابن منظور لأعرف معنى الشجب بالتحديد
واكتشفت عجبا ، فالشجب يشجب فهو شاجب ، وشجب بمعنى حزن ، وهلك ،
شجبه الله اى اهلكه . وفى الحديث الناس ثلاثة : شاجب ، وغانم ، وسالم ،
فالشاجب الذى يتكلم بالردىء ، وقيل الناطق بالخنا ، والمعين على الظلم ، والغانم
الذى يتكلم بالخير ، والسالم . الساكت ! وفى التهذيب قال : ابو عبيد : الشاجب
هو الهالك الآثم ، وامرأة شجوب اى امرأة ذات هم ، والشجب العنت يصيب
الانسان من مرض او قتال . وشجب الغراب نعق بالبين ، والمشجب هو الشماعة ،
وبنو الشجب قبيلة من بنى كلب !! وأتساءل الان كيف وصل بنى شجب الجدد الى
هذا المعنى الجديد للشجب ؟ حتى لغتكم يا ابناء الشجب أصبح لها معنى اخر غير
الذى قصده الاجداد . ويبدو اننا فى حاجة الى مراجعة للغة المستعملة الان لنصل
الى سبب الوجيعة وسر الخيبة التى نعانى منها هذه الايام نقول الصمود ونعنى
الصمود «جمع صمت» نقول التصدى ونمارس التردى فى واقع الحال . نعلن
اللاءات فى المؤتمرات وفى الممارسة تتحول اللاءات الى نعمات ، او نعمات
ونكتفى باخفاء رؤسنا فى الرمال ! نرفع شعار «امة واحدة ذات رسالة خالدة» ، ثم
نتحالف مع الغريب ضد جزء من الامة التى هى واحدة وذات رسالة خالدة !! نقسم
على التحرير من النهر الى البحر !! ثم نشرب من النهر مرة ومن البحر مرة ونعكف
على التحرير فى جرائد مأجورة وصحف معروضة صفحاتها فى المزاد ! نرفع
شعار البندقية وغصن الزيتون ، ثم نجعل غصن الزيتون من نصيب العدو والبندقية
نصوبها الى قلب صحفى يكتب رأيه او سياسى يبذل جهده فى مجال الممكن
والمتاح ! وتبتر الدول الغنية من اجل المعركة ، ثم نكتشف ان المعركة فى بيروت
وليست فى تل أبيب ! وليس هناك تفسير لهذا كله . إلا اننا نجهل لغتنا العربية ولا
ندرك بالضبط معنى الكلمات . . وما احوجنا الان الى منظمة جديدة وليكن اسمها
سيبوية وقائد من خريجي كلية اللغة العربية وليكن اسمه الحركى «ابوقاموس» وما
كان اغنانا عن هذا كله ، لو هجمت جيوش سوريا ومعها فيالق ابو نضال وابو الزعيم
وابو الغيط على اسرائيل ! وما كان اغنانا عن هذا الموقف المتردى لو اغارت
اسراب الجو الليبية على الأرض الاسرائيلية وحطمت طائرات العدو وهى جاثمة
على الأرض ، وقطعت خطوط مواصلاته ودمرت منشاته الاقتصادية وما كان اغنانا

عن هذا الموقف العصيب لو ان أبو نضال أو أبو كفاح أو أبو قتال صوب مدفعه الرشاش الى قلب شامير أو شارون بدلا من قتل سليم اللوزي ورياض طه ومحاولة قتل احمد الجار الله لو حدث هذا او شيء من هذا لما كان هناك ميادرة ولا كان هناك اجتماع قمة بين مسئول عربى ورئيس وزراء العدو ! لانه فى العلاقات بين الدول بعضها وبعض ، أما ان تحارب عدوك وأما ان تحاور عدوك ، ولم يذكر التاريخ لنا مثالا واحدا عن حروب الشجب ! ولكن يبدو ان السادة الافاضل قادة جيوش الشجب يفهمون لغة العرب اكثر مما يفهمها العبد لله وهو على حق باعتبار ان بنى يشجب هى قبيلة من بنى كلب . وما الشجب الا مجرد «هوهوة» فى وجه العدو .. وهو اما يخاف ويهرب واما يضرب بنى كلب علقة سخنة كلما سنحت فرصة فنعود الى «هوهوة» اشد ! وختاما استنكر كل حرف جاء فى هذا المقال حتى لا يتعقبنى بنى كلاب وحتى لا يفرغ رصاص مدفعه فى قلبى الرفيق أبو زلومة أو الرفيق أبو قردان !!



يا عمال العالم
'بکای بکای'



كان الله فى عون الرفاق الاوربيين فقد طلع نقبهم على شونة ، وانتهت أحلامهم الى كوابيس وما تصوره بانها الجنة اتضح بأنه شيء عادى مثل كل شيء على ظهر الأرض ، وانه طريق آخر من طرق المعاش يمكن ان يؤدى إلى السلامة أو الندامة أو إلى حيث اللى يروح مايرجعش !

والعبد لله يعلم اننى بهذا الموضوع الشائك سأجر على نفسى المشاكل وسأتهم من الرفاق المتطرفين بأننى عميل امبريالى ، أما المعتدلين منهم فسيجزمون بأننى مخبر نشيط فى المخابرات المركزية الامريكية ، أما الطبيين منهم فسيقولون هذا مجرد برجوازى صغير لم يستطع الصمود فاستسلم . ولكى اسهل الامر على الجميع اعترف لكم بأننى عميل امبريالى كومبرادورى ، واتنى مخبر مركزى ومربوط على درجة شاويز ، وأننى برجوازى صغير وحقيق ايضا ، وكل ما أرجوه ان يجيب الرفاق المصريين والعرب على سؤال واحد بسيط مع احترامى لهم واعترافى بأنهم من أكثر الرفاق تضحية ومن اشداهم اخلاصا ، ما رأيكم ايها الرفاق دام فضلکم فيما يجرى الآن فى انحاء الكتلة الشرقية ؟ ولماذا يهرب الناس من هناك كما يهرب المسجون من زنزانه ؟ والاكاداة ان كل الهاريين من طبقة البروليتاريا عمال وفلاحين وصغار موظفين ، شابات فى عمر الورد ، وشبان فى قوة تايسون ، وكلهم تحت الثلاثين ، أى انهم ولدوا ونشأوا وتربوا وتعلموا فى ظل النظام الثورى التقدمى الاشتراكى ، وليس من بينهم أحد له علاقة بالعهد (البائد) ولا أحد منهم من اصحاب الطين أو من رجال الاعمال الذين أضيرت مصالحهم .

اين جنة العمال التى كانوا يبشرون بها ؟ اين قلعة الطبقة العاملة ؟ واين شعار ياعمال العالم اتحدوا ، وهل كان المقصود ان يتحدوا للفرار من جنة العمال والهجرة الى جهنم الرأسمالية والامبريالية والكمبورادورية ! لقد سألت بعض السادة المناضلين فى لندن وجينيف وباريس فأجابوا بأن ما يحدث الآن فى العالم الاشتراكى هى مؤامرة مدبرة من جانب المخابرات الامريكية . فهل تستطيع

المخابرات الامريكية او المخابرات البلجيكية تجنيد الملايين ؟ واذا استطاعت فهل تنجح فى حقنهم بكل هذه الطاقة من الحماس ، وشحن قلوبهم بكل هذا الكم من الحقد ؟ وهل فى استطاعه أى مخابرات على وجه الارض تجنيد شعب بأكمله ؟ ان شعب بولندا ثار بأجمعه ضد الحزب الشيوعى واختار حكومة ليبرالية ، فهل هذا الاختيار من تدبير المخابرات الامريكية المركزية ؟ واذا كان الجواب بالايجاب ، فالمخابرات الامريكية على حق لان (أمتى لاتجمع على ضلالة) ولايمكن ان تتحد كلمة شعب نتيجة تحريض من مخبر امريكى ، أو رشوة يدفعها بنك تشيس منهاتن . ولكن مايحدث الآن هو بالتاكيد نتيجة خلل فى النظام الاشتراكى . لانه من المستحيل أن يثور شعب على نظامه بعد نحو نصف قرن خصوصا إذا كان النظام هو نظام العسل واللبن والسمن ، لا بد أن الناس اكتشفت بعد نصف قرن ان المسألة كلها مجرد شعارات ، فاذا جاعوا قالوا لهم الخبز للجميع . وإذا صاعوا قالوا لهم العمل حق ، وإذا اشتاقوا إلى رحلة خارج الحدود قالوا لهم انتظروا حتى تنتصر الطبقة العاملة فى انحاء الكرة الأرضية وعندئذ تصبح السياحة فرض على كل مواطن وبأقل التكاليف .

لقد كفر الناس بطوابير الخبز واللحم وطوابير السجائر ، أما طابور السيارات فهو لا يقاس بالامتار ولكن بالاعوام وبعض المواطنين ينتظرون للحصول على سيارة بعد قرن . والعبد لله لم يتشرف بزيارة أى دولة من الدول اياها عدا المانيا الشرقية وقد زرتها مع المرحوم الاستاذ حسن فؤاد والكاتب الكبير الاستاذ فيليب جلاب ، وهما ماركسيان نادران ويؤمنان بأن الوطنية هي أعلى مراحل الماركسية . وكنا معا فى سيارة رفيق مصرى قديم يقيم فى برلين الشرقية حين صرخت زوجته صرخة ولا صرخة هند زوجة أبى سفيان بعد معركة بدر . وضغط زوجها على الفرامل بطريقة كادت تؤدى إلى انقلاب السيارة ثم فتحت زوجته الباب وانطلقت باقصى سرعة ، وتصورت أنها رأت طفلها يعبر الشارع وسط زحام السيارات ثم اكتشفت ان عينها وقعت على خيار فى دكان الفكهانى وكان قد مضى عليها سنوات طويلة لم تر شكل الخيار حتى اقتنعت انها لن تراه الا يوم القيامة على فرض انها ستكون من اهل الجنة !

واذكر ان العبد لله روى القصة امام رواد قهوة ايزافيتش القديمة فى ميدان التحرير ، وكانوا شلة من الرفاق لهم جميعا شوارب ، الخالق الناطق شارب الرفيق ستالين وكانت السياسة مهنتهم والثقافة هوايتهم والنضال هو لعبتهم فى اوقات الفراغ ! وقال احدهم معلقا على مارويته واصفا زوجة صديقى بأنها مجرد امرأة برجوازية تافهة ! ولم ادرك حتى هذه اللحظة علاقة التفاهة بالطماطم والخيار . أما اذا كانت هناك علاقة فما اتفه الرفيق اياه الذى حكم بتفاهة زوجة الرفيق المصرى ، لانه هو نفسه كان يبدو كالمجنون اذا اكتشف ان طبقه المفضل (عيش السرايا) قد اختفى من قهوة ايزافيتش .



وما أتفه العبد لله أيضا لاننى كنت على استعداد وانا نزيل سجن الواحات الخارجة ان ادفع خمس سنوات من عمرى مقابل ثمرة واحدة من الجوافة ، وادفع نصف عمرى مقابل طبق طرشى من معمل الحاج عبدالنبي الجيزاوى يرحمه الله ! ثم ماقيمة النظريات فى هذه الحياة إذا لم تستطع توفير الخيار والجوافة والطرشى ؟ وهل سيأكل الناس بيانات وتحليلات وعبارات من نوع المد الثورى والزخم الشعبى والالتحام الجماهيرى والشحطبور الديناميكى لو ان هذه العبارات تطعم الناس لهاجر الجميع من اوطانهم الى هناك ولكن الذى حدث هو هجرة الناس من هناك وفرارهم الى غير وجهة وإلى غير مكان دليل على ان الشعب قد يخذع بالشعارات بعض الوقت . وقد تقتنع الجماهير بما يقال لهم فى الندوات وفى الاذاعات بعض الوقت ، ولكنها تنتفض ثائرة إذا اكتشفت ان الامر مجرد رغبى وهلفطة وكلام . والحمد لله لان الرفاق العرب المخدوعين لم يشهدوا بأعينهم منظر المهاجرين وهم يرقصون طربا لحظة خروجهم الى الحدود النمساوية الفرحة تفمرهم والسعادة تطفح من وجوه الجميع .

مساكين الرفاق العرب والرفاق المصريين المخدوعين فقد طلع نقبهم على شونة . واقول الرفاق العرب المخدوعين لأن بعضهم لم يندفع على الاطلاق . على رأس هؤلاء الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله . وهو احد المصريين الاقتصاديين القلائل الذين يستطيعون حل مشاكل كثيرة فى بلادنا لومنعوا الفرصة وتمكنوا من تطبيق علمهم على ارض الواقع . وهو مناضل ماركسى ثورى قديم عانى الاهوال وتعرض للتعذيب ولكنه لم يستسلم .. ووصل الى مركز الوزارة ولكنه لم يتغير . ولو اراد الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله ان يصبح مليونيرا او بنكيرا لكان له ما اراد . الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله تنبأ فى ندوة مجلة « المصور » بأن الاحزاب الشيوعية ستسقط فى دول أوروبا الشرقية ، لأن الجيش الاحمر هو الذى فرضها على الناس ولم يلتف الناس حولها عن اقتناع .

وما تنبأ به الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله بدأ يتحقق الآن . وعلى حدود المجر فى هذه اللحظة عشرات الالوف من المواطنين من ألمانيا الشرقية يستعدون للفرار إلى النمسا ومنها الى دول الغرب . البعض منهم تمكن من عبور الحدود بعد ان حصلوا على جوازات سفر من ألمانيا الغربية ، أما الذين مازالوا ينتظرون عند الحدود فهم سعداء بالرغم من انهم يسكنون الخيام ويأكلون الاطعمة الجافة ويعانون من البرد الشديد ، ولكنهم مصرون على اجتياز الحدود أو الموت عندها ، بينما يزحف على الطرق المؤدية إلى الحدود النمساوية مئات الالوف تركوا ورائهم كل شيء وخرجوا بهدومهم يتطلعون إلى حياة جديدة فى أوروبا الغربية . وتلفزيونات العالم تذيع فى أنحاء الدنيا صور المهاجرين فى طوابير من جنة الدول الاشتراكية إلى نار الدول الغربية . والجميع يصفون الهجرة الجديدة بأنها اكبر هجرة فى تاريخ أوروبا منذ الحرب الأخيرة .

والذى دفع العيد له الى كتابة هذه السطور هي حالة الهستيريا التى سيطر
على الذين تمكنوا من الفرار ووصلوا بالفعل إلى الاراضى النمساوية . لا اعتقد
هناك فرحة تعادل فرحة هؤلاء الا فرحة مسجون تمكن من الهرب بسلام من زنزانه
فى ليمان أبى زعبل . شاب فى حجم محمد على كلاى وقف امام الكاميرا يبكى وبه
مفتوح على طريقة المرحوم اسماعيل يس . وراح يردد كالمذهول عبارة واحدة .
انا حر ، انا حر ! وبنت فى عمر الزهرة ، بيضاء كالقشعة ، حلوة كالمهلبيه ، لم
تستطع التعبير عن فرحتها فخلعت ملابسها وانطلقت تعدو أمام الكاميرا فى حالة
جنون حقيقى خرج بالبنات الالمانية عن الشعور وعن الوعى . والان ، ما الذى
سوف تفعله التنظيمات الماركسية والاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية ؟ هل
ستستمر فى النضال وتعرض كوادرها للسجن وللنفى وللإعدام ايضا ؟ من اجل
تجنيد الانصار لاقامة النظام الاشتراكى الذى سيهرب منه الناس بعد نصف قرن !

اعتقد ان التجربة فشلت ، ولابد من إعادة البناء وإعادة النظر ، وعلى الرفاق
الآن ان يعيدوا النظر ، وان يراجعوا الأوراق . بعد ان ثبت بالدليل القاطع انه لم
تخلق بعد النظرية الصحيحة على طوال الخط ، وان الاشتراكية الماركسية اللينينية
- مثل غيرها فى الافكار - حاولت بقدر ما استطاعت ، واخذت فرصتها على الآخر ،
حتى جاء جورباتشوف فأعلن ان النظرية تحتاج إلى مراجعة ، والأسلوب يحتاج
الى تعديل . وكانت الخاتمة هي حركة الشعب فى ألمانيا الشرقية الذى انطلق منه
عشرات الألوف وباقصى سرعة هاربين من الجنة الموعودة إلى ارض المشاكل
والمعاناة !!

وعليه العوض ومنه العوض عشرات السنين التى انفقها الرفاق فى النضال ،
تجرعوا المر خلالها بين السجن والمنفى والنزول تحت الأرض حيث الجوع
والخوف والظلام ورحمة الله على روح عمنا شعبان حافظ الذى مات فى سجن
الواحات وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، وكان حلمه الوحيد ان يمتد به
العمر حتى يرى دولة الفلاحين والعمال . لقد كان الرجل طيبا بلاشك لأنه مات قبل
ان يرى بعينى رأسه تفكك دولة البروليتاريا وهروب الرفاق منها ، كما يهرب
الاصحاء من مستعمرة للجذام !

اما شعار ياعمال العالم اتحدوا ! ، فقد تحول إلى ياعمال العالم استعدوا
للفرار ، وليأخذ كل منكم ذيله فى اسنانه ويافكيك . وهات ياجرى بأقصى سرعة
هروبا من الجنة الموعودة إلى حيث لاوجهة ولا مكان . وعند الحدود أرفعوا ايديك
وياجنة العمال .. باى باى !!



الكرة
والكرة !

فنفرس المقعد او الترابيزة او الحائط اما العورة (التي هي من السرة الى الركبة) فلا اعتقد انها موضع اهتمام احد إلا السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى اخر الزمان .

الكارثة الكبرى ان اغلب الذين ارسلوا خطابات الاحتجاج دكاترة ومهندسين وطلبة فى الجامعة ، وطلبة أرسلت للعبد لله تعاتبنى لأننى تركت الكتابة فى أمور (الشقاوة) الشقاوة ، وتفرغت لنقد الدين ! نقد الدين حته واحدة ؟! وما علاقة الدين بالشورى الذى يرتديه لاعب كرة القدم ؟ وما علاقة الاسلام بكل هذه الخزعبلات التى انتشغلنا بها وانتشغل بها الشباب فى هذه الايام ؟

رحم الله أيام زمان عندما كان الاسلام فى عزه وفى مجده . بعد معركة القادسية ارسل «سعد بن ابى وقاص» الى الخليفة فى المدينة يسأله الرأى : من احق الناس بالحصول على ما تبقى من الغنائم ، هل هم حملة السيوف ام هم حفظة القرآن ؟ وجاء جواب الخليفة : وزعها على حملة السيوف ! الله الله يا خليفة المسلمين ويا اكبر رأس فى دولة الاسلام . ومن مثلك يعرف حقيقة الدين ؟

هؤلاء - حملة السيوف - هم جنود الاسلام وهم مشاعله الحقيقية . وهؤلاء هم المجاهدون الحقيقيون . والجهاد الصحيح أن تكسر عدوا من اعداء الاسلام ، او تكسب أرضا للاسلام ، أو تضم مؤمنين جددا فى صف الاسلام . هذا هو الجهاد الصحيح ، أما طول الثوب وما يظهر من وجه المرأة ، وما يتكشف من شورت اللاعب . فلم يكن من اهتمامات المسلمين الاوائل . كانوا مشغولين برايه يرفعونها من اجل الاسلام ، أو سيفا يشهرونه باسم الاسلام ضد اعداء الاسلام ، أو غزوة ينضمون اليها فى سبيل الله . ولكن المسلمين فى عصور الانحطاط ينشغلون - للأسف الشديد - بالثافة من الامور والهابط من الخلاف .

وبعد كسرة سلطان مصر المعظم «قنصوة الغورى» فى حلب ، ثم كسرة السلطان «طومان باى» على ابواب القاهرة ، وسقوط مصر فى قبضة «السلطان سليم بن عثمان» وبعد ان تحولت مصر من امبراطورية الى نيابة سلطنة وخضعت لسلطان الاتراك ، انتشغل الناس وعلى مدى عامين فى مسألة غاية فى الهياقة والانحطاط ، والذى حدث ان زوجا ضبط زوجته مع عشيقها فى حالة زنا ، واعترف الزانى والزانية فسيقا معا الى قاضى القضاة . وأما كبير القضاة فقد أقر بوقوع جريمة الزنا ، فأمر بتجريسهما فى المدينة ، فأركبوهما حمارين بالمقلوب وسار امامهما رجل بجرس كبير ينادى فى الاسواق ويسرد على الناس تفاصيل فعلتهما المهيبة . وبعد ان انتهت الجرسة وعاد موكب الزانيين الى دار القاضى ، أعاد كبير القضاة استجوابهما للمرة الثالثة ، فانتكرا ما نسب اليهما ، فأمر بالافراج عنهما على الفور ، وتغريم كل منهما مائة دينار . أما الزانى فقد دفع المبلغ وعاد الى بيته فى المساء ، أما الزانية فاعتذرت عن الدفع ، فأمر القاضى باحضار زوجها وطلبه



بتسديد قيمة الغرامة ! ولكن الزوج رفض ان يدفع وصاح فى وجه القاضى :
زوجتى تزنى وأنا أدفع الغرامة ؟! وعندئذ أمر القاضى باخلاء سبيل الزوجة ،
وحبس الزوج حتى يقوم بتسديد المائة دينار . ونجح ابن الزوج فى الصعود الى
القلعة ومقابلة نائب السلطان ، فأندهش النائب غاية الاندهاش وأمر بالحضار قاضى
القضاة وعندما سأل عن حقيقة الأمر أيد القاضى ما جاء فى شكوى الابن ! فسأله
نائب السلطان : وكيف تفرج عن الزانى والزانية وتامر بحبس الزوج ؟ فأجاب
القاضى : هذا هو الشرع !! وكان قاضى القضاة صادقا ، لان حد الزنا لا يقام إلا
بعد استجواب يطرح خلاله السؤال ثلاث مرات على مرتكبى الجريمة . فاذا انكر
الفاعل فى أى مرة من المرات الثلاث وجب اخلاء سبيله وعدم اقامة الحد ! ولكن
نائب السلطان كان روميا ، ولم يكن محيطا باحكام الشريعة ، فاصدر امره بالافراج
عن الزوج واعادة القبض على الزوجة وعشيقها ، واستدعى مشايخ المذاهب
الاربعة بما فيهم قاضى القضاة وسألهم رأيهم فيما جرى ، فأجابوه جميعا : هذا
هو الشرع . فهاج النائب وصرخ فى وجوههم : اى شرع هذا ؟ ثم نظر الى قاضى
القضاة وقال له متهمكما :

أرجو أن تعود الى منزلك الآن فتجد زوجتك فى احضان رجل آخر . ورد الشيخ
العجوز :

نسأل الله الا يحيينا الى هذا اليوم ، وقبل ان يخرج المشايخ من حضرة النائب
كان نائب السلطان قد اصدر امره بطردهم من مناصبهم ، وقام بتعيين غيرهم ، ثم
اصدر فى اليوم التالى فرمانا بالايدخل عليه احد منهم ، وأن يقبض على كل شيخ
يشاهد فى الطريق بعد المغرب . وانشغلت مصر كلها بالحادثة ، وانقسم الناس
حول القضية ، بعضهم يؤيد المشايخ ، وبعضهم يؤيد نائب السلطان . وتأسست
فى مصر جمعيات سرية ، بعضها كان يهدف الى اغتيال نائب السلطان ، وبعد
مرور عامين حسم نائب السلطان القضية ، فأمر بشنق الزانى والزانية ، وحكم
بضرب المشايخ الاربعة علقه ساخنة بالقلعة ، وخرج الاربعة بعد العلقه من القلعة
الى المنفى . احدهم الى «نواج» والاخر الى «البرارى» والثالث الى «دراو» أما
قاضى القضاة فقد خرج من القلعة منفيا الى الواح (الواحات) وهكذا اسدل الستار
على اهيف قصة فى تاريخ مصر الوسيط ، ولكن وقوعها فى ذلك العصر كان
ضروريا بعد ان تحولت مصر من امبراطورية الى نيابة سلطنة ولم يكن ممكنا ظهور
مثلا ايام «السلطان قطن» وفى عصر الملك الظاهر بيبرس ، وفى ايام السلطان
برقوق وابنه السلطان فرج لانه لا وجود لهذه القصص الهائفة فى زمن الانتجازات
العظيمة والانتصارات الباهرة . ولكن فى ايام الانكسار ينشغل الناس بطول
الذقن ، وعرض الزبيبة على الجبهة ، وطول ثوب المرأة ، ومواصفات شورت
اللاعب ، ويستفتى الناس مشايخهم فى أمور من عينه :

هل الكلام فى التليفون حلال أم حرام !

وهل مشاهدة السينما من الكبائر ؟

وهل يدخل النار من يأكل المربى فى الصباح ؟

وإذا كان الجزء من جنس العمل ، فالمشاكل أيضا من جنس الحال ! عندما يكون المسلمون فى خير يتساعلون : هل الغنائم لحملة السيوف أم لحفظة القرآن ؟ وعندما يكون المسلمون فى غم يتساعلون : هل لحس التراب يؤدى الى الاقطار ؟ أيام مجد المسلمين طلب البعض محاكمة خالد بن الوليد لانه قتل اسيرا لكى يتمكن من عقد قرانه على زوجته واستدعاه ابو بكر الصديق واستفسر منه عما حدث ونفى خالد ما نسب اليه . فاشار عليه بالسير على بركة الله بجيش المسلمين الى الشام . وعندما احتج البعض على السماح لخالد بالسير الى بر الشام على رأس الجيش قال ابو بكر : والله ما أعمد سيفاً سله الله على اعدائه !

الله اكبر يا خليفة رسول الله وصديقه ، لو كنت معنا اليوم لطالبك السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى غفلة من الاسلام بنتف لحيت وتعليقه على شجرة فى ميدان التحرير ! ولكن لانك كنت على رأس خير أمة اخرجت للناس ، فقد أمرته بالسير على رأس الجيش الى الشام ، وبفضلك ، وبفضل خالد بن الوليد ، وبفضل رجال من هذا الطراز صار الاسلام اقوى امبراطورية عرفها تاريخ الانسان . ولكن لا جناح على السادة الذين اشتغلوا بالافتاء فى غفلة من الزمان ، ولا بأس عليهم باعتبار ان الحال من بعضه فجيوش المسلمين فى هذا الزمان اصابها الازهاق من قتال المسلمين وديار المسلمين تعاني الفاقة والحاجة والضياع ، وقدس الاقداس سقط اسيرا فى قبضة اليهود الاوساخ ! وأكثر من شوال خطابات للعبد لله احتجاجا على مقال الشورى الشرعى . وكل (العلماء) يؤكدون ان للرجل عورة ، ولانهم (علماء جدا) فانهم يحددون مكان العورة من السرة وحتى الركبة ! هيه دى المشكلة ؟ طيب والقدس ؟ والحرب العراقية الايرانية ؟ والشعب الفلسطينى الذى يعاني المحنة والموت الزؤام ؟ والمجاعة التى تضرب المسلمين فى السودان وفى تشاد وبنجلاديش وفى الصومال ؟ وما رأيكم فى احوال المسلمين التى تردت الى الدرك الاسفل ، بينما حتى عبدة الاوثان يعيشون فى بحبوحة وانسجام ؟ اى المشاكل اولى بالرعاية والعناية والاهتمام ؟

أفتونى يا اصحاب الفضيلة (علماء) اخر الزمان !!

أما بالنسبة للحكم الدولى محمد حسام الدين ، وقد احتج اغلب اصحاب الخطابات على وصفه بمفتى الديار الكروية . فالعبد لله يعتذر ، خصوصا بعد ان ثبت بالدليل القاطع انه لا يشغل منصب مفتى الديار الكروية ، ولكنه يمارس مهام شيخ مشايخ الطرق الكروية ، والشرعية منها على وجه الخصوص !

توظيف الاقدام !

شكرا للسادة بتوع التلفزيون لانهم ربطوا حياتنا بمباريات كأس أوروبا ، حيث اللعب على طول ، والشوط على ودينه ، والعيال اللعية فى الرمح كالأحصنة . فى القوة كالثيران ، فى النفس كما قطار سكة حديد طوالى ، وحيث الحكام هم ملوك الملاعب صحيح ، وحيث الجمهور يستخدم حناجره فى التشجيع ولا يستخدم عضلاته ! ولكن وأسفاه على فريق المانيا بعد ان خلت قائمته من النجوم . اللعب عادى وان كان بالنسبة الى لعبنا غاية المراد من رب العباد . و .. وأسفاه على فريق ايطاليا بعد ان حصل له نفس الحاصلان ، اللعب مضبوط ولكنه غير مبهج ، والعرض مش بطلال ولكنه مش لذيد ، دليل على ان الكورة الحلوة هى كورة نجوم ولذلك كانت المباريات التى يشترك فيها عبد الكريم صقر تختلف عن المباريات التى لا يشارك فيها . وكان الضيظوى يضيف مذاقا خاصا الى المباريات التى يلعبها ، وكان المرحوم رضا يضيف على المباريات بهجة شديدة ومتعة لاحد لها ، ونفس الشيء يصدق على المباريات التى كان يشترك فيها مصطفى رياض والشاذلى ورقعت الفناجيلي وعلى ابو جريشة . ونفس المتعة مضروبة فى الف اذا شاهدت مباراة يلعب فيها بيليه او مارادونا او بلاتيني اما مباريات الصحة والعافية واللياقة ، فهى مباريات حلوة اى نعم ولكنها ليست ممتعة ، وهى اشبه بالطعام المسلوق ، صحنى ولكنه غير شهى ! وهذا الوصف ينطبق على فرق أوروبا التى بلا نجوم ، أما اللعب تبعنا فحدث ولا حرج ، عندنا لا صحة ولا نجوم ، لا فن ولا احصنة ، لا استعراض ولا خطة . ومنذ ان اعتزل محمود الخطيب وأنا لا اشعر برغبة فى مشاهدة المباريات . واندesh احيانا عندما يكون المعلق هو على زيور ، واسمعه يغنى امام الميكروفون (يا سلام ع الحلوة) حلوة !! فين هيه الحلوة دى ؟ هذا العك الأزلى ، واللعب الهلس ، وهذه الانفاس المقطوعة ، والسيقان المخلوعة ، هل هذه هى الحلوة ؟ طيب امال فين الوحاشة والدمامة ؟ واين يكون سوء الاداء وقلة الحيلة ، وهوان اللعية على الشبكة وعلى الاجوان ؟! ويصدع ادمغتنا بين الحين والحين بعض السادة المحرراتية فى الصحف القومية والحزبية ، وخصوصا عقب كل دورة افريقية او اوليمبية ، عن العروض التى انهالت على كباتن مصر العظام ، وكيف صرخ سمسار من فرنسا ، ارجوكم اعطونا جمال عبد الحميد . او يا خرابى .. لا ابرح هذا المكان الا وفى يدي ربيع ياسين . ويكتبون عن عروض بمئات الالوف للكاتبتن حلبص ، وعرض اخر بملايين الفرنكات للكاتبتن فريود ثم ينتهى المولد ولا حس ولا خبر ويحترف عيال المغرب وعيال تونس وعيال الجزائر ، ويلعب مائة لعب افريقى فى نوادى أوروبا . ويبقى الكياتن تبعنا محلك سر ، لا احتراف فى الخارج ، ولا تواضع فى الدخال ! اخبار لعيبتنا فى الصحف عندنا كأخبار بعض الفنانات تعاقدت على فيلم مصرى هندى مشترك .

وقعت عقدا مع هوليود لدور البطولة امام روبرت تايلور (تايلور مات منذ عشرين عاما) ستلعب الدور الثانى فى فيلم بلجيكى ايرلندى مشترك !! وتمر السنون فلا تلمح اثرا للست الفنانة فى اى فيلم ، ولا حتى فيلما لتليفزيونيا من انتاج عجمان ! على العموم شكرا لتليفزيون مصر لانه رطب حياتنا بمباريات بطولة اوروبا . واذا كانت النجوم غابت فى فريق المانيا وفريق ايطاليا ، فالنجوم على ودنه فى فرق الاتحاد السوفييتى وانجلترا والدانمرك وسنستمتع بالفرق التى تضم النجوم ، وسننفع بالفرق التى تضم الخيول . وحيدا لو اذاع التليفزيون ايضا مباريات دورة نيوزلاندا وشكرا له لو اذاع مباريات دورة استراليا ، ويا سلام لو اذاع مباريات دورة جزر الارخبيل . فسيكون فى كل هذه الدورات كورة ممتعة ، او على الاقل مقنعة . وستكون عوضا لنا عن مباريات (حلق يستر) التى نشاهدها فى ملاعبنا هذه الايام .

واقترح من العبد لله لاتحاد الكورة ان يوقف مباريات الدورى لمدة عام ، وان يضع قانونا لتنظيم اعمال النوادى اياها ، كما فعلنا مع شركات توظيف الاموال ، وباعتبار ان هذه النوادى فى حقيقة الامر ، هى شركات لتوظيف الاقدام . اللهم لا نسالك الغاء الدورى ، ولكن نسالك التقليل من عدد المباريات !!



أخر خدمة الفسر



يبدو ان الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب ، ولكنها مهنة البحث عن المعاش ، والدليل على ذلك ان العبد لله يعمل في بلاط صاحبة الجلالة منذ العام ١٩٤٤ ، وكنت طالبا في مدرسة المعهد العلمى الثانوية ، وهى مدرسة تخرج فيها عشرات من المشاهير الاعلام الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث . وكان ابرز هؤلاء زميلى عبدالسلام ، جارى فى تخته واحدة من سنة اولى الى سنة ثالثة رابع ، اذ كنا لحكمة لا يعلمها الا اعلام الغيوب ، تتدهور احوالنا وتنخفض درجاتنا كلما توغلنا فى بحر العلم . ويبدو ان عبد السلام قد اكتشف مبكرا ان طريق العلم ليس له نهاية ، فأثر الانسحاب واحتل مكان الوالد . وصار بعد فترة اكبر حائوتى فى القاهرة الكبرى ، واشهرهم فى العصر الحديث . ومن اعلام المدرسة ايضا زميلى (حنبله) بتشديد اللام ، الذى هجر الدراسة وشق طريقة فى الحياة بمطواة قرن غزال ، واصبح فتوة الحبانية وسوق السلاح ، ومات شهيدا فى معركة تاريخية ضد فتوات حى بولاق .

اما العبد لله فقد اتجه الى الصحافة وانا مازلت طالبا فى المدرسة ، عندما اصدر ناظرها مصطفى بك عبد الهادى مجلة اسبوعية اسمها نداء الوطن ، واستعان برئيس تحرير من اعضاء النقابة هو المرحوم مختار الغمراوى ، اما المحررون فقد اختارهم الناظر من بين التلاميذ الذين يقرضون الشعر ، ويلقون الخطب العصماء فى مظاهرات الطلبة ضد الانجليز ، وكان العبد لله واحدا من هؤلاء . وكان حى الزمالك هو محور اول موضوع صحفى دججه قلم العبد لله . واقتربت على حكومة مصر وقتئذ ان تقيم منافذ جمركية ومكاتب لادارة الهجرة والجنسية على ابواب حى الزمالك ، بعد ان اصبح الحى دولة قائمة بذاتها . حيث ان جميع اليفط بالحى مكتوبة باللغة الانجليزية وتحمل اسماء غريبة ، بقالة لانكشاير ، مكوجى ليفربول ، جزارة كيتشز ، فكهانى هايدبارك ، كما كان الحى نفسه محرما دخوله على ابناء البلد ، اصحاب الجلابيب والطرايب والشباشب الزحافى . باعتبار الحى المذكور منطقة محرمة الا للخواجات والبشوات والبكوات والسيدات اللماظليات المتألمات المتبلطات بغزو الذئاب وجلود الثعابين .

وبعد نشر الموضوع فى المجلة ، وظهور اسمى بحروف المطبعة ، اصابت العبد لله لومة عقلية لازال اعانى منها حتى الآن . قرأت الموضوع الف مرة ، وفرضت على جميع اصدقائى ان يقرأوه وان يعيدوا قراءته عدة مرات ، وأوهمت البعض منهم ان امتحان اخر العام سيكون فى هذا الموضوع بالذات ، وان النجاح سيكون من نصيب من يحفظ موضوعى عن ظهر قلب ، ويجيد شرحه ، ومعرفة ما بين السطور ! وبالرغم من ان المجلة لم تطبع اكثر من ثلاثة الاف نسخة ، وبالرغم من معرفتى بان المجلة لم تجد مشترى واحدا فى السوق ، الا اننى اعتبرت نفسى واحدا من كبار الكتاب ، ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى

وبدأت اقارن نفسى بمحمد التابعى واحمد الصاوى محمد . وبدأت اخطط لاصدار مجلات جديدة وانشاء دور صحفية كبرى . ولكن مجلة نداء الوطن ماتت فجأة بالسكتة القلبية ، ولم يترك سقوطها اى رد فعل على الاطلاق الا عند اصحاب دكاكين اللب والفول السودانى ! ولكن الفترة القصيرة التى صدرت فيها نداء الوطن كانت كافية لتجعل الصحافة تسرى مع دمدى فى عروقى . وتدخل مع انفاسى فى نخاشيشى ! ومنذ تلك اللحظة حملت قلمى على كتفى وسرحت فى مكاتب الصحف . ونشرت مقالات تكفى باعة اللب والفول السودانى فى عموم قارة افريقيا . وفى مجلات وصحف لم يقرأها احد ولم يسمع بها احد ، مجلة الخميس ، مجلة السحاب ، وجريدة الخبر ، ومجلة الاسبوع ، ومجلة بلادى ، ومجلة الرقيب ، ومجلة الحقيقة ، وجريدة الازهار ، وسر تسميتها بهذا الاسم ، هو ان صاحبها ورئيس تحريرها كان من سكان ميدان الازهار ، الذى عرف فيما بعد باسم ميدان باب اللوق ، وكانت اغرب الجرائد التى عملت فيها هى جريدة النيل ، وقد اشترك معى فى تحريرها كوكبة من الزملاء الذين اشتهروا فيما بعد ، من بينهم شيخ المصورين رشاد القوصى ، ورسام الكاريكاتير طوغان ، والكاتب الصحفى ضياء الدين بيبيرس ، وكان الشرط الوحيد لمن يريد ان يعمل فى تلك الجريدة هو ان يشتري لنفسه مكتبا يجلس عليه . ولان العين كانت بصيرة والايد قصيرة ، فقد اشتغل اغلبنا محررين ورسامين ومصورين ع الواقف .

واخر مجلة اشتغلت فيها قبل الثورة هى مجلة الستار ، وكان يرأس تحريرها مأمون الشناوى وابراهيم الوردان ويعمل فيها ثلاثة الاف محرر ، ولكن على طريقة سيدنا عمر بن الخطاب حين ارسل مددا الى عمرو بن العاص وهو فى طريقه الى فتح مصر وكتب اليه يقول : ابعت اليك بمدد من اربعة الاف رجل على رأسهم اربعة رجال كل منهم بالف ، كان جيش المحررين الذى يعمل فى مجلة الستار يضم الاستاذ صلاح حافظ ، الاستاذ يوسف فكرى ، والعبد لله . وفى هذه المجلة وعنها سمعت اجمل واعمق والأذغ نكتة قيلت فى شأن المجلات البائرة والمجلات الميتة فى كل الأزمان فقد تسامل صاحب المجلة فى اجتماع التحرير الاسبوعى عن الوسيلة المثلى التى ترفع توزيع المجلة إلى مائة الف نسخة كل اسبوع ، ورد



مأمون الشناوى على الفور : نحت سندويتش فول فى كل نسخة !

ولم تستقر احوال العبد لله فى بلاط صاحبة الجلالة الا بعد قيام الثورة وتنقلت على مدى ستة وثلاثين عاما فى ثلاث دور صحفية فقط لاغير ، واشتغلت لمدة عام فى جريدة القاهرة ، وخمسة اعوام فى جريدة الجمهورية ، وقضيت ثلاثين عاما فى مؤسسة روزاليوسف .

وبدأت محررا بالقطعة ، واول مرتب حصلت عليه كان عشرة جنيهات ، وانتهيت بأعلى مرتب تسمح به قوانين الدولة .

وتوليت عدة مناصب فى بلاط صاحبة الجلالة ، رئيسا لقسم الشؤون العربية ، ورئيسا لقسم الاخبار الداخلية ، ورئيسا للقسم الفنى ، وسكرتيرا للتحرير . ورئيسا للتحرير ، وشرفنى زملائى فى السنوات الاخيرة من خدمتى باختيارى لعضوية مجلس الإدارة . وفى يوم ٢٠ نوفمبر الماضى أن للصحفى العجوز ان يسلم .. ليس القلم الذى يكتب به ، ولكن الدوسيه الذى يضم اوراقه ، فقد احيل الولد الشقى اخيرا الى المعاش ، والمعاش فى بلاط صاحبة الجلالة ، لا يعنى التوقف عن الكتابة او الكف عن ممارسة المهنة ، ولكن يعنى فقط ان السيد المحال الى المعاش ليس فى مقدوره ان يتولى مناصب رسمية ، ولا يحق له ان يجلس على مقعد فى مجلس الادارة ، ولكنه يستطيع بعد ذلك ان يصنع اى شىء وكل شىء فى بلاط صاحبة الجلالة .

وهكذا انضم صاحبكم الى النادي الذى يضم جلال الحمامسى ، ومصطفى امين ، وموسى صبرى ، ومحمد عودة ، وفتحي غانم ، ويوسف ادريس ، واحمد بهاء الدين ، وصلاح حافظ ، وكامل زهيرى ، واحمد الصاوى محمد ، وحافظ محمود ، وعشرات اخرين من الكتاب والفنانين والحق اقول ايها السادة ان العبد لله لم يذق طعم الاستقرار فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة الا بعد التأميم .

وقبل ثورة ٢٢ يوليو عملت فى صحف حزبية كثيرة ، بعضها لم يصرف مرتبى حتى الان فى فترة من الفترات اشتغلت فى مجلة حزبية كان صاحبها يحمل البكوية الرسمية ، وينحدر من اصول شركسية ، ويمتلك عدة قرى فى ريف مصر ، ويشترك مع الانبياء فى صفة واحدة هى الامية ، وكان مرتبى فى هذه المجلة لايزيد عن عشرة جنيهات ، ولكنى اكتشفت بعد عام كامل قضيت فى مجلة البيك اياه باننى لم انتقاض سوى ثلاثين جنيها ، بواقع جنيهين ونصف جنيه شهريا ، وكنت ادبر امرى بكتابة نصوص اذاعية لمحطة الشرق الادنى ، ولكنى لم انقطع يوما واحدا عن العمل فى المجلة .

ولم اتوقف اسبوعا واحدا عن الكتابة ولكن بعد الثورة استقرت امور الصحافة ، واصبح للصحفيين نقابة تدافع عن المحررين ولا تدافع عن اصحاب الاعمال .

ورغم اتهامى مرة بمحاولة قلب نظام الحكم ، ومرة بالخيانة العظمى (!) الا ان السلطة لم تستطع فصلى من نقابة الصحفيين ، وفصلنى رئيس نقابة عمال المؤسسة التى كنت اعمل فيها بعد ثلاث ساعات فقط من القاء القبض على ، دليل ان هذه النقابة ورئيسها من فصيلة العمال الملتزمين بميثاق الشرف العمالى ، ومن المناضلين الذين يستشهدون فى سبيل حقوق الاعضاء !!

والان اصبح لنا مجلس اعلى للصحافة ، وصار من حق الصحفيين امثالى ان يحصلوا على شهر مكافأة عن كل عام يقضونه فى خدمة الصحافة . وصار من حقهم ايضا ان يمدوا خدمتهم اذا شاموا ، وان يقبضوا معاشهم من الدولة ، ويحصلوا على الفرق بين المعاش والمرتب من الجريدة وما انذا الحمد لله على المعاش منذ ثلاثة شهور ولكنى لا احصل الا على الفرق فقط من المؤسسة التى اعمل فيها ، اما المعاش نفسه فقد ضاع يا ولداه بين استثماره ٦ وقسيمة بند ٢ وملف ١٧/١ وصورة من القرار الوزارى رقم ٩ ، والقرار الجمهورى رقم ٦٨٥ لعام ١٩٧٤ المعدل بالقرار رقم ٩١٢ لعام ١٩٧٥ المتعلق بقانون تنظيم الصحافة رقم ٥٣/١٢/١٦ ج ، وهو القانون الخاص بالصحفيين اعضاء النقابة الذين بلغوا سن الستين ، والذي يجوز لهم فى حالة مد الخدمة ، احتساب مدة الخدمة السابقة على معدل الخدمة القادمة ، تأسيسا على ما جرى عليه العمل ، بالقوانين المرعية ، وبناء على ما استقر عليه رأى القضاة والقانون الادارى ومجلس الدولة ، من اجل ربط المعاش بطبيعة العمل المترتبة على التأسيس الجبرى ، حسب نص القانون رقم ١١٩ لسنة ٦٥٠ هجرية بشأن تنظيم ديوان الانشاء الذى صدر فى عهد السلطان برقوق ، مع مراعاة كل القوانين التى صدرت فيما بعد واخرها الفرمان رقم ١٦ لعام ١٧٤٨ بشأن انشاء اللوائح المصرية ، وما ترتب عليها من حقوق لجميع المحررين والقراء !!

اما مكافأة نهاية الخدمة فقد ضاعت هى الأخرى فى بلاط المجلس الاعلى للصحافة ، ولكن وعلى رأى احسان عبد القدوس لاشئ يهم ، فالحصيلة لا يأس بها والنتيجة خير على كل حال ، وكتبنا والحمد لله على مدى اكثر من اربعين عاما مئات الاطنان من المقالات ، استهلكت عشرات الاطنان من الورق ، استفاد بها تحالف قوى الشعب العامل من باعة اللب وباعة البلع الامهات ، وريات البيوت اللوات استخدمت مقالاتى فى مسح زجاج النوافذ ، وحكمة الله ان مقالاتى تسمح اكثر بياضا ، كما ان هناك فرق !! وثلاثون كتابا اولها (السماء السوداء) واخرها (رحلات بن عطوفة) . وخمس مسرحيات اولها فيضان النبع واخرها بين النهدين وعشرات المسلسلات الاذاعية والتلفزيونية فى مصر وفى العالم العربى وبلاد تركب الايرباص ، وتخلل هذا كله خمس مرات فصلا من الوظيفة ، وخمس سنوات سجننا على ثلاث فترات وفى ثلاثة عهود مختلفة وعشر سنوات صياغة خارج بر مصر .

ومع ذلك نحمد الله لأن حرفتنا كانت هي نفسها هوايتنا ، ويقدر ما تعذبنا بقدر ما سعدنا ، وكانت روضتنا بقدر شهرتنا ، وكانت حياتنا في بلاط صاحبة الجلالة بمثابة حرب عظمى خسرنا فيها معارك كثيرة ولكننا في النهاية كسبنا الحرب !

أما المعاش ، وأما مكافأة نهاية الخدمة ، فهي كلها مسائل مادية ودنيوية ، ونحن والحمد لله من أبناء الطريق ومن أهل الله . والحمد لله لأن حياتنا لم تضع سدًى وجهدنا لم يذهب هدرا ، ويكفي أننا اكتشفنا في نهاية الأمر حكمة كانت غائبة عنا ، ولو أننا متنا قبل أن ندركها لحصل لنا نفس الشيء الذي حصل للكلية يزيد .

وتسألني وما الذي حدث لكلية يزيد ؟ اجيبك باننى لا أعرف ولا يزيد أيضا ! ولكن يكفي أننا اكتشفنا في نهاية الأمر ، أن الصحافة ليست هي مهنة البحث من المتاعب ، وإنما هي مهنة البحث عن المكافأة ، وفي قول آخر مهنة البحث عن المعاش .

وعاش المجلس الاعلى !!



مــرادونا
عبد اللطيف !



إذا كان صحيحا دائما : ياميت ندامة على اللي حب ولا طالش . فاحيانا يكون صحيحا : ياميت ندامة على اللي حب وطال واقرب مثال على صحة هذا المثل المقلوب ، هو الفريق القومي المصرى لكرة القدم ومديره الخواجة سميث ومديره شحته ! فقد اثبت الجهاز الفنى الحالى ان اعضاءه يحبون الكرة ، واثبت "لعيبه" الفريق القومي انهم يحبون مصر ، ومع ذلك لم يسلم "اللعيبه" ولا الجهاز الفنى تبعهم من السنة واقلام البعض ، ولم يتورع بعض السادة إياهم عن وصفهم باحط الصفات ، والمطالبة بتسريح الكابتن شحته ، والقبض على الخواجة سميث وترحيله الى لندن عن طريق الانتربول . وذهب البعض الى بعيد فطلبوا بمحاكمته فى القاهرة امام محكمة الثورة الكروية ، باعتباره اتى افعالا من شأنها الإضرار بالأمن الكروى المصرى وذلك لأنه خلال النصف الأول من شهر اغسطس عام الف وتسعمائة وسبعة وثمانين تامر مع آخرين من بينهم مجدى عبدالغنى ومحمد رمضان وعماد سليمان وشوقي غريب على احراز بطولة دورة الالعاب الاولمبية الافريقية فى غياب العبقرى طارق يحيى ، ومن وراء ظهر المايسترو علاء ميهوب !

وإذا كانت هذه الصورة الكاريكاتورية قد تعمدت رسمها لحضراتكم لكى ارسم ابتسامة على وجوهكم قبل ان تقرأوا ماهو قادم من السطور ، وهى سطور ستجلب الغم والهم الى نفوس حضراتكم ، وستحل الكتابة على وجوهكم محل الابتسام .

والحق اقول ياسادة ياكرام ان الدورات الاولمبية ليست عيئا ، ولا هى مهرجانات للتسلية عن النفس ، كما أنها ليست مباريات رياضية بين بعض الافراد الذين يحملون جنسيات مختلفة ، ولكنها فى الحقيقة منافسة بين دول ، وامتحان لمجتمعات ، واختبار عملى ومفيد لموازين القوة فى كل دولة ، كما انها مرآة تعكس حقيقة الأوضاع فى كل بلد ، وهى ايضا كشف حساب تقدمه الدول فى هذه المناسبة عن أوضاعها الراهنة فى التعليم وفى الصحة وفى الثراء . وهى فى

النهاية شهادة دولية معترف بها تحدد حجم كل دولة ووزنها الحقيقي ، وتضعها في مكانها الصحيح والمناسب على هذا الكوكب المدهش المثير . ولذلك ولهذا ايضا لم تصبنى الدهشة لفوز مصر ببطولة الدورة الرابعة الافريقية ، فهذا هو مكان مصر الطبيعي ، وخلاف هذا الوضع يصبح في الامر حاجة غلط ، ويكون هناك خلل لاشك .

فمصر هي أول دولة في الدنيا وبالتالي هي أول دولة في افريقيا . وفي العصر الحديث وعندما كنا نتنافس مع أوروبا ، كانت افريقيا .. تعيش خلف ستار حديدى ، ولم يكن مسموحا لاحد من سكان الشمال الافريقى برؤية افريقيا السوداء الا من خلال افلام هوليوود وعلى شاشة سينما مترو ! وهكذا ترون ايها السادة ان فوزنا ببطولة الدورة الافريقية هو مجرد عمل عادى وروتينى كما انه واجب وطنى ايضا . وان كان هذا لا يمنع من شكر الذين اشرفوا على اعداد الفرق المصرية ، ورعاية الابطال الذين رفعوا اسم مصر عاليا ، ودقوا طبولها في غابات القارة السمراء ، خصوصا ابطال المصارعة والسباحة والجودو ورفع الانتقال الذين ادوا واجبههم برجولة واستبسلوا بغدائية ، وفازوا عن جدارة واستحقاق ! ولكن المعجزة الحقيقية هي النتيجة التى حققها فريق مصر القومى لكرة القدم ، لانه فى خلال ثلاث دورات اوليمبية افريقية خرج فريقنا الكروى مرة بالانسحاب ومرة بالفشل ، والمرة الثالثة حصل على الميدالية البرونزية بطلوع الروح . ولكنه فى هذه الدورة الاخيرة حصل على الذهبية وعلى البطولة ، وبالرغم من ذلك انتهالت السكاكين على الخواجة سميت مدير الفريق وعلى الكابتن شحنة مدره .

وهى مسألة غريبة ومريبة أيضا من جانب بعض السادة الذين لطموا الخدود وشقوا الجيوب لان الخواجة الانجليزى لم يستعن بالعبرى الاوحد طارق يحيى ، وبعضهم طالب بفصل المدرب والمدير لانهما تجاهلا عمدا ومع سبق الاصرار الكابتن حمادة عبداللطيف الشقيق التوام للكابتن مارادونا عبداللطيف ! وبعض الإداريين بالاشتراك مع بعض المطيباتية والهتيفة ارتكبوا عملا عدائيا ضد الفريق فى نيروبي وينبغى مساطلتهم ومحاكمتهم ايضا ، إذا صبح ما حملته الينا الانباء من هناك . فقد قيل ان البعض هروا بعد اصابة شوقى غريب الى اللجنة المنظمة للدورة ، والى طبيب مصرى يدير مستشفى نيروبي ونجح السادة المهرولون فى الحصول على إذن باستدعاء لاعب من القاهرة ، وتطوع السادة اياهم - مشكورين - بتحديد اسم اللاعب النابغة الذى حتما ولا بد وهليت سياى بالديب من ديله ، وكان اللاعب المختار هو الكابتن طاهر أبوزيد .

وعلى عيني ورأسى الكابتن طاهر أبوزيد ولا خلاف على نبوغه ، ولكن ما جدوى وجود المدرب ؟ وماهى وظيفة مدير الفريق ؟ ثم ماهو شأن السادة الافاضل بفريق كرة قدم له مدير خواجة ومدرّب وطنى ؟ وهما وحدهما المسنولان عن الفريق . افهم

أن ينتظر الجميع حتى تنتهى الدورة ، ثم بعد ذلك يبدأ الحساب وتبدأ المسابقة .
وتصوروا ماذا سيكون عليه حال لاعبي الفريق القومى اذا اكتشفوا فجأة والدورة
فى ذروتها اننا حكمنا عليهم بالفشل ، واستعنا بمدد كروى من القاهرة وعلى طريقة
عمرو بن العاص حين طلب مددا من المدينة وهو على أهبة فتح مصر ، فأمدته
الخليفة بأربعة رجال كل رجل منهم بألف !

الغريب ان احدا من السادة الافاضل الذين ألحوا فى طلب المدد لم يسأل نفسه
مرة واحدة عن الأثر الذى كان سيتركه هذا المدد فى نفوس اللاعبين . ولقد
تضاعف احترامى للمدرب شحنة والمدير سميث لانهما تجاهلا هذه الاعمال
الصغيرة فلم يرفضوا صراحة ولم يستجيبا لها ، ومرا بها مر الكرام ! ويبدو ان
البعض لا يزال يعيش فى أيام زمان ، عندما كان التغيير والتبديل يجرى عن طريق
تليفون تم تركيبة خصيصا فى المقصورة ، لمواجهة اللحظات العصيبة والطارئة
والتي تستدعى تدخل السادة الاكابر الذين لا علاقة لهم بكرة القدم الا من خلال
الفرجة عليها من جهاز التليفزيون . وكان هؤلاء البعض لا يستحى من ذكر مثل هذه
الوقائع باعتبار أن التغيير الذى أمر به الاكابر كان ضربا من ضروب العبقرية
والالهام . كما أنه نصر من الله وفتح قريب .

البعض ايضا ملا الدنيا صراخا وصياحا ، ليه ؟ لان الكابتن علاء ميهوب قلشوه
من المنتخب ، وقلشه هو السروءاء كل الهزائم والنكبات . ياسلام !! طيب ، فريقنا
القومى خرج من الدورات السابقة وقفاه (يقمر عيش) كما يقول المثل مع انه فى
تلك الدورات الفاشلة كان يضم المايسترو والعازف والفلة والمراوغ والساحر
والفنان . ما الذى فعله هؤلاء فى تلك الدورات ؟ وما الذى فعله هذا الفريق
"السكه" فى الدورة الافريقية الاخيرة ؟ الفريق "السكه" حصل على الميدالية
الذهبية وعلى البطولة ، وفريق المايسترو والعازف وعجين الفلاحة ونوم العازب
خرج من كل الدورات برضا الوالدين . ثم نحن احضرنا الخواجة لكى يختار ،
وليس واردا بالطبع ان يكون الخواجة هو المدير ثم نترك الاختيار للسادة
المشجعين الذين يجلسون فى المدرجات .

ثم تعالوا بنا تلقى نظرة على كشف الحساب . لقد جاء الخواجة سميث الى
القاهرة وتسلم مهام منصبه مع شحنة ومصر على ابواب البطولة الافريقية ، ولان
الخواجة كان يتحسس طريقه ، ولان شحنة كان يتهيّب الموقف ، فقد لعبنا بمحمود
الخطيب وطارق يحيى وعلاء ميهوب وانهزمنا فى اول مباراة أمام السنغال ، ولم
يستطع العبقري طارق يحيى ان يمر مرة واحدة من الظهير السنغالى ، ولم يسجل
الخطيب شيئا ولا علاء ميهوب ، فى الوقت الذى كان فيه هداف مصر المرحوم
حازم يجلس على الدكة يتفرج ، ومحمد رمضان يجلس فى بيته يشاهد المباراة فى
التليفزيون . وفى المباراة الثانية أمام ساحل العاج ، ظلت النتيجة هى التعادل

حتى منتصف الشوط الثانى ، وانخلعت قلوب المصريين فى المدرجات وفى المنازل أمام أجهزة التلفزيون ، وفتح الله على شحته فاشرك شوقى غريب فى المباراة ، وبعد دقائق سجل هدف مصر الاول وكان أول استفتاح على طريق البطولة الافريقية .

واشترك الفريق القومى بعد ذلك فى مباراة مع تنزانيا واحرز عشرة اهداف فى القاهرة وفى دار السلام ، ثم لعب الفريق مع كينيا وسجل سبعة اهداف ، ثم اشترك فى دورة كوريا وتعادل مع كوريا التى اشتركت فى كأس العالم ، وهزم امريكا التى تعادلنا معها فى دورة لوس انجلوس رغم اشتراك الخطير والمهييب والحبيب والعقيد والمختار . ولم تهزمننا استراليا الا بضربات الجزاء ثم كانت الدورة الافريقية فى نيروبي وفاز الفريق فيها بالميدالية الذهبية ، بالرغم من أن الفريق فقد فى أول مباراة شوقى غريب وعماد سليمان ، وهزمننا السنغال التى هزمتنا فى القاهرة ، وهزمننا ساحل العاج ، وهزمتنا مالاوى بهدف هو مسئولية حارس المرمى ولا أحد سواه . ومع ذلك قرب ضارة نافعة لأن هزيمة الفريق فى الدور التمهيدي أفضل من هزيمته فى دور الاربعة . وتغلبننا على الكاميرون بضربات الجزاء ، وهى نفس النتيجة التى انتهت اليها مباراتنا معه فى القاهرة وامام مائة الف متفرج مصرى احتشدوا فى الاستاد ، ثم كانت المباراة النهائية وفزنا فيها على كينيا صاحبة الارض وامام ستين الف متفرج كينى احتشدوا فى الملعب وهم يزارون كاسود الغاب .

ماهى الجريمة اذن التى ارتكبها الخواجة سميث والكابتن شحته ؟ وماهو المجد الذى كان يمكن أن يحققه العبقري طارق يحيى أو اللوذعى علاء ميهوب ؟ لكنها عقدة الاهلى والزمالك ، والهزيمة بكباتن الاهلى والزمالك خير من النصر على يد كباتن الترسانة والاسماعيلي ، تماما كما ان الاستعمار على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى ؟

ولكنى أقول للسادة أياهم إن هذا كان زمانا ومضى ، ولابد لنا الآن من اعطاء العيش لخبازينه ولو أكلوا نصفه . وهذا الفريق الذى صنعه شحته والخواجة سميث هو أعظم فريق قومى شهدته مصر فى تاريخها الطويل ، لانه فريق بلا كوسة وبلا خواطر وبلا ضغوط . وميزة الخواجة سميث انه لا يعرف الاهلى ولا يعرف الزمالك ، وهو لا يعرف غير الكرة ، ولا يقدر غير الجهد الذى يبذله اللاعب اثناء المباراة . وهذا الفريق القومى الحالى هو أول فريق مصرى يلعب كرة جماعية ولا يعتمد على اللاعب الفرد الذى يلعب بالكعوب وطراطيف الاصابع والاهداب ، والذى لا يعنيه الا تاوهات الجماهير فى المدرجات ، اما احراز الاهداف أو الحصول على الميداليات فهذه ارادة السماء ، وليس للبنى آدم اللعيب ان يتدخل فيها بأى حال من الأحوال !!

وبعد ايها السادة لقد انتهى عصر اللاعب الاوحد والدليل على ذلك ما حدث اخيرا فى دورة امريكا اللاتينية ، فقد انهزمت الارجنتين على ارضها وخرجت من الادوار التمهيدية ، والنجم الاوحد مارادونا على رأسها ، وانهزمت البرازيل ايضا فى الادوار التمهيدية ، وكان يلعب ضمن صفوفها سقراط واغلاطون وسارتر وزكى نجيب محمود . ولعب المباراة النهائية فريقا شيلي وأورجواى وليس فى الفريقين لاعب واحد مشهور خارج حدود بلاده ، وفاز أورجواى بكأس امريكا اللاتينية رغم انف العبقرى مارادونا الذى يلعب غالبا لمارادونا ولا يلعب للارجنتين !

وصدقونى ايها السادة اذا قلت لحضراتكم ان هذا الفريق القومى بتشكيله الحالى تحت إدارة الخواجة سميث وشريكه شحتة ، هو الفريق الذى سيكون له شرف تمثيل مصر فى مسابقة كأس العالم المقبلة فى روما ، وأراهنكم بكل ما يملك سلطان برونو وعدنان خاشوقجى وأشرف قاسم .. اقصد اشرف مبروان .. هل من مراهن ؟

اللهم فاشهد ..

اللهم قد راهنت !



ابن الدائرة !



زمان .. إنخبطت فى عقلى ورشحت نفسى فى إنتخابات الاتحاد الاشتراكى فى دائرة قسم الجيزة . وكان عدد المرشحين فى الدائرة يكفى لانشاء فرقة تستطيع تحرير فلسطين بسهولة ، واكتشفت ان جميع المرشحين اشتراكيون قبل ظهور الاشتراكية ، وثوار قبل قيام الثورة ، وكلهم مع الكفاية والعدل وتذويب الفوارق بين الطبقات ، كلهم بحمد الله وبلا إستثناء ، وكان من بينهم مهرب العملة وتاجر السوق السوداء ، واغلبهم كان مرشحا عاما فى جميع الانتخابات التى شهدتها مصر منذ ثورة احمد عرابى وحتى الثورة الخضراء ! وكان من بينهم مرشح يحتفظ فى بيته بمئات المنشورات الكبيرة الحجم ، وكلها تحمل صورته فقط ، وكان يطل فيها على الجماهير وقد اسند ذقنه على كفه على طريقة الشاعر شوقى ، وفتح فمه عن ابتسامة ساحرة على طريقة الفنان محمد العربى . وكانت هوايته الوحيدة هى خوض جميع معارك الانتخابات التى تجرى فى الجيزة ، من اول إنتخابات مجلس الشعب إلى انتخابات مجلس إدارة جمعية دفن الموتى ، وكان يكتفى بلصق صورته بالحجم الطبيعى على الحوائط وجذوع الشجر وأعمدة النور ، وكان يطوف بسيارته آخر الليل يستعرض صورته وهو يطل على الجماهير وقد اسند رأسه على كفه وإبتسم ، وكان يخسر التأمين دائما فى كل انتخابات يخوضها ، وكان يحصل على اقل من مائة صوت فى دائرة تعداد اصواتها ثلاثون الفا .

ولكنه لم ييأس قط ولم يكف عن خوض المعارك الانتخابية ، ولم يتردد فى ترشيح نفسه مرة واحدة واكتشفت فى اول ايام الحملة الانتخابية ان على العبد الله ان يطوف بجميع المقاهى فى الجيزة ، وان يصافح جميع المارة فى الشارع ، الذين من اهل الجيزة والذين من غيرها ، وان يرفع شعارا واحدا يواجه به الجماهير . هو السلام عليكم ، فترد الجماهير وعليكم السلام .

وأدرت حكمة فيلسوف الشعب المرحوم عمر الجيزاوى فى منلوجه الشهير إتفضل شأى .. لا انا متشكر ، وساعدنى إلمامى بالثراث فى الخروج من مأزق

اتفضل شأى (الناخبون هم الذين يعززون على العبد لله) وكنت أرد لا انا متشكر ، فإذا أعادوها كنت اقتبس رد عمر الجيزاوى أيضا مع فارق بسيط فأقول انا عندى جولة بينما المرحوم الجيزاوى كان يقول انا عندى قضية ! وهكذا صارت الجولات التى من هذا النوع ، هى قضيتى الاولى والاخيرة ، وفى يوم الانتخابات اكتسحت الدائرة اكتساحا رهيبا ، وقد اصابتنى الدهشة الشديدة لهذا الاكتساح الذى لم أعرف سببه حتى الآن . فانا يشهد الله لم تتح لى فرصة الحديث مع أحد أو شرح برنامجى لاحد ، أو استعراض وجهة نظرى فى مشاكل الجيزة ، أو وسيلتى لحل مشاكل الجيزة ، لأن احدا لم يسألنى كما ان الظروف لم تتح لى فرصة للشرح والتفسير ، كانت المعركة هى السلام عليكم وعليكم السلام ، واتفضل شأى .. انا متشكر ، واتفضل شأى .. انا عندى جولة ! ويبدو ان الناخبين اقتنعوا بهذا البرنامج ، فما دمت أبدا الناس بالسلام ، فانا إذن رجل سلام ورجل حرب إذا اقتضت الظروف ، لأن الذى يسلم فى البداية ممكن ان يتعارك فى النهاية ، وأيضا ربما تصوروا ان شعارى هو يد تسلم ويد ترفع السلاح ، وبما اننى لا أقبل عزومات الشأى ، فانا إذن رجل عفيف ونظيف وشريف ، كما اننى لا بد وان اكون من الرجال الذين يسيرون على خط مستقيم ، فلا شأى ولا قهوة ، ولا سهر الليالى من أجل بلوغ المعالى ، ولكنه النوم البدرى والصحيان المبكر من أجل زيادة الانتاج ، ورفعة الاوطان ، وتيسير الاجراءات أمام المصدرين ! وأيضا لاننى اصر عند تكرار العزومة على الرفض بحجة ان عندى جولة ، فهذا دليل اخر على اننى رجل مهام عظيمة فالجولة هى سفر قصير ، وفى الاسفار سبع فوائد ، لم أعرف منها الا فائدة واحدة حتى الآن ، هى الفرجة على مخاليق الله فى بلاد الله . ولكن فى تلك الانتخابات التى تورطت فيها ، كان لا بد من التصعيد من القاعدة الى لجنة القسم ، ثم التصعيد من لجنة القسم الى لجنة المحافظة ومن لجنة المحافظة الى المؤتمر العام ، وخرجت من بحر الجماهير الى لجنة العشرة التى تنتخب مندوبيها الى لجنة القسم . وكانت معركة ولا معركة الباسوس ، واكتشفت ان الانتخابات وسط القاعدة اسهل بكثير من الانتخابات وسط عشرة مندوبين ولكننى استطعت اجتياز هذه العقبة بفضل الترتيبات والتريبطات والكوميينات وشغل الثلاث ورقات الذى فرض نفسه على مجتمع المرشحين ، واكتشفت لحظة الاقتراع ان كل واحد من العشرة قد عقد إتفاقا مع العشرة ، وان الكل سينتخب الجميع ! وعند التصعيد الى لجنة المحافظة ، تساوت اصواتى مع اصوات مرشح اخر ، فتقرر إجراء قرعة ، واختارت القرعة الاكثر نضالا والاكثر اشتراكية والاكثر تضحية ، وفاز منافسى بالمقعد ، وذهب العبد لله فى البأى باى ! وثبت ان القرعة كانت على حق ، فقد ظل منافسى اشتراكيا ملتزما الى اخر يوم فى عمر الاشتراكية ، ثم انفتح مع الانفتاح ، فصار مليونيرا وبنكيرا ورجل أعمال يشار اليه بالشيكات ! ولغت نظرى خلال المعركة مئات الوعود بذلها عشرات المسؤولين ، من اول المحافظ الى رئيس قسم النظافة ، وعد بشق طرق وإقامة مبان وغرس ثلاثين الف شجرة فى حوارى الجيزة ، وإقامة

اتفضل شأى (الناخبون هم الذين يعزّون على العبدش) وكنت أرد لا انا متشكر ، فإذا أعادوها كنت اقتبس رد عمر الجيزاوى أيضا مع فارق بسيط فأقول انا عندى جولة بينما المرحوم الجيزاوى كان يقول انا عندى قضية ! وهكذا صارت الجولات التى من هذا النوع ، هى قضيتى الاولى والاخيرة ، وفى يوم الانتخابات اكتسحت الدائرة اكتساحا رهيبا ، وقد أصابتنى الدهشة الشديدة لهذا الاكتساح الذى لم أعرف سببه حتى الآن . فانا يشهد الله لم تتح لى فرصة الحديث مع أحد أو شرح برنامجى لاحد ، أو استعراض وجهة نظرى فى مشاكل الجيزة ، أو وسيلتى لحل مشاكل الجيزة ، لأن احدا لم يسألنى كما ان الظروف لم تتح لى فرصة للشرح والتفسير ، كانت المعركة هى السلام عليكم وعليكم السلام ، واتفضل شأى .. انا متشكر ، واتفضل شأى .. انا عندى جولة ! ويبدو ان الناخبين اقتنعوا بهذا البرنامج ، فما دمت أبدا الناس بالسلام ، فانا إذن رجل سلام ورجل حرب إذا اقتضت الظروف ، لأن الذى يسلم فى البداية ممكن ان يتعارك فى النهاية ، وأيضا ربما تصوروا ان شعارى هو يد تسلم ويد ترفع السلاح ، وبما اننى لا أقبل عزومات الشأى ، فانا إذن رجل عفيف ونظيف وشريف ، كما اننى لابد وان اكون من الرجال الذين يسيرون على خط مستقيم ، فلا شأى ولا قهوة ، ولا سهر الليالى من أجل بلوغ المعالى ، ولكنه النوم البدرى والصحيان المبكر من أجل زيادة الانتاج ، ورفعة الاوطان ، وتيسير الاجراءات أمام المصدرين ! وأيضا لاننى اصبر عند تكرار العزيمة على الرفض بحجة ان عندى جولة ، فهذا دليل اخر على اننى رجل مهام عظيمة فالجولة هى سفر قصير ، وفى الاسفار سبع فوائد ، لم أعرف منها الا فائدة واحدة حتى الآن ، هى الفرجة على مخاليق الله فى بلاد الله . ولكن فى تلك الانتخابات التى تورطت فيها ، كان لابد من التصعيد من القاعدة الى لجنة القسم ، ثم التصعيد من لجنة القسم الى لجنة المحافظة ومن لجنة المحافظة الى المؤتمر العام ، وخرجت من بحر الجماهير الى لجنة العشرة التى تنتخب مندوبيها الى لجنة القسم . وكانت معركة ولا معركة الباسوس ، واكتشفت ان الانتخابات وسط القاعدة اسهل بكثير من الانتخابات وسط عشرة مندوبين ولكننى استطعت اجتياز هذه العقبة بفضل الترتيبات والتريبطات والكوميينات وشغل الثلاث ورقات الذى فرض نفسه على مجتمع المرشحين ، واكتشفت لحظة الاقتراع ان كل واحد من العشرة قد عقد إتفاقا مع العشرة ، وان الكل سينتخب الجميع ! وعند التصعيد الى لجنة المحافظة ، تساوت اصواتى مع اصوات مرشح اخر ، فتقرر إجراء قرعة ، واختارت القرعة الاكثر نضالا والاكثر اشتراكية والاكثر تضحية ، وفاز منافسى بالمقعد ، وذهب العبدش فى البأى باى ! وثبت ان القرعة كانت على حق ، فقد ظل منافسى اشتراكيا ملتزما الى اخر يوم فى عمر الاشتراكية ، ثم انفتح مع الانفتاح ، فصار مليونيرا وبنكيرا ورجل أعمال يشار اليه بالشيكات ! ولغت نظرى خلال المعركة مئات الوعود بذلها عشرات المسؤولين ، من اول المحافظ الى رئيس قسم النظافة ، وعد بشق طرق وإقامة مبان وغرس ثلاثين الف شجرة فى حوارى الجيزة ، وإقامة





ناطحات سحب داخل حارة رابعة ، وإنشاء بلاجات على الشاطئ الشمالى لبحيرة النشع التى يقصدها وفود السياح الذين يأتون إليها خصيصا من بولاق الدكرور وعزبة أبو قتاده ! وبعضهم تبجح أكثر فوعد بإرسال بعثات تعليمية من الجيزة الى الخارج .. أقصد الى بنها وديروط الشريف ! وإنشاء مفاعل ذرى لانتاج قنبلة ذرية بالجهود الذاتية ، وهى متوفرة والحمد لله بسبب نشاط الامعاء بعد وجبة كوارع وبصل مخل ! ولكنهم جميعا والحق اقول كانوا فى غاية الواقعية .

فلم يعد أحدهم بتبليط حوارى الجيزة المفجرة ، ولا ردم البرك والمستنقعات ، وإن كان البعض قد وعد بجذب السياح الى شواطئها الجميلة ، اقول لم يعد احد من المسئولين الصغار بانجاز هذه الاعمال التافهة ، باعتبارها اشياء مستحيلة !

وكان بين المرشحين فى ذلك الزمان معارضة رغم وقوف الجميع تحت مظلة الاتحاد الاشتراكى . كان من بين المرشحين فلول من احزاب العهد الملكى السابق ، وكان هناك يساريون من بقايا تنظيمات قديمة انفرط عقدها بسبب المطاردة والتنكيل ، أما الفلول القديمة ، فأغرب شئ أنها وعدت الجماهير بجلاء المستعمر البريطانى مع ان المستعمر البريطانى كان قد حمل عصاه على كاهله ورحل منذ اثني عشر عاما طويلة . احد هؤلاء وكان يقترب من السبعين كان يحمل فى يده دائما نسخة من صحيفة البلاغ التى اغلقت ابوابها منذ عشرين عاما ، وكان يتهم منافسيه بانهم على علاقة بالمندوب السامى ، وكان عندما ينفعل يصرخ متشنجا فليسقط قصر الدويارة وكان يشيع بين الناس ان بريطانيا العظمى ارسلت بالقرب من شواطئنا فرقاطة للضغط على الحكومة من اجل اسقاطه ! أما فلول التنظيمات السرية القديمة فقد اعلنوا ان هدفهم من الترشيح ليس النجاح فى الانتخابات ولكن مخاطبة القاعدة العريضة ، ومن اجل هذا الهدف اكتفوا بعقد ندوة مسائية فى قهوة كتكوت فى ميدان سوق الاحد بالجيزة وتعاقبوا فى الحديث مع الجماهير عن الشواشى العليا للبرجوازية ، وعن بطولة الزمن الغابر والتفسيرات المرضية التى صاحبت ظهور البطل ، والوضع السالب فى النظرة للحياة ، وهى نظرة مستعادة ومستردة من هذا الزمن السرمدى ، مع توهج الوعى وتأججه من خلال الشرور المحيطة والآثار المدمرة لتحركات الاسطول السادس وحلف بغداد ومؤامرات حلف الاطلنطى واستغلال العائلات الخمس لعرق الكادحين من اجل شروق شمس الحرية على وادى العرقانيين من اجل ثراء لانظير له وسعادة لاحد لها ، حيث يستطيع ان يفترق الجميع من مخازن لايتفد مافياها وعلى طول المدى ! ويبدو ان رواد الندوة قد طالتهم هذه السعادة الابدية بالفعل ، لانهم انسجموا واندمجوا الى حد انهم لم يستطيعوا مغادرة اماكنهم للاشتراك فى التصويت ، حتى المرشحون الذين كانوا يتعاقبون على الحديث فى الندوة ، لم يظهر لهم اى اثر فى مراكز الاقتراع ولم اكتشف السر الا بعد ذلك بسنوات طويلة .

فقد علمت ان المعلم ككتوت انتهز فرصة عقد الندوة السياسية فى المقهى كل مساء فاقام ندوته الخاصة داخل المقهى واهتم بالرص والتكريس من اجل تعاضم انسجام طبقة الشغيلة وتعمير امخاخ الشقيانين والذين على باب الله ! وكان المعلم ككتوت ذكيا ولماحا ، فقد قدر ان المباحث لن تهجم على القهوة اثناء الندوة السياسية لان معنى ذلك ان الديمقراطية فى خطر ، والحرية فى مهبط الريح ، ومستقبل الوطن على كف عفريت . وسيهرع الف محام ليفرغوا الف قضية ضد ممارسات الحكومة القمعية واجهزتها الدكتاتورية ! وكان من بين المعارضين نوع ثالث مختلف ، وكان يرى ان الناس نوعان .. نوع يطلق لحيته ونوع يطلق غرائزه . نوع يستجيب للسلف الصالح ، ونوع يسير على خطى الخلف الطالح . وكانوا يعدون الناس فى حالة نجاحهم بتحرير القدس وتحرير الاندلس ، فقط بشرط العودة الى نهج القعقاع واتباع سلوك عبدالله بن شمروخ ، وبارتداء القصير من الثياب واكل الخشن من الطعام والحرص على صلاة الجماعة ، لان صلاة الجماعة يضاعف الله حسناتها يوم القيامة . اما التليفزيون وبطولة الامم الافريقية وكأس العالم ومعرض القاهرة الدولى للكتاب وفندق شبت ووادى عبقر ومسرح خفاجى فكلها بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ! اما الجيزة وبلالويها والناس ومشاكلهم اما الغذاء والكساء ونقص البيوت وقلة الاجور فهذه اشياء يمكن حلها على طريقة المرجة ، اى إرجاء النظر فيها الى يوم الموقف العظيم ، باعتبارها اشياء دينوية ، والدنيا فانية ودار غرور وطوبى لمن يصبر ، ومن يصبر ينول ! وانتهت الانتخابات وفاز من فاز وان كان الجميع قد حرصوا على الاحتفاظ بلقب ابن الدائرة مع ان بعضهم لم يكن له سابق علاقة بالدائرة الا ورق الترشيح . وخلت شوارع الجيزة من الجولات والقعدات ، ولم يعد احد يسير فى شوارع الجيزة رافعا شعار السلام عليكم ، واختفى هتاف اتفضل شأى ، وحل محله هتاف اتفضل فقط ! لان الشأى للمرشح فقط ، اما عابر السبيل ، فليس هناك مناسبة لشرب الشأى .. والدعوة هنا مجرد سد خاتة ، لانه لن يتفضل ، واذا تفضل فلن يجد ترحيبا من احد ! وتوالى الانتخابات بعد ذلك وجاء اكثر من مجلس امة واكثر من مجلس شعب واكثر من مجلس شورى وجاء مجلس محلى ومجلس محافظة ومجلس انس ، وتغيرت اشياء كثيرة ، حتى الزمن نفسه تغير ، ولكن لم يتغير شئ فى الجيزة على الاطلاق . صحيح حدث بعض التغيير ولكن الى الاسوأ ، برك المجارى ازدادت اتساعا ، وحفر الطريق ازدادت عمقا ، وتلال الزبالاة ازدادت ارتفاعا وصار الحصول على تصريح بناء اصعب من الحصول على مفتاح لدخول الجنة ، وانقرض عهد الادارة فى الجيزة فلم يعد هناك ضابط ولا رابط ، ملاهى تفتح ابوابها حتى الصباح مع ان موعد الاغلاق الرسمى هو الثانية صباحا ، وكل من لديه مخلفات بناء يلقي بها فى عرض الشارع ، حتى صار عدد الشوارع السالكة اقل من عدد الشوارع المسدودة ولان الجيزة فى مهرجان دائم ، فقد تبارت

ميكروفونات الجوامع مع ميكروفونات المآتم مع ميكروفونات الافراح مع ميكروفونات الباحث عن عيل تايه .. ياولاد الحلال !

وندوة قهوة المعلم كتكت البعيدة عن الثورية وغير السياسية اتسعت وامتدت ، والاشجار القليلة التى كانت موجودة فى الشوارع اقتلعت وانتزعت ولكن الحياة تسير سيرها المعتاد المحافظة موجودة والناس موجودة الزحام زاد والخير قل ، والدولار اصابه سعار والجنيه المصرى انكمش من شدة البرد ، ومشاكل المصدرين فى طريقها لحل ، وبعض الناس زعلانة لان اسماعهم لم تظهر فى القائمة وبعضهم زعلان لان اسمه جاء فى ذيل القائمة فكل المرشحين ، والذين كان فى نيتهم الترشيح ، كلهم مجندون من اجل مصر وخدمة مصر ورخاء مصر وكلهم مستعدون للبدل والتضحية والفداء وكلهم على مستوى المرحلة ، وكلهم يرفع شعار السلام عليكم ، وكلهم معتنون اذا ردت الجماهير عليكم السلام ، اما الشاى فلا حاجة له الان ، فقد يكون من النوع الملوث ، وقد يقضى على المرشح قبل ان يحقق امنيته ويصل الى باب البرلمان ، انها صورة من دقاترى القديمة عن انتخابات جرت زمان . ولقد كان فى نية العبد لله ان يكتب عن الانتخابات الحالية ، لولا اننى على سفر .. وايضا لاننى مطمئن الى صلاحية المرشحين وطيبة النواحيين .. ولذلك استاذنكم فى السفر واقول للجميع السلام عليكم فيرد الجميع وعليكم السلام ، واتفضل شاى لا متشكر ، اتفضل شاى .. انا على سفر .. ومن كان منكم على سفر ، ففى الف سلامة ، والمركب اللى تودى ، وعند الانتخابات يستكرد الناخب أو يهان ! و .. السلام عليكم . وعليكم السلام .



عفوا مولانا
الشيخ !



أكاد - استغفر الله - أشق الجيوب والطم الخدود كما كانت تفعل النساء في الجاهلية الأولى ! وليس سبب حزني وبلائي إلا القحط الشديد الذي أصاب دولة التلاوة بعد أن كانت أخصب بقعة في غيط الفن العظيم في الثلاثينات وحتى الخمسينات من هذا القرن ، كانت مائدة التلاوة دسمة ومترامية الاطراف وعليها من كل بستان زهرة .

كان الشيخ محمد رفعت هو قيثارة السماء ، كان صوته اشبه بخلطة ربانية من مزامير داود وهديل الحمام . وصوت الكروان الشارد في سماء الله في الليل الحزين .

وكانت خامة صوته من معدن نفيس قراراته ناعمة كالحرير وجواباته سليمة ومقتنة ومقتدرة وشامخة كاعلام فرقة من الجند في طريقها الى غزوة في سبيل الله . وكان مع الشيخ محمد رفعت عدد من المشايخ الموهوبين ، على رأسهم الشيخ مصطفى اسماعيل صاحب أعذب وأجمل وارق صوت أنجبته أمة محمد وكان هناك الشيخ عبدالفتاح الشعشاعي صاحب الصوت القوى والنبرات الواضحة والفن العظيم ، وكان هناك الشيخ عبدالعظيم زاهر ، وصوته الذي كان علامة رمضان المميزة وفأكهة رمضان المحببة الى النفوس ، وكان هناك عبقرى النغم والتلاوة الشيخ على محمود ، أعظم صوت رفع الأذان في تاريخ الأمة بعد صوت مؤذن الرسول سيدنا بلال وإلى جانب هؤلاء كان هناك عشرات من "المقرئين" المبدعين ، الذين تجاوزت شهرتهم حدود مصر الى الخارج ، في وقت لم يكن العالم قد عرف من وسائل الاتصالات إلا التلفزيون . الشيخ الفيشاوي والشيخ القهاوي والشيخ منصور بدار ، الذي اختاره الخليفة العثماني ليكون قارئ الخلافة ، وشهد فترة من بزوعها وعاش حتى شهد سقوطها ، وعاد الى مصر ، وكان ماثم الزعيم سعد زغلول هو آخر مناسبة شعبية تربح فيها الشيخ بدار على دكة "المقرئين" ولكن كان هذا زمان ومضى ، وخلت الساحة الآن إلا من قلة قليلة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ، وهذه القلة الموهوبة هي التي حفظت دولة التلاوة

من الزوال ، الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ الطبلاوى والشيخ مصطفى غلوش ، وسيصيبك الاجهاد حتما لو حاولت البحث عن آخرين لتضمهم الى قائمة الموهوبين وسط هذا الكم الهائل من "المقرئين" الذين تزدهم بهم مصر هذه الايام . والصوت الجميل فى دولة التلاوة ليس ترفا ، ولكنه شرط اساسى لابد ان يتوافر فى كل من يتصدى لهذا الفن الجليل . وحتى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سمع موسى الاشعرى وكان حسن الصوت يقرأ القرآن ، فاعجبه ، فقال له : لقد اوتيت زممارا من مزامير آل داود ، لو رأيتنى وأنا اسمع قراءتك البارحة !! وعن رسول الله ايضا ، ان رجلا من الصحابة جاء اليه بعد الانتهاء من بناء المسجد ، وقال له يارسول الله ، لقد رايت فيما يرى النائم اننى اصعد على ظهر المسجد فادعو الناس الى الصلاة قائلا الله اكبر ، أشهد ان لا إله إلا الله ، أشهد ان محمدا رسول الله ، حى على الصلاة حى على الفلاح ، لا إله إلا الله ، فقال له رسول الله نعم ما رأيت ، فهول الرجل يريد الصعود الى سطح المسجد ليؤذن للصلاة ، فاستوقفه الرسول وقال له : دع بلالا يؤذن ، فانه اندى منك صوتا . ياللقيادة الحكيمة الجليلة ، التى تضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . لقد انتهت مهمة الرجل ، فرأى فيما يرى النائم حلما . ولكن دوره توقف عند هذا الحد . اما تنفيذ الحلم فى الواقع ، فسيعهد به الى رجل اخر اصلح فى تنفيذه من الرجل الذى رأى فى المنام . ليه ؟ ليس لانه صاحب سلطة أو صاحب نفوذ ، أو من الانصار المقربين ، ولكن لانه اندى صوتا . الصلاحية هنا للموهبة والعمل لمن يستطيع القيام به ، والشرف لمن يستحقه . وهكذا صار سيدنا بلال هو مؤذن الرسول ، لا لشيء ولا لسبب الا انه كان اندى صوتا . لم يعد الان فى الساحة من هذا الصنف العظيم الذى هو اندى صوتا ، الا عمنا الشيخ عبدالباسط عبدالصمد ، نسأل الله ان يخفف عنه وطأة مرض السكر ، والشيخ الطبلاوى الذى لم تشهد دولة التلاوة مثيلا له من قبل ، والشيخ مصطفى غلوش الذى استطاع ان يتخلص تماما من تأثير الشيخ مصطفى اسماعيل ، واتخذ لنفسه مدارا خاصا ، وصار بذلك واحدا من اقمار دولة التلاوة وحجز لنفسه مكانا مع عباقرة المقرئين . ولكن الصورة بعد ذلك لا تسرعوا ولا حبيبا مقرئون أخطاوا طريقهم الى حلبات الملائكة واشتغلوا بالترتيل ، باعتباره أحسن من كافة شىء يغضب الرحمن الرحيم ومقرئون لا يعرفون الف باء علم القراءات احدهم - وقد تدخل الازهر فمنعه من القراءة - مع انه صاحب صوت جميل ولو كان الشيخ اياه على دراية بفن القراءة ، لكان له الآن شأن آخر . الشيخ اياه - ولا داعى لذكر الاسم - تصور ان القراءة بالسبعة هي تكرار الاية سبع مرات ، وكل مرة بلون مختلف ولانه فهم السبعة على هذا النحو ، فقد خرج بقراءته عن الشكل السليم ، وتصرف فى كلام الله بما لا يتفق مع الاصول .. ولا يليق !! استمعت اخيرا الى شريط من أشرطة التى يتداولها الناس فى السوق سرا وبلا رقيب كان حريصا على قراءة الاية سبع مرات ، باعتبار ان هذه هي القراءات السبع حسب فهمه لها وليس حسب القواعد والاصول وقد

أرعى حاجي صوته الجميل وهو يقول : "اذ قال إبراهيم ربى اجعل هذا البلد امنا" كرها سبع مرات . مرة اذ قال إبراهيم ، ومرة اذ قال ابراهيم ، ومرة اذ قال برهيم ، ومرة اذ قال برهوم . ولاداعي لذكر الباقي ، لان ناقل الكفر كافر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ، والقراءات السبع لفضية الشيخ اياه ولغيره من المشايخ الذين اشتغلوا بالقراءة من باب اكل العيش ، وباعتبار ان الحنجرة البطالة نجسه ، واعمل بخمسة وحاسب البطال ! اقول لهؤلاء جميعا ان القراءات السبع علم يجب على المقرئين ان يتعلموه . وكتاب القراءات السبع لمؤلفه أبى بكر أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد التميمي البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤ هجرية . وقد اعتمد القواعد التي قرأ بها سبعة من كبار القراء ، وهم أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوداها والكسائي من أهل العراق . وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة وكل منهم كما وصفه ابن مجاهد في مقدمة الكتاب المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلام ، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار وفي تعريف الديماطي البنا لعلم القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والاثبات ، والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال وغيره من حيث السماع . وببساطة وبدون حذقة سأحاول أن أشرح للقارئ باختصار وعلى قدر الطاقة نماذج من التعديل والتبديل والحذف وكما يسمح علم القراءات ..

خذ مثلاً بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين تقرأ (مالك يوم الدين) ويجوز ايضا (ملك يوم الدين) ومثلاً (ويضيق صدرى) يجوز قراءتها برفع يضيق ويجوز نصبها ايضا ومثلاً (انظر الى العظام كيف ننشزها) وتقرأ (ننشزها) بالزاي المعجمة ، وتقرأ ايضا ننشزها بالراء المهملة ، ومثل (وزادكم فى الخلق بسطة) بالسين المهملة وتقرأ ايضا (بصطة) بالصاد المهملة .. و(طلع منضود) وتقرأ ايضا (وطلع) بالحاء المهملة و(جاءت سكرة الموت بالحق) وتقرأ ايضا (وجاءت سكرة الحق بالموت) و(ما عملت ايديهم) وتقرأ ايضا (وما عملته ايديهم) و(ان الله هو الغنى الحميد) وتقرأ ايضا (ان الله الغنى الحميد) ومن معالم القراءات ايضا الاظهار والادغام والاشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتحقيق والتسهيل والابدال والنقل هذه كلها اوجه اختلاف فى علم القراءات وليس من بينها طبعاً بدعة تغيير اسماء الاعلام فننطق مرة إبراهيم ومرة ابراهيم ، ومرة برهيم ، ومرة برهوم . كما فى قراءة الشيخ اياه ! ولكن مصيبة هذا الشيخ ارحم من مصيبة غيره ، لان هذا الشيخ لو تعلم اصول القراءات لكسبنا به نجماً ساطعاً فى دولة التلاوة فصوته جميل وقوى ، وهو يشبه قيثاراً فى يد عازف مبسوط ! أما مصيبة الآخرين ، فهي

مصيبة نسأل الله ان يرفعها عن كاهلنا وان ينجينا من شرها فكلهم بلا صوت ، وبعضهم بلا دراسة . استمع الى احدهم احيانا فادرك فوائد ان يصاب الإنسان بالصمم والغريب ان اغلبهم مواهب تفتحت بعد الاوان ! فبعضهم يدور حول الستين أو فوقها ، وأسماؤهم عجيبة كأصواتهم .. الكرداسي والباسوسي والسويسسي والجاموسي والبرقاشي والاسماعيلي ولعلنا نسمع قريبا عن الاوليمبي اعوذ بالله ! وهناك بين المقرئين في الساحة من كنت اتوقع له خيرا في قادم الايام ، ولكنهم توقفوا عند الحد الذي وصلوا اليه ولم يتقدموا خطوة واحدة بعد ذلك ، كالشيخ احمد الرزقي ، وهناك من درس علم القراءات ولكن امكانياته الصوتية ليست على مستوى علمه ، فتفرغ في نقد اصحاب المواهب على طريقة مدرس النحو العربي عندما يتفرغ لنقد الموهوبين من الشعراء كما الاستاذ الشيخ احمد شعبان ! ثم لا شيء بعد ذلك في دولة التلاوة الا حناجر مبحوحة واصوات مشروخة ، وافتح اذني على كثير ولكن لا اسمع احدا . والسؤال الان هل عقلت مصر ؟ هل جفت ينابيع المواهب ؟ هل ذبلت شجرة التلاوة ؟ . الجواب لا بالطبع لان مصر ولادة والارض التي انجبت محمد رفعت وانجبت من قبل احمد ندا ، ومنصور بدار وعلى محمود وانجبت بعدهم الشعشاعي وشعشع واحمد سليمان السعدني وهريدي الشوربجي والسندويني والينا والمنشاوي والدروي وعبدالعزیز على فرج والطوشي والفيومي والبهيمي والنفسبندی والفشني وعبدالسميع بيومي . هذه الارض الطيبة قادرة على العطاء والانجاب في كل وقت . واذا كانت بعض العواصم العربية قد اغراها فترة القحط الحالية التي اصابها دولة التلاوة ، فخرجت على الناس بمزاعم عن مدارس بغدادية في التلاوة ومدارس دمشقية ، فهي كلها مزاعم ولا اساس لها من الصحة . وحيانا استمع الى بعض المقرئين في تلك البلاد فيزداد ايماني بالحكمة الشعبية (تشوف بلاوى الناس ، تهون عليك بلوتك) والعبد لله - والحمد لله - سمع قرآن قديم ، وتشرفت بمعرفة الشيخ محمد رفعت قبل موته ، وسعدت بصداقة الشيخ الصيفي والشيخ الشعشاعي والينا والشيخ محمد سلامة والشيخ مصطفى اسماعيل وللعبد لله دراسة عن فن تلاوة القرآن صدرت منذ ثلاثين عاما في كتاب بعنوان "الحنان السماء" ولكن هؤلاء الذين كتبت عنهم في الحان السماء مضى اغلبهم الى رحاب الله . ولكن من نعم الدهر علينا اننا فقدناهم باجسامهم بينما أصواتهم لا تزال بين أيدينا في أشرطة بعضها صالح وبعضها لا بأس به وفي هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك ، أرجو أن تستعين أجهزة الإعلام بأصوات العباقرة الذين انتقلوا الى رحمة الله ، فهذا اجدر وانفع عند الله والناس . أما البقري والجاموسي والبنى سويقي والدهشوري والاطفيحي فاتركوهم يحلون عن قفانا ويسرحون في بلاد الله وخلق الله ورحم الله

الشيخ محمد رفعت عمدة المقرئين في زمانه وفي كل الأزمان ، والذي عاش حياته كلها في حى البغالة والذي كان يستخدم الترام والاتوبيس والتاكسى احيانا في مواسلاته ، والذي لم يحدد تسعيرة لنفسه كما يفعل كل مشايخ هذه الايام ، والذي جمع في حياته كلها من قراءة القرآن اقل مما يحصل عليه الشيخ الدهشورى - اى دهشورى - في ليلة واحدة ! وياعمنا الكبير الشيخ محمد رفعت في هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك اقرأ الفاتحة على روحك وبالنسابة عن جميع المقرئين اعتذر لك !



والحساب يجمع



هل أنت مديون ؟ هل يطاردك البواب والبقال والجزار وموظفو الضرائب والعساكر والمحضرون ؟ هل تعاني الهم في الليل والنل في النهار والقلق في كل الاوقات ؟ اذا كنت كذلك فانت غلطان وعبيط وجاهل باصول علم الاقتصاد الجديد ولا تعرف قواعد المال في العصر الحديث . ونصيحتي لك الآن ان تنسى همك وتتخلص من قلقك وتمضى في طريقك منشراح الصدر . مرتاح الفؤاد !!

فالمديون الآن هو سيد الموقف وكلما غرقت في الديون أصبحت في أحسن حال .. أما الهم والنل والقلق والغضب والتفكير في الانتحار فهو من نصيب الدائن ، الذى أراد أن يستثمر أمواله للحصول على مزيد من الاموال فاقترضها لامثالك من المفلسين !!

ومن الآن فصاعدا .. اقترض ولا تهتم .. وأنفق ما تقتضيه ولا تعمل حساب الغد ، الغد فى علم الغيب ، ومهما يكن حال الغد ، فانت الاقوى وانت فى الوضع الافضل ، وانت السيد ، وانت صاحب الامر والنهى، بينما الدائن هو الذى يبكى ويلطم ويصرخ ، لانه هو الذى تعرض للنصب ، وتعرضت فلوسه "للهر" وما عليك الآن الا ان تنام ، وعلى الدائن أن يبقى ساهرا يضرب أخامسا فى أسداس ، واذا كان هذا الحال بين المديون والدائن فى دنيا الناس ، فالحال أسوأ بين المديون والدائن فى دنيا الدول والحكومات فالدول الدائنة تعد على اصابع الكفين بينما الدول المديونة هى بقية دول الأرض .

واصل الحكاية ان الدول الغنية إياها كانت تستعمر الدول الفقيرة إياها وخلال فترة استعمارها نزحت خيراتها ومصصمت عظامها وقضت على الاخضر واليابس ، وعندما رحلت الدول الغنية لم تترك على أرض الدول الفقيرة الا عدة كيلومترات من الاسلاك الشائكة ، وعددا من العملاء ومجموعة من مقابر الشهداء ! ولكن لان الدول الغنية اياها قلبها كبير ونفسها حلوه ونواياها طيبة ، فقد مدت يدها للدول الفقيرة فاقترضتها على النوتة ، والحساب يجمع . وعام بعد عام رحبت الدول

الفقيرة بالديون فاقبلت عليها ، وهات يا اقتراض وهات يا فلوس ، بفوائد كانت ضئيلة فى البداية فلما تأخرت فى السداد تضاعفت الفوائد ، فلما تلكأت فى السداد تضاعفت الفوائد ، ثم ظلت تتضاعف بعد ذلك والدول الفقيرة تقترض ، والفوائد تتضاعف والفقراء يأخذون ، والالاغنياء يدفعون وكله على النوبة .. والحساب يجمع !

ولان الدول المقرضة كانت فى الاصل مظلومة ومحرومة ، آخر فقر ، وآخر غلب ، فقد اهتمت بالمظاهر والمباهج ، وانفقت القروض على شوارع وكبارى ومطارات ومحطات إذاعة ومحطات تليفزيون وشبكات تليفون ، وصارت مثل الاقرع النزهى ، لا ثروات حققت ، ولا مصانع اقامت ، ولا عائد استقادات وخرجت فى نهاية الامر بديون كثيرة وفوائد اكثر ، وعجز كامل عن السداد .

وكان هذا هو الموقف بالضبط فى بداية الثمانينات . دول دائنة ودول مديونة ، وبينك دولى يقوم بين الاثنين بمهمة الحكم فى مباريات كرة القدم . والحكام - خصوصا فى كرة القدم - اشكال على ألوان . هناك حكم موالى ، وهناك حكم مدالس وهناك حكم بهواه مع فريق ضد فريق ، وهناك حكم قابض ومتفق ، ونتيجة المباراة فى جيبه قبل ان يطلق صفارة البداية ، اما البنك الدولى فقد كان من النوع الموالى والمدالس والذى يميل مع هواه ومتفق وقابض ويضع فى جيبه نتيجة المباراة . وعندما شعرت الدول المديونة بالغبن من ظلم الحكم تململت ثم شككت ثم هتفت ضد الحكم ، ثم ضد الحكم والفريق الخصم ، ثم زعقت وصرخت ، ثم تركت مقاعدها واقتحمت اسوار الملعب وهات ياتحطيم فى المقاعد وياتكسير فى المدرجات ، وياضرب فى المتفرجين واللاعبين والحكام .

وفى البداية اهدت الدول المديونة الى حل هو فى الاصل من اختراع الدول صاحبة الديون ، وصار جدول الديون هو شعار المرحلة وأنت تجدول الديون ، اى أنت تؤجل سدادها ، وأنت تؤجل سدادها فأنت تدفع مزيدا من الفوائد ليس على الديون فقط هذه المرة ، ولكن عليك أن تدفع على الديون وعلى الفوائد ايضا . وهى نظرية اقتصادية من اختراع الخواجة شلهوب . وهى اشبه بالنظرية المصرية الشهيرة التى وضعتها عالمة الاقتصاد زوية الكلوباتية فى القرن العاشر خشبة حبشى . حبشى مين ؟ صاحب الخشبة !!

فانت تقترض وتظل تقترض ، وتدفع الفوائد فقط ثم تقترض ثم تظل تقترض فاذا عجزت عن دفع الفوائد فلا مانع من ان تقترض وتظل تقترض وتستطيع جدولة الديون فتؤجل الدفع ثم تقترض وتظل تقترض ثم تقترض وتظل تقترض ثم تظل تقترض .. على رأى فؤاد المهندس حتى تعجز تماما عن الدفع وعن الاقتراض وعن الحياة .

وكان هذا هو الذى حدث بالضبط والعالم على أبواب العام ١٩٨٥ واتضح للدول



المديونة ان الجدولة هي شيء مثل "الكروته" ، لا تحل وتربط ، ولا تشبع ولا تسمن ولا تغنى من جوع . وكان لابد من حل آخر واهتدت دولة من كبار المديونيين الى الحل الامثل والممكن الوحيد : اشتهرت البرازيل افلاسها واعلنت العصيان فلا تسديد ولا جدولة ولا يحزنون .. وكانت قنبلة اقوى الف مرة من قنبلة هيروشيما وافتك الف مرة من قنبلة ناجازاكي ووقعت الدول الدائنة فى حيص بيص هددت فى البداية واستعرضت عضلاتها فى البر والبحر وفى الجو ايضا وعقدت الدول الغنية الكبرى فى كندا اجتماعا خاصا وهددت فيها بالويل والثبور وعظائم الامور ، وصرح واحد من اقطابهم نظام النقد العالمى فى خطر وان النظام المصرفى الحالى على وشك الانهيار ، وان العالم كله ذاهب الى كارثة .. وردت الارجنتين ومال له .. وماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟

وكانت تصريحات عبيطة فى الواقع ، كانت اشبه بصرخة رجل مقتدر اكلو يلتهم خروفا فى كل وجبة .. ويحلى بتكمية عنب ويحبس بجردل شاي ثم يضجع ليدخن صندوق سيجار هافانا من صنف المونتكريستو ، وقف يخاطب قطيعا من المسؤولين والجياع ويهددهم بان اللحوم ستختفى والفواكه ستصبح شحيحة فى الاسواق ، وسيجار "المونت كريستو" لن يسمح باستيراده من خارج الحدود .

وتمخض الجبل فولد فارا ، واعلنت الدول الدائنة عن فترة سماح للدول المديونة لكى تدبر امورها ، وتطور شئونها ، ويتكشف من اجل دفع ديونها ، وهى على كل حال تستطيع ان تستدين وكله على التوتة والحساب يجمع !!

وعادت ربما لعادتها القديمة الفقراء يستدينون والاشغيا يدفعون ، وخيم صمت مريب على الجميع ، انتقلت المسألة من عصر الجدولة ، ومن عصر السماح الى عصر السكوت عن الكلام المباح ، فلا حس ولا خير ، ولكن الطريقة البرازيلية وجدت لها مريدين و دراويش وانصارا ، الارجنتين صارت على الطريق ، والمكسيك اصبحت عضوا فى حلقة الذكر ، وانتظمت دول امريكا اللاتينية كلها فى باقة واحدة ، وغطرت وصهيت عن دفع الديون ، ومئين اجيب ناس لمعانة الكلام يثلوه !

آسيا هي الاخرى ضربت بومبه وهددت دولها باعلان افلاسها علنا وعلى مشهد من الجميع اما افريقيا الغلبانة المكسورة فلم تستطع حتى ان ترفع صوتها بالاحتجاج ، فالمجاعة تخيم على القارة السمراء ، والايذر ياكل احشائها والديون تضغط على رقبتها وهى ديون لاتحتملها افريقيا ، ولا تستطيع سداها ولافى الف عام .

فى المقابل بدأت ردود الفعل فى الجانب الدائن .. استبد القلق بالدول الغنية ، وسيطر الخوف على البنوك العالمية ، وانبعثت اول اشارة من بنك "ميدلاند"

البريطاني . اعلن ان ديونه لدى دول العالم الثالث بلغت ألفى مليون جنيه استرليني وقال ان الامل ضعيف فى استرداد هذه الملايين بسبب الاحوال الاقتصادية المتدنية وعجز الحكومات المدينة وقام بخطوة عملية فباع كل فروع البنك فى اسكتلندا وازضاف انه فى سبيل اتخاذ خطوات اخرى مماثلة .

البنوك الاخرى اتخذت تدابير اخرى وان كانت لم تعلن عن ذلك ولكن العليمون ببواطن القلوس يؤكدون ان سوق المال يقف الآن على ابواب أزمة لا يعلم مداها الا الله .. ولقد بدأت المشاكل تهل على سوق المال خلال هذا العام ، البورصة تنهار فى يوم وليلة ، السندات تفقد تسعة اعشار قيمتها فى لحظة ، الاسهم ذهبت مع الريح وتطايرت فى الفضاء والدولار راح يهوى ثم يهوى ، ماعدا فى مصر المحروسة فقد راح يعلو ثم يعلو بدون منطق وبلا اسباب .

والموقف الآن فى سوق المال العالمى مضحك للغاية . الناس اللى تحت - المديونيون - ينامون براحتهم ويأكلون ارزا مع الملائكة ويحلمون احلاما وردية . والناس اللى فوق الدائنون يمشون على الشوك وينامون على المسامير ، ويلطمون الخدود ويشقون الجيوب ، كما كانت تفعل ستى بهانة فى ايام الجاهلية .

ويقول الخبراء - وانا لست منهم - ان العالم الغنى على ابواب كارثة حقيقية ، وانه ليس امامه الا طريقان ، طريق السلامة وطريق الندامة ، ومفتاح الحل فى يده وعليه ان يختار فاما يركب رأسه ويطالب بديونه ويقاضى الدول المديونة أو يحارب من اجلها . والنتيجة فى هذه الحالة هى انهيار سوق النقد العالمى وانهيار النظام الرأسمالى كله .. أو بمعنى آخر انهيار الدول الغنية وحدها ، وخراب الدول الغنية ليس الا .. لان الدول الفقيرة تفقر والدول الخريانه لن يطولها الخراب .. وإيش يأخذ الريح من البلاط ؟

الحل الثانى هو ان تتنازل الدول الكبرى عن ديونها وتستطيع ان تكذب وتدعى انها تقدم الديون مجرد هدية متواضعة الى الدول التعبانة والدول الغلابة وتبدأ من جديد فى فتح النوتة وتسجيل القروض .. والحساب يجمع ! ويقف العالم الآن فى مفترق الطريق فاما الى سكة الندامة بالنسبة الى الدول الغنية وإما الى سكة السلامة بالنسبة للجميع ولا احد يعرف على وجه التحديد ، فى أى اتجاه ستمضى الدول الغنية .

ولكن يبدو للعبد لله ان هذه الدول لانها غنية فهى ايضا مفترية ولذلك فكل الدلائل تشير الى انها ستركب الطريق الصعب وتحفر قبرها بيدها فدول السوق الأوروبية مثلا تخلصت من ملايين الاطنان من القمح والزبد بالقائها فى البحر حتى تحافظ على استقرار الاسعار تصوروا مئات الملايين من القمح والزبد تذهب الى البحر ومئات الالوف من ابناء افريقيا يذهبون ضحية المجاعة الى القبر والاكاد ان

أجهزة الإعلام فى أوروبا تقيم كل ليلة سرادقا للعزاء فى ماتم افريقيا وتدعو المواطنين !! الى التبرع لانقاذ ضحايا افريقيا .

هل رأيتم مثل هذا من قبل ؟ يتبرعون بالقروض لضحايا افريقيا ويلقون الى البحر بملايين الاطنان من القمح والزبد .. وملعون ابو افريقيا وعلى رأى الشاعر .. ليثها لم تزن ولم تتصدق .

ومهما يكن الامر وسواء اختارت الدول الغنية سكة السلامة أو سكة الندامة فلا خوف على من استلف ولا جناح على من بات مديونا فما الذى سيخسرهُ الذين خسروا كل شيء ؟ سيخسر فقط الذين احتكروا خيرات العالم والذين نهبوا كنوز الآخرين والذين امتصوا عرق جميع الاجناس من أجل ان يصبح جنسهم هو سيد العالم ، الآن أن للسيد ان يتنازل عن ديونه او يتنازل عن وجوده .. وأن للمديون أن ينام ويتمتع ويتثاءب وأن ينهض وينطلق خفيفا لطيفا آخر رواقه وآخر انسجام .

وهذا المقال ليس بقلم العبد لله ، ولكنه بأسلوب العبد لله فأنا فى علم الاقتصاد كخالتي نفيسة فى علم الفضاء . والمعلومات التى وردت هنا هى ترجمة امينة لمناقشات دارت بين العبد لله وبعض العالمين ببواطن الفلوس فى لندن . خلاصة القول ان المعلومات من عند الخبراء .. والاسلوب من عندى وكله على النوتة .. والحساب يجمع !



إن شاء الله
مهندس !



لا اعرف ما الذى جرى اخيرا للمصريين لم نعد نحتمل الحر ، وبيوتنا صارت ماوى لاجهزة التكييف واجهزة التبريد . والعبد لله شخصا أصبح يصيبه الدوار فى الحر ، ووقتي كله اقضيه الى جانب جهاز التكييف ، واحيانا اتمنى لو اننى كسرت الجهاز ودخلت فيه . ولا اعتقد ان الجو اختلف الان عن زمان ، ولكننا ايام زمان كنا نحتمل الحر ، ونعانى الفقر ، دون شكوى او احتجاج .

فى حقبة الاربعينات كنت لا اتصور وجود ملابس صيفية وأخرى للشتاء .. كانت البدلة واحدة لكل الفصول . وكان الحذاء الذى يصنعه الاسطى امين الجب لاينخلع من قدمى على مدار العام .. وكان المصيف المختار للعبد لله فى قريتى على شاطئ النيل فى الدلتا . وكانت ترعة سبك هى حمام السباحة المفضل للبليطة والفوص فى الأعماق . ولم اذهب الى الاسكندرية فى صباى المبكر الا مرة واحدة وفى ظروف رهيبة ، ووقفت عند الشاطئ اُحدق فى الافق البعيد على أمل أن أشاهد أوروبا . وعدت من هناك بقصص كثيرة عن اليونان التى رايتها من شاطئ الإسكندرية ، والعجيب انهم جميعا صدقونى ، لأن احدا منهم لم يكن قد رأى الإسكندرية بعد ! وفى تلك الايام البعيدة كان استاذنا زكريا الحجاوى يملك بدلة واحدة ، وكان نوع قماشها كفيل بجلب السخونة لطابور عسكرى يقاتل فى صحراء سيبيريا ! وكانت هذه البدلة هى عدة زكريا الحجاوى لمواجهة الحر فى شهر الصيف . وكان يحلم دائما بظل شجرة فى الريف وقلة قناوى ليرتشف منها الماء البارد على مهله ويصوت مسموع ، وبطريقة تسمح لقطرات الماء بالتسلل الى وجهه ورقبته . وكان يبدو أسعد من الملك فاروق وهو يجلس فى أمسيات الصيف على رصيف قهوة عبدالله وقد ارتدى الطقم كاملا - البدلة والكرافطة والطربوش - بينما نسمة هواء صاعدة متسكعة تضرب رصيف القهوة بين الحين والحين !

ولم أشاهد زكريا الحجاوى فى غير القاهرة فى أى صيف خلال تلك الايام . وكان صديقى وصديقنا الشيخ عبدالحميد قطامش المحامى الشرعى يرتدى جبة من الصوف الثقيل ، وقفطانا من التيل المصرى ، ويضع على رأسه عمامة من النوع الملفوف بعناية على طريقة أبناء طائفة السيخ !

وكان الشيخ قطامش زعيما لحركة المشائين ، وكان يعتقد أن وسائل المواصلات هي رجس من عمل الشيطان ، ووسيلة لعفرفة الحياة لاتتلىق بالبنى آدمين ! وكان يحضر الى القهوة ساعة المغربية عرقه مرقه كما يقولون ، ثم يطلب لنفسه واحد شائ ساخن جدا ، وكانت هذه هي طريقته فى التكيف مع الحر ، والحصول على درجة عالية من التبريد ! وكان صديقى المرحوم أحمد العبادى المنجد (أبو حسن) يرتدى فى شهر أغسطس الجلباب البلدى الصوف وبالطو كشمير من أيام العز القديم ، وسروال صوف يصل حتى الكعبين ، وفانلة صوف باكمام طويلة ، ويضع على رأسه (طربوش) ماركة نسر ، ولكنه كان حريصا على وضع منديل محلولى تحت الطربوش ! وكانت كلمته الأدبية (اللى يمنع البرد يمنع الحر يا أستاذ) ! ويبدو انها حقيقة علمية ، وهذه الملابس الثقيلة توفر للجسم درجة حرارة لطيفة تجعله يحس بأنه على شاطئه ! كان صديقى الحاج ابراهيم نافع فلاح الجيزة يذهب نيابة عن عائلته لتشجيع جنازات المعارف والاصدقاء ، ويسير على قدميه خلف الجنازة حتى مقابر الامام الشافعى ، بينما هو يرتدى فى شهر يوليو جلبابه الصوف وعليه عباءة صوف ، وبالرغم من ذلك لم يكن يشعر بأى ضيق ، ولم يكن يدرك أنه فى نفس اللحظة يوجد ناس آخرون ينامون عرايا زلط ملط على شواطئ البحار ! وزمان أيضا كنت اسعى مع الرسام الفنان طوغان لنشر انتاجنا على صفحات الصحف ، وكنا نخرج من الجيزة فى الصباح فلا نعود اليها الا بعد منتصف الليل ، وأحيانا كثيرة كنا نعود مشيا على الأقدام ، أحيانا قليلة لعدم وجود مواصلات ، وأحيانا كثيرة لعدم وجود فلوس .. وكنا فى اوقات كثيرة نقطع الوقت من العتبة الخضراء للجيزة فى استعراض مشاكلنا ، ولم يكن من بينها أبدا الضيق من حرارة الجو ، أو الشكوى من قسوة المناخ !

ما الذى حدث للمصريين أذن ؟ وما الذى جرى لهم هذه الأيام ؟ والله يرجم زمان أيام زمان ، عندما كان الصعيدى البطل يتولى وضع أساس العمارات الضخمة قبل اختراع الآلات الحديثة . وكان يلف جسده بشوال ، ويلف قدميه بعدة خرق ، ويمسك فى يده (بازمة) يدق بها الأرض ، ويستغرق العمل فى هذه العملية عدة أسابيع ، وربما عدة شهور ! وكان الصعيدى البطل هو الذى يرفع عشرات الاطنان من الزلط والطوب والاسمنت ويصعد بها على السقالة الى الدور العاشر ، فى حركة دائبة مستمرة من الصباح الباكر وحتى مغيب الشمس . أين هذه النماذج الآن ؟ واين ضاعت الهمة والمروءة والقدرة على الاحتمال ..؟

والله يرجم زمان وأيام زمان ، كنت اكتب أحيانا خمس مقالات فى أسبوع واحد ، واكتب سلسلة كاملة لإذاعة صوت العرب فى خمسة أيام ! ومع ذلك لم اتخلف ليلة واحدة عن السهر مع شلة الأصدقاء فى كازينو الكوبرى ، ولم اتخلف مرة واحدة عن الحضور الى الجريدة فى الميعاد ! وعندما توليت رئاسة تحرير مجلة أسبوعية فى الخليج طلبت من محرر شاب أن يكتب لى موضوعا معيناً على



وجه السرعة ، فوعدنى بأن يبذل كل جهده وحدد موعدا لكتابة الموضوع بعد اسبوع ...!

هل يأتري ، ماهو السبب فيما جرى للمصريين فى هذا الزمان ؟ هل هو ارتفاع مستوى المعيشة ؟ لاشك أن مستوى المعيشة ارتفع بشكل ملحوظ هذه الأيام . وبعض المصريين الذين كان ركوب الترام بالنسبة لهم ترفا شديدا ، اصبحوا يملكون سيارات خاصة الآن ! وبعض الناس الذين كانوا يعرفون شكل اللحم من النظر اليها فى معرض الجزار ، صاروا يأكلون اللحم الآن بانتظام . ومصريون كثيرون كان السفر الى بنها بالنسبة لهم مغامرة تستحق الدراسة ، سافروا الى بلاد شتى فى العالم العربى وفى أوروبا ، وبعضهم سافر الى امريكا نفسها ، ورايت بعضهم فى العام الماضى فى مؤتمر (المستثمرين) ! ولكن من قال ان ارتفاع مستوى المعيشة يفقد الإنسان الهمة والمروءة والقدرة على الاحتمال ؟ الالمانى ارتفع مستواه بعد الحرب مباشرة من الحضيض الى الفضاء ومع ذلك يشغل كالنملة ، وينتج كالنحلة ، وبضاعته حاضرة وضاربة السوق فى كل مكان ! واليابانى ارتفع مستواه من تحت الحضيض الى كوكب الزهرة ، ومع ذلك يعرق اليابانى بشدة ، ويكدح بذمة ، وبضاعته هى الاولى وتزاحم فى داخل امريكا نفسها بضاعة الأمريكان ! ونفس الشيء ينطبق على الصينى وعلى الكورى وعلى شعب تايلاند الذى كان أغلب من الغلب ، وأفقر من الفقر ، واشقى من الشقاء . والعبد لله زار تايلاند فى عام ١٩٦٧ ، وكانت الشوارع بطيئة والسياح كثيرون ، ولكن المتسولين كانوا اكثر من السياح .. وزرتها فى العام الماضى ، فإذا بها دولة اخرى مختلفة ، السياح تضاعفوا والمتسولون اختفوا ، الشوارع صارت كشوارع لندن والعمارات كعمارات باريس ، والفنادق كفنادق اسبانيا ، والانتاج على وده وفى كل مجال ، لدرجة ان تايلاند صارت تصدر الارز والسمك لليابان وللصين ، واصبحت الدولة رقم ٧ فى تصدير الغذاء على مستوى العالم كله ...!

أنا أرجو مخلصا انشاء مجلس قومى بعيدا عن المجالس القومية المتخصصة ، لدراسة هذه الظاهرة الغريبة . وليكن هدف المجلس اياه معرفة الاسباب التى أدت للمصريين الى هذه الحالة الغريبة نريد بضائع حاضرة وجاهزة ولكننا نرفض الاشتراك فى أى انتاج نستسهل الاستيراد ونحجم عن أى انتاج بأيدينا .. نريد سيارات ركوب وتلفزيونات ملونة وثلاجات عشرة أبواب ، وبعضنا يعمل فى اليوم ساعة واحدة ، وبعضنا لا يعمل على الاطلاق ! نريد عقد عمل فى الخارج ، بشرط أن يكون المرتب مجزيا ، والسكن مريحا ، والسيارة مع البنزين ، ثم لا يهم بعد ذلك ان نجيد هذا العمل او لا نجيده ! واحد بلديأتى زارنى منذ اسبوعين ، ومعه شحط - اللهم صلى على سيدنا النبى - وتوسل الى العبد لله أن يجد لهذا الشحط ابنه عملا فى الكويت (عند أحمد الجار الله أو عند غيره هو انت يعنى هتقلب) ؟

وعندما سألت بلدياتى عن نوع العمل الذى يمكن للمحروس أن يؤديه ، أجابنى بثقة شديدة (أى حاجة ، انشالله مهندس أو دكتور) واكتشفت من خلال المناقشة انه يفك الخط بصعوبة ، وأنه يقرأ الجريدة اليومية بالقدره ، وأنه لم يمارس أى عمل فى حياته على الاطلاق . وعندما سألت الوالد : ولا الزراعة ؟ قال : هى العيال بتوع الايام دى لهم تقل ع الزراعة ؟ ماشاء الله . انشالله مهندس أو دكتور . وماله ياخويا على رأى الدكتور شديد بتاع زمان . وليس هناك أى سبب للبحث عن عمل للمحروس اياه الا انه يريد الزواج ، ويطمح فى الحصول على شقة ، وشراء سيارة ، وماله ؟ ماه كل اللى راحوا الكويت انعدل حالهم ويقوا تمام !!

وأخشى ما أخشاه أن يبرز لى واحد من إياهم ، فيخطب خطبة عصماء فى وجه العبد لله ، وقد يرجع أسباب خيبتنا الى ابتعاد الناس عن طريق الدين ، وقد يعيد على مسامعى الحديث اياه بتاع (وأن يزنى الرجل بأمه فى حجر الكعبة أهون عند الله من فوائد البنوك) وأنصح الأخ إياه بأن يوفر على نفسه عناء مثل هذه الخطبة ، لأننى موافق على أن البعد عن طريق الدين سيء للغاية ، ولكنه ليس السبب فى وكستنا العريضة وخيبتنا التى ليس لها مثيل . وايضا لان اليابان والصين وكوريا وتايلاند ليس لها أى دين ، فالصين شيوعية كما نعلم ، والدول الاخرى تدين بالبوذية ، والبوذية ليست من الأديان وبوذا نفسه لم يكن نبيا ، ولكنه كان رجلا طيبا وابن حلال وعلى باب الكريم . هناك سبب آخر فى رأى العبد لله وقد لا يكون هو السبب الوحيد . هذا السبب افرزته مرحلة الانفتاح التلهيلى ، حيث صار من المؤلف ظهور عشرات من (رجال الأعمال وسيدات الأعمال) كانوا فى الأصل مجرد أرقام فى دنيا الناس ، وارتفعوا بطرق ليس ما بينها العمل أو الانتاج أو العبقرية فى أى فرع من فروع الحياة .. والأمثلة كثيرة من أول عصمت السادات الى توفيق عبدالحى الى رشاد عثمان الى الست الفولاذية الى الحاج محمد لطفى الى نصاب الإسكندرية . وأعرف أشخاصا كانت كل مهنتهم بيع الكوارع ولحمة الرأس ، فإذا بهم فجأة يملكون الملايين ، وبعضهم ينفق عشرات الألوف كل ليلة فى شم الكوكايين . وأعرف واحدا من إياهم يتاجر فى الملابس المهربة ، ويستاجر شاليه فى فندق كبير على حمام السباحة ويدعو كل ليلة عشرات من أبناء المجتمع المنحل ، وينفق فى الليلة مبالغ تتراوح بين عشرين ألفا وثلاثين ألف جنيه . وأعرف وأعرف حكايات مثل حكاوى ألف ليلة وليلة ، عن مليونيرات ومليارديرات لم ينتج أحد منهم سلعة ، ولم ينشئ أحد منهم مصنعا ، ولم يشيد أحد منهم جسرا ، ومع ذلك يعيشون عيشة الملوك وملك الملوك اذا وهب ، لا تسألن عن السبب ، فالله يعطى ما يشاء ، فقف على حد الأدب !! وهى كلمة يؤمن بها مليونيرات هذا الزمن الغريب العجيب . واذا كانت هذه هى النماذج وهؤلاء هم القدوة فكيف ندعو الناس الى العمل ؟ ولماذا العمل ؟ والثراء وقف على مثل هؤلاء

الناس ! وإذا كان هذا هو السبب في رأى العبد لله ، فأنا لا أدعى انه هو السبب الوحيد ، هناك اسباب كثيرة ، سياسية واقتصادية واجتماعية ايضا ، على المجلس القومى الذى اقترحه ان يبحث عن اصول المشكلة وعن جذورها ايضا . فالتاس لم يعد لديها جهد على العمل ، وأغلبنا لم يعد يحتمل حر الصيف ، ونحن لا نصنع الا القليل ونريد الحصول على كل شيء . نريد العيش في مستوى الياباني ونتاجنا في مستوى بوركينا فاسو . نطمع في بحبوحة الالمانى وايدينا في العمل أقصر من أيادي مواطنى تشاد . نحلم بحياة فرنسية وسوق العمل عندنا وخمان كسوق العمل في بنها . معادلة صعبة للغاية ولا بد إن نجد لها حلا . وإلا .. فانتا اذا اهلناها أو تركناها ، فالحل سيأتى وحده . ولكنه سيكون حلا عسيرا على رأى بيرم التونسي . في الربط نربط بسهولة والحل عسير !! عسير .. عسير .. ياولدى !



وأخير الزمان
سيعود



كل عصر وله موضة ، وموضة هذا العصر هي كتابة المذكرات ، وحكمة الله أن كل المذكرات عاصرت ٢٢ يوليو ! ومن الصدف العجيبة ، أن كل الذين كتبوا المذكرات ، هم الذين أشعلوا شرارتها وصلبوا عودها ، وسندوها حتى وقفت على الأقدام ! كلهم كانوا ذلك الرجل ، ومهما كانت مواقعهم ، سواء في مجلس قيادة الثورة ، أو كانوا من سكان البيت الذي يقع مباشرة في مواجهة مجلس قيادة الثورة ، أو كانوا من رواد القهوة التي على يسار مجلس قيادة الثورة ! وكل منهم حريص على شرح كفاحه وجهاده ، ودائما في سبيل مصر ، وفي خدمة شعبها ! وبعضهم تأخذ الجلالة فيحكي كيف وقف في وجه محمد نجيب ؟ وكيف صفع عبدالناصر على وجهه ؟ وكيف وضع المسدس في ظهر أنور السادات ؟ وكيف خطف الملك فاروق من قصره ؟ وكيف كان هو الوحيد الذي يختلئ به عبدالناصر ويثرثر له بأخطر الأسرار !

فلا أحد غيره يعرف أن طائرة الرئيس كنيدي هبطت ذات مساء في مطار الجيزة ، وكيف اجتمع كنيدي مع عبدالناصر على قهوة المعلم كتكوت خلف مستشفى أم المصريين ، وحتى لايلفت اجتماعهما نظر المراسلين الأجانب ! ولم يكن عبدالناصر وكنيدي وحدهما ، ولكن كان معهما السيد كعبورة كاتب المذكرات !

ويتبجح السيد كعبورة أكثر ، فيحكي كيف بدا الغم على وجه كنيدي عندما انهزم في الطاولة ، وحقق في عبدالناصر طويلا ، وقال بلهجة لاتخفى على اللبيب : انت كسبت في الطاولة ياسيادة الرئيس ، ولكن أنا سأكسب الحرب ! ولم يطلع عبدالناصر الاهانة ، ولكنه قفز كالنمر ، وضرب المائدة بقبضة يده ، فدلق الشاي على بدلة كنيدي الصوف المقلمة .. وقال لكنيدي في ثبات : اذن هيا الى الحرب . وعلى الفور نشبت حرب اليمن التي قادها السيد كعبورة ، بينما كان عبدالحكيم عامر يتلقى أخبارها وهو قابع في منزله بالجيزة ، في الوقت الذي كان فيه عبدالناصر يختبئ خلف مكتبه في منشية البكرى . وعندما وقع الجنرال دولار في قبضة السيد كعبورة بعد معركة حامية على جبال اليمن ، قام بتكليفه ونقله على

طائرته الخاصة ، ونزل به فى مطار حلوان ولم يكن فى انتظاره بالمطار الا جمال عبدالناصر ، وكم فوجىء السيد كعبورة بأن عبدالناصر يرتعش من عواقب هذا العمل ، وكيف توسل للسيد كعبورة أن يطلق سراح الجنرال دولار ، وكفى الله المتحاربين شر البنك الدولى ، ولكن السيد كعبورة لم يصغ لعبدالناصر ، ولم يلب أمام كل الشفاعات والتوسلات ، وأطلق النار على الجنرال دولار ، وقطع رأسه ، وأرسلها فى خطاب الى كنيدي المغمور فى بيته الابيض ! حكايات كثيرة من هذا النوع ، رواها السادة أصحاب المذكرات ، وفى أسلوب أشبه بأسلوب الحكايات الرخيصة التى ابتدعها بعض الناشرين السكة خلال فترة الحرب العالمية الأخيرة ، عن المرأة التى أكلت دراع جوزها ، واللحمة التى تكلمت فى الحلة ! وكانت تجد رواجاً شديداً فى ذلك الزمان . ولقد أعجبني مقالا كتبه الأستاذ حمد السعيدان ونشره فى جريدة السياسة الكويتية ، وأراد أن يسخر به من جميع الأبطال الذين كتبوا المذكرات عن دورهم فى ثورة ٢٢ يوليو فكتب هو الآخر عند دوره فى الثورة المصرية ، مع أنه وقت قيام الثورة كان يقيم فى الكويت ، وكان فى العاشرة من عمره ، ولكن ماذا يهم ؟ مادام باب الاجتهاد مفتوحا ، وباب النشر مضمونا أيضا . كتب حمد السعيدان (فى يوم الثورة أمرت عبدالناصر المذعور بالبقاء فى المكتب ، وأمرت محمد نجيب المنهار بالذهاب الى القشلاق ، وأرسلت أنور السادات الخنوع لشراء خضار ولحمة من المذبح ، أما الطماطم فقد كلفت بها عبداللطيف البغدادى . وبعد أن تغديت ونمت فى البيت ، ركبت الدبابة واقتحمت بها مبنى القيادة ، وألقيت القبض على الملك فاروق وضيغه الملك زوغو ، ثم أرسلت جميع الحاشية الى مستشفى قصر العيني ، ثم قمت بتأمين القاهرة ، ثم أعلنت الجمهورية ، ثم أقمت الوحدة ، ثم أمت قناة السويس ، وقمت باختطاف مستر ايدن من منزله فى (قلب لندن) وما كتبه الأستاذ حمد السعيدان من باب التريفة لايفترق كثيرا عما يكتبه بعض الأبطال من شهود ثورة ٢٢ يوليو ، و٢٤ مارس ، و٢٥ يونية ، و٢٧ أغسطس فالعالم العربى الحمد لله غامر بالثورات والمذكرات أحد هؤلاء الأبطال كتب فى مذكراته أنه قام بتقييد جمال عبدالناصر وصفعه بالقلم ، ولم يطلق سراحه الا بعد أن استعطفه عبدالناصر وكتب له استرحاما ليعفوا عن سوائه ويغفر له خطاياه ! وهو قول لا يصدر الا من كاتب مذكرات طيب ، ويعتقد فى الوقت نفسه أن القراء من صنف الحمير الحصى .. آخر لياقة واحتمال ! لأن عبدالناصر كما أجمع أعداءه قبل أصدقائه كان حاكما له هبة وصاحب حضور ، وكان مجرد ظهوره فى أى مجال وفى أى مكان كفىل باسكات كل اللسنة ، وربما ارتعاش كل الجلود ، وربما انحناء كل الظهور ! والادهى أيها السادة القراء أن فى الطريق الينا مذكرات السيد حسن التهامى ، وهو قطب من أقطاب ثورة ٢٢ يوليو بدون شك ، فقد كان عضوا فى الخلية الأولى التى أسسها جمال عبدالناصر فى تنظيم الضباط الاحرار ، وكان أميناً لرئاسة الجمهورية فى آخر أيام عبدالناصر

التي عاشها معنا فى الحياة . وهى مذكرات ينتظرها الجميع على نار ، لأن السيد حسن التهامى سبق ان أفصح عن رايه فى جمال عبدالناصر وكيف انه كان جاسوسا لاسرائيل وعميلا من عملاء المخابرات الامريكية . وقد ترددت كثيرا فى التعرض من بعيد أو قريب للسيد حسن التهامى ، خصوصا بعد تهديده الذى تضمنه رده على الأستاذ أحمد بهاء الدين وهدد فيه جميع الكتاب وجميع الصحفيين الذين يتعرضون له بالمطارق والمناجل والكرابيج السودانى المنقوعة فى الخل والزيت ! ولكنى عدلت عن ترددى ، عندما أكد فى رده .. على أن مطارقه أدبية ومناجلة كلامية وكراييج لغوية ومن فصيلة سييوية . ولأن العبد لله يتمتع بجلد سميك ، ومن النوع الذى يتحمل ألف جلدة كلامية ، وألف مطرقة لغوية ، ولكنه لايتحمل أى لسعة من خرزانة لهلوبة ، أو أى طرقة من كراباج سودانى أصيل ! وعجبنى على العسكرى المجند الذى كان يحرس باب القيادة ليلة قيام الثورة ، والذى رأى كل شيء ووقف على كل شيء ، لماذا لم يكتب مذكراته حتى هذه اللحظة ؟ وأين مذكرات عامل التليفون الذى كان ساهرا فى مجلس قيادة الثورة فى تلك الليلة ؟ والذى قام بالدور الأكبر فى الاتصال بالقادة واستدعاء رجال القيادة ، لماذا لم يكتب مذكراته هو الآخر حتى الآن ؟ وهو أمرليس غريبا على كل حال ، فقد سبق أن كتبت بديعة مصابنى مذكراتها عن الحرب العالمية الأخيرة ، شأنها شأن روميل ومونتجمرى وفون ورنشتيد وجنرال ديغول ! ولكن بديعة مصابنى كانت أمينة فى مذكراتها ، فلم تكتب الا تجربتها الخاصة مع عساكر الحلفاء فى غرف النوم وفى البارات ! أما عسكرى المرور ومندى السيارات وباعة البطاطا والطعمية الذين كانوا ينتشرون حول القيادة العامة ليلة قيام الثورة ، فسيكتوبون مذكراتهم عن ثورة ٢٢ يوليو ، وعن دورهم التاريخى فى اشعالها ! وعن الحوار الذى دار بينهم وبين الملك فاروق قبل ان يوقع باسمه على وثيقة تنازله عن العرش ! ولقد كان للعبد لله تجربة شخصية . فقد اشتركت ذات يوم فى مشروع كبير ، واشترك معى أساتذة لهم شأن ، ورجال أفاضل لهم تأثير ، ولكن الذى كتب مذكراته عن (دوره) فى هذا العمل ، كان - لسوء الحظ - يتولى أخطر الأعمال فى المشروع اياه فقد كان يتولى اعداد القهوة والشاى بالنهار ، وكنس الغرف وترتيب المكاتب وتنظيف دورات المياه بالليل ! ولو انه كتب معاناته وشقاؤه وعرقه أثناء قيامه بهذا العمل الشريف ، لانجز عملا كبيرا ، ولكنه - ويا للغرابة - كتب عن دوره فى قيادة المشروع ، وتحدث عن نفسه كزعيم صاحب رسالة ، وكسياسى صاحب رأى ، وكفيلسوف صاحب فكر ! ونشر المناضل الفراش عشرات الصفحات ، ولم يتوقف قط ! وهى حالة مشروعة على أية حال ، وهى تتناب بعض الذين قاموا بأدوار هامشية فى أعمال كبيرة ، ويتصورون انهم يصبحون كبارا اذا قلدوا الكبار ! ويصبح لهم وزن اذا ماتعرضوا لأصحاب الأوزان ! ولايدرى هؤلاء بأنهم بأعمالهم هذه يؤدون خدمة جليلة للكبار . لأن التقليد - كما يقول أوسكار وايلد - هو تحية

العوام للعبقرية ، الشيء الوحيد الذى شعرت به بعد قراءة مذكرات الأبطال ايهم ، والزعماء ايهم ، هؤلاء الذين كتبوا عن ثورة ٢٢ يوليو وماقبلها ومابعدها ومليينها هو اننى وددت لو اُقذف من الشباك كل كتب الجبرتي وتاريخ ابن اياس وخطط المقرئى وأعيان مصر ووفيات الاعيان لعننا ابن خل كان . فما الذى يمنع ان يكون كل هؤلاء قد كتبوا مذكراتهم على نفس الوتيرة وينفس القياس ؟ وما الذى يضمن للعبد لله ان الحاكم بأمر الله كان مجنوناً أو معتوها ؟ وما أدراك ان الملك المظفر ببيبرس كان خائناً قتل صديقه السلطان قطز ، ورشق سيفه فى ظهره أثناء رحلة صيد فى الصحراء ؟ وما الذى يثبت ان خابر بك خان معلمه واستاذة قنصوه الغورى فى معركة الحاسمة مع سلطان بنى عثمان ؟ ومن يضمن ان أحمد باشا الجزائر والى عكا هو الذى انتصر على نابليون ؟ ومن يستطيع ان يحكم ان محمد بك ابو الذهب هو الذى دس السم فى جراح استاذة على بك الكبير ؟ ولماذا لا يكون أحد الخدم أو الحراس ؟ ومن الذى يقدر على التأكيد بان القرامطة هم الذين اعتدوا والذين خربوا فى البلاد ؟ ولماذا لا يكونوا هم الذين تعرضوا للهجوم والعدوان ؟ من الذى يستطيع ان يحسم او يحدد حقيقة الامور فى حوادث جرت وقائعها منذ نحو ألف عام ؟ اذا كنا لانستطيع ان نعرف ما الذى جرى على وجه التحديد فى أحداث وقعت فى زماننا ؟ وشاهدناها بأعيننا ، واشتركنا فى بعض فصولها بالفرجة والمشاهدة والاتصال ! ما الذى حدث فى ثورة ٢٢ بالضبط من قائد الثورة على وجه التحديد ؟ وهل هو جمال عبدالناصر ؟ أم محمد نجيب ؟ أم انور السادات ؟ أم السيد حسن التهامى ؟ أم حسن ابراهيم ؟ ومن يدري من كثرة الخلط والمزج الذى حفلت به مذكرات هؤلاء الأبطال . ربما كان كل هؤلاء مجرد اقنعه ، وربما كان القائد الحقيقى هو حضرة الصول أبو سريع ، الذى عهدوا اليه فى ليلة ثورة ٢٢ يوليو بتشجيع جنازير الدبابات ونفخ عجلات السيارات . ربما كان هذا هو البطل الحقيقى لثورة ٢٢ يوليو ، وربما حياء منه وتواضعا أيضا أثر الصمت والانتزاع ، وربما رأى ان المذكرات قد هانت ، وان أصحابها قد تبجحوا كثيرا ، وانهم ذهبوا الى أبعد مدى ، فلم يعد هناك مزيد ! ربما ، وربما ، فأى شيء جائز ، وكل شيء أيضا ، لكن الاكيد والمفيد أن الأجيال التى ستأتى من بعدنا ، ستدوخ دوخة الأرملة الغلبانة ، اذا أرادوا دراسة ثورة ٢٢ يوليو وتحديد هويتها على وجه اليقين ! وقد تنشأ مدارس متناقضة ، وفرق متعارضة ، وتنظيمات متحاربة ، وقد يرفع البعض مذكرات عبدالناصر ويستشهد بها على انها التاريخ الوحيد والاكيد ، وقد يرفع بعضها مذكرات حضرة الصول عبدالرشيد على انها الوثيقة الوحيدة والفريدة وما عداها باطل وقبض الريح ، وقد تقوم الحرب الأهلية بين الفرق المتحاربة حول من الذى اشعل الشرارة الأولى فى الثورة ؟ وهل هو عبدالرشيد ؟ أم عبد المجيد ؟ أم عبد الحميد ؟ وقد يقيم المتحاربون حواجز على امتداد الشوارع العربية ، وقد يصير القتل على الهوية ، وقد نسمع قريبا عن منظمة سالم وعلمر

وبغدادى والشافعى وعلى صبرى والسادات وصبرى الخولى وحمروش ومحمد نجيب والصول هريدى عبدالعال أبوحديد ! وقد ترفع كل فئة من هذه الفئات صورة زعيمها ، فلا زعيم غيره ، ولا قائد سواه . أما المازق الوحيد ، هو أن منظمة الصول هريدى عبدالعال أبوحديد لن تجد صورته ، لأن حضرة الصول لم يكن من هواة التصوير ! وقد تلجأ المنظمة عندئذ الى رسام ، فترسم أى شكل وفى أى صورة ، وقد تكون هذه الصورة من عوامل نصرها على الجميع ، باعتبار ان الصول هريدى هو القائد الغائب والناظر المختفى ! وأنه رفع الى دور ٤ فى ليمان طره ، ولكنه حتما وفى آخر الزمان سيعود !



حكاية على
سجلول !



العبد لله له فى ذمة وزير خارجية السودان الجديد على سحلول مبلغا وقدره عشرون جنيها سودانيا فقط لا غير . وأصل الحكاية اننى تعرفت على الوزير سحلول وهو ملحق بالخارجية ، والحق أقول انه كان شديد اللماحية عميق الذكاء واسع المعرفة بأحوال العالم وخصوصا المنطقة العربية . وتوطدت أواصر الصداقة بيننا خلال الايام الاولى لانتفاضة الشعب السودانى الكريم ضد الفريق عيود .

كنا تلك الايام فى شبابنا الذى ولى .. لا أقول قبل الاوان ولكنه ولى والسلام ، وتنبأت للسيد على سحلول بأنه - يوما ما - سيصبح وزيرا للخارجية . وبدت الدهشة على وجه الشاب على سحلول ، وقال وهو يضحك ضحكة صافية من الاعماق . طيب ما تقولش الكلام ده قدام الوزير محجوب خلىنا عايشين فى حالنا !

وكان الشاعر الكبير والدبلوماسى الشهير والسياسى الخبير السيد محمد أحمد محجوب هو وزير خارجية السودان فى تلك الايام وقلت للسيد على سحلول : طيب تراهنى ولم ينطق الاخ سحلول فاستطردت قائلا : عشرين جنيها لعشرين جنيها ومضت سنوات طويلة بعد ذلك التقيت فيها بالاخ على سحلول مرات قليلة ، وفى كل مرة كنت اكتشف انه قطع خطوات واسعة على الطريق الى المركز الذى راهنته عليه . ثم علمت من صديق مشترك هو الدكتور عبد الحميد عبد الرحمن أن على سحلول صار رئيسا لوفد بلاده الى الامم المتحدة . وقلت فى نفسى لم يبق الا زفة واحدة واحصل على قيمة الرهان الذى راهنته عليه . ولكن .. ليس كل ما تاتى به الرياح من الصنف الذى تشتهي السفن على رأى المثل فقد وقع حادث غريب ومريب راح ضحيته على سحلول . موقف لا يحدث مثله غالبا الا فى افلام سمير عبد العليم ومسلسلات عبد العليم سمير . وأصل الحكاية ان قضية افغانستان كانت مطروحة للتصويت على الجمعية العمومية . واحتشدت الدول الاسلامية والعربية للوقوف مع حق الشعب الافغانى ضد الحكومة التى استأثرت بالسلطة فى كابول تحت حماية الجيش السوفييتى ولكن مندوب حكومة السودان العربية لم

يحضر الجلسة ، ونشرت بعض وكالات الانباء انه لم يحضر متعمدا ، ولم يكن هذا صحيحا على الاطلاق اما السبب الحقيقي وراء غياب مندوب السودان ، فهو الفساد الادارى فى عهد النميرى ، وهو العهد الذى شغل نفسه بعناوين ليست لها اية مضامين على الاطلاق ، وتتنقل كالبطائر الضال من الاشتراكية الى الرأسمالية الى الشريعة فى نهاية المطاف ، كانت الحقيقة المرة التى منعت مندوب السودان من حضور الجلسة هو عدم تسديد اشتراك الأمم المتحدة ولأن حكومة السودان لم تسدد الاشتراك فقد سقط حقها فى التصويت !

لم يكن على سحلول مسئولا عن شيء مما حدث فقد ارسل الى الوزارة خطابات وتلكسات وبرقيات بطول المسافة بين نيويورك والخرطوم ، ثم لفت نظرها اكثر من مرة ، وحذرها من ان الموعد المحدد سينتهى بعد ايام . ولكن الوزارة لم ترد ولم تسدد . وربما لم يهتم احد بقراءة الخطابات والتلكسات والبرقيات الواردة من رئيس البعثة السودانية فى الأمم المتحدة . ولأن النميرى كان رئيس حكومة من النوع الذى لا يخطئ على الاطلاق ، واذا اخطأت فلا بد ان المسئول احدا من خارج الحكومة . لذلك اصدر النميرى قرارا بسحب رئيس البعثة من نيويورك ، وطلب من على سحلول ضرورة العودة بسرعة الى الخرطوم ، ولكن على سحلول رفض العودة ، وركب اول طائرة واتجه راسا الى الكويت .

فخاف النميرى الفضيحة اذا فتح على سحلول فمه وكشف عن الاسباب التى ادت الى عدم اشتراك السودان فى التصويت خصوصا وأن المبلغ الذى كان مطلوبيا « دفعه » يساوى ثمن الشاي والقهوة والسجائر التى تقدم لضيوف مكتب الوزير خلال ثلاثة ايام ومعنى ذلك ان عدم تسديد الاشتراك لم يكن نتيجة عجز ، ولكن نتيجة سوء الادارة وانهايار الادارة الحكومية فى عهد النميرى وكما لم يحدث فى تاريخ السودان من قبل . وكان الخوف من الفضيحة هو الذى دفع النميرى الى تعيين على سحلول سفيراً للسودان فى الكويت . ليس هذا هو السبب فقط بالطبع ، ولكنها كانت حيلة ذكية ايضا لادخال الطمأنينة فى نفس على ، ولكى يضع فى بطنه بطيخة صيفى تمكنهم من استدراجة الى الخرطوم . ويبدو ان على سحلول حصل له اطمئنان ، فقد حدث ان التقيت به فى الخرطوم وسهرت فى شقته مع عدد من الاصدقاء ، وقضينا الليلة كلها نستمتع الى تفاصيل القصة التى ادت الى ما جرى من تطورات ، ثم سمعت بعد ذلك ياسابيع انهم استدعوا السفير الى الخرطوم لأمر هام ، ثم سمعت انهم اعتقلوه فور نزوله ارض المطار . ولا اعرف على وجه التحديد ما الذى جرى لعلى سحلول بعد ذلك . فقد انقطعت اخباره فلم اسمع عنه شيئا اخيرا سمعت خبرا وشرح صدرى وطمأننى على مسيرة الثورة الجديدة فى السودان . لقد اختاروا على سحلول وزيرا للخارجية فى النظام الجديد ، وتحقق ما تنبأ به العبد لله منذ خمسة وعشرين عاما على وجه التحديد وامام شاهدين احدهما

هو الشيخ مهدي رحمة الله عليه والآخر هو الدكتور عبدالحميد عبد الرحمن وهو بالتاكيد حي ، وان كنت لا استطيع ان اقطع اذا ما كان حيا يرزق ، ام حيا فقط بسبب الازمة الاقتصادية التي خلقها النظام الاقتصادي الهمايوني في عهد الصادق شهبوي ، والذي كان اعظم منجزاته هي الرفض واهم صاداته هي بيانات الشجب والاستنكار . على العموم ، مبروك للثورة السودانية وزير خارجيتها على سحلول . فهو في محله ، وهو تطبيق عملي بشريعة الرجل المناسب في المكان المناسب ، وليس الرجل اللي مناسب ، وهي النظرية السائدة في اغلب بلاد العالم العربي ، بقي ان يسدد السيد الوزير على سحلول ما في ذمته للعبد لله . وهو مبلغ عشرون جنيها سودانيا فقط لاغير ، طبعا الفوائد والحلوان ! وبالمناسبة ، عنوان حضرتنا هو : محمود السغدني ، الكرة الأرضية وشكرا لساعي البريد .

ملحوظة :

استخدمت حكومة الامام الترابي الذي هو اية الله حجة الله استغفر الله ، اخونا الطيب على سحلول عدة أشهر ، ثم ألقت به من حائق وكشفت عن وجهها القبيح !



أدعوه بالنصر!



لو ان العبد لله كسب الريمو في يانصيب روما ، لو ضربة حظ صادفتني وظهر لى عم ثرى امثل مات فجأة فى البرازيل عن ثروة تقدر بمائة مليون دولار امريكى لو كانت وصلتني دعوة لزيارة القمر على متن مركبة الفضاء العربية التى ستنتقل من مركز ابحاث الفضاء العربى بامارة الفجيرة لو حدث لى شىء من هذا ما شعرت بالفرحة التى غمرتني عندما سمعت انباء زيادة فيضان النيل هذا العام خصوصا وانها جاءت بعد ثمانية اعوام من الجفاف ، كانت اسوأ من السنوات السبع العجاف التى مرت على مصر فى زمن سيدنا يوسف . ولكن رحمة الله هى التى خففت المأساة وهى التى حالت دون حدوث الكارثة . والفضل لله اولا وللسد العالى الذى طالبت بعض احزاب المعارضة بهدمه ، ولبحيرة ناصر التى سدت النقص على مدى السنوات العجاف الماضية ولولا ذلك .. فمن يدري ؟ ربما كنا نواجه الان كارثة لا يعلم مداها إلا الله . وعندما أقول . كارثة لا يعلم مداها إلا الله فهى ليست عبارة إنشائية فخيمة هدفها التأثير على القارئ ليهتف بحياة السد العالى ، ولكنها حالة رهيبة سبق لمصر ان عانت منها فى العصر الوسيط عندما كان النيل يجرى بلا ضابط ولا رابط إذا جاء الفيضان أغرق البلاد وإذا تأخر الفيضان أهلك العباد .

ولمجرد الذكرى وعلى سبيل الايضاح أسوق لحضراتكم عدة سطور كتبها عن ابن إياس فى كتابه الممتع (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) عن الاحوال التى سادت بر مصر بعد نقص الفيضان وانتشار المجاعة فى زمن الخليفة الفاطمى المنتصر بالله . يقول ابن إياس بالحرف الواحد :

"ثم انهبط النيل فجأة فشرقت البلاد وحصل على الناس مالا خير فيه ، ووقع الغلاء العظيم . فكان يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن يوسف عليه السلام . واستمر هذا الغلاء سبع سنين متوالية ، فاكل الناس بعضها بعضا حتى بلغ سعر أردب القمح ٨٠ دينارا كل أردب . ثم اشتد الأمر حتى وصل سعر الأردب الى ١٢٠ دينارا

ثم اشتد الأمر حتى بلغ سعر الرغيف فى زقاق القناديل ١٥ دينارا وأكلت الناس الميته والكلاب والقطط حتى قيل أرغ سعر الكلب بلغ ٥ دنانير ، وسعر القط ٣ دنانير وقيل أن الكلب كان يدخل الدار فيأكل الطفل وهو فى المهد ، وأمه وأبوه ينظران اليه فلا يستطيعان أن ينهضوا لدفع الكلب عن ولدهما من شدة الجوع . ثم اشتد الأمر حتى صار الرجل يأخذ ابن جاره فيذبحه ويأكله ولا ينكر عليه ذلك بين الناس ثم اشتد الأمر حتى صار الناس إذا مروا فى الطرقات يتعرض القوي للضعيف فيذبحه ويأكله جهارا وصارت طائفة من العوام يجلسون على السقائف ، وبأيديهم حبال فيها كلاليب . فإذا مر بهم أحد من الناس القوا عليه الحبال ، ونشلوه بالكلاليب فى أسرع وقت ، فإذا صار عندهم ذبحوه فى الحال وأكلوه بَعْضُهُمْ ، وقيل إن الوزير ركب يوما على بغله وتوجه الى دار الخلافة ، فلما نزل عن البغلة ، أخذت وأكلت فى الحال فامسكوا الذين فعلوا ذلك وشنقوهم . وعلقوهم على الخشب فلما باتوا أصبحوا فلم يجدوا أحدا من المشانيق . فقد أخذوا وأكلوا من على الخشب .

وكان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق ، وكان فيها نحو عشرين دارا كل دار تساوى فى الثمن ألف دينار فبيعت الحارة كلها بطبق خبر فسميت من يومئذ حارة "الطبق" .

وعن ابن الجوزى انه قال بلغنى أن امرأة خرجت من مدينة الفسطاط ومعها عقد من اللؤلؤ وقالت من يأخذ منى هذا العقد من اللؤلؤ ويعطينى عوضه قمحا ؟ فلم تجد من يأخذه منها فلما أعيت من الطلب ألقت على الأرض وقالت ان لم تنفعنى وقت الحاجة فلا حاجة الى بك وتركته ومضت فاقام مرميا على الأرض ثلاثة أيام ولم يجد من يلتقطه من الناس وقال الشيخ تاج الدين ابن المتوج : ان امرأة من ذوى البيوت أخذت عقدا من الجوهر قيمته ألف دينار فعرضته على جماعة من الناس بأن يعطوها عوضه فلما لم تجد من يعطه به دقيقا ثم ان بعض الناس عطف عليها . وأعطاهما بذلك العقد دقيقا فى جراب ومشت به من مدينة الفسطاط الى باب زويلة فلما علم الناس ان معها دقيقا تكاثروا عليها وانهبوه منها . فلم يبق الا ملء يديها . فلما وصلت به الى بيتها عجنته وخبزته رغيفا . ثم أخذته على جريده وتوجهت به الى قصر الزمرد . ونادت بأعلى صوتها يا أهل القاهرة ومصر . ادعوا للخليفة المستنصر بالنصر ، الذى أكلنا الرغيف فى أيامه بالف دينار !

فلما سمع المستنصر بالله ذلك تأثر منه ، واحضر الوزير والحاجب وهددهما بالشنق اذا لم يظهر الخبز فى الاسواق ثم أعقب هذا الغلاء فناء عظيم . حتى فنى من أهل مصر نحو الثلث . فكان الامير يتوجه بنفسه وينزل ببلده وينزع الأرض وذلك لعدم وجود فلاحين واستمر هذا الفناء يعمل فى الناس نحو عشرة اشهر . حتى قيل ان الرجل كان يمشى من جامع ابن طولون الى باب زويلة فلم يرى فى وجهه إنسانا يمشى فى الطرقات . فلما تعطلت البلاد من عدم وجود فلاحين تعذر



صرف جوامك الجند . فكان المستنصر بالله الخليفة يخرج من الخزائن السلاح والقماش والتحف ويقيمها على الجند من جوامكهم بقدر معلوم واضطرته الظروف فباع قطعة من الجوهر والياقوت وباع خمسة وسبعين الف شقة حرير مرقومة بالذهب . وباع عشرين الف سيف مسقطة بالذهب . وباع احدى وعشرين دارا وعزبة . حتى باع رخام قبور اجداده ولم يبق عنده من اثار النعمة سوى سجادة رومى يقعد عليها وقبقاب فى رجله ، وكانت اخته ترسل اليه كل يوم زبدية فيها طعام . وكان ياكل مرة واحدة فى اليوم ولم يبق عنده خدم ولا عيال ثم بعد ذلك تراجع الامر قليلا ، قليلا وارتفع النيل ، وانصلحت الاحوال ، وانحط سعر القمح ، ووقع الرخاء ورجع الماء الى مجاريه ، وحسنت الاوقات ، او كما قيل فى المعنى .

الدهر لا يبقى على حاله

لا بد ان يقبل او يدبر

فان تلقاك بمكروهه

فاصبر فان الدهر لن يصبرا

والحمد لله لاننا لم نحضر عصر المستنصر بالله . ولم نكن من ضحايا عصر المجاعة ونقص النيل . الحمد لله لان العبد لله كان سينفذ صبره قبل ان ينفد صبر الدهر وحتى ولو كان صبرى اقوى من صبر الدهر ، فان مصير العبد لله كان سينتهى حتما الى حبل من حبال الكلايب . واغلب الظن ان جثة العبد لله ستكون هى الطبق المفضل على مائدة فتوة من فتوات حى باب زويلة او حى ابن طولون ! الحمد لله الذى كتب علينا الحياة فى هذا العصر الذى لا يزال فيه رغيغ الخبز بقرشين رغم ثمانى سنوات عجاف ، نقص فيها النيل الى حد المجاعة والجفاف ولو انا من وزير الثقافة لدعوت الشعب المصرى الى الاحتفال هذا العام بعيد وفاء النيل ، وليكن الاحتفال لاتقا بالمناسبة ولنفتح ابواب الحدائق والمسارح ودور السينما بالمجان للجماهير ، وليقيم الناس صلاة الشكر فى المساجد والكنائس ، وليرقص الناس طربا على شواطئ النهر وفى الشوارع ، وليكن يوما مشهودا فى تاريخ مصر ، فقد جاء النيل والبحر زاد ، فاض ع البلاد ، عوف الليل .



وكما قال المتنبي !



انشرح قلب العبد لله على الآخر ، واطمانت نفسى وارتاح بالى ، بعد ان قرأت تصريحات قائد احدى الميليشيات التى تخوض حربا طاحنة فى جنوب لبنان ، واصبراره على مواصلة القتال حتى اخر طلقة ، وتاكيدته على انه لن يكون هناك وقف لاطلاق النار . وزاد من سرورى وحبورى اكتشافى ان الحرب الدائرة هى بين ميليشيات عربية وميليشيات اخرى عربية ، وان اسرائيل - الحمد لله - ليست طرفا فى الموضوع . وتضاعف سرورى وحبورى بعد اطلاعى على كشف الخسائر ، فإذا بعدد القتلى فى معركة واحدة زاد عددهم عن ستين قتيلًا . والجرحى جاوزوا الخمسمائة ، والاسرى نحو الالف . وكنت اظير فرحا عندما تاكدت ان الجميع عربا من صلب اعراب والحمد لله !

وسبب انشراح قلب العبد لله بسيط للغاية ، هو ان هذه الحرب العربية العربية هى التدريب العملى الوحيد تمهيدا لخوض المعركة الكبرى ضد اسرائيل . تماما كما يحدث فى الكورة ، عندما تجرى تقسيمة بين الفريق القومى ، فينقسم الفريق الى فريقين .. احمر وابيض وتجرى المباراة بينهما حامية وسريعة وخشنة ايضا وبالرغم من انها مباراة حبية إلا انه يحدث أحيانا لفرط الحماس ان يصاب بعض اللاعبين بكسور ، وقد ينتقل بعضهم بسيارة الاسعاف الى مستشفى قصر العينى . ولكن كل شىء يهون فى سبيل الاستعداد للمعركة الفاصلة مع الفريق المنافس . وكل مايرجوه العبد لله ان يستمر التدريب العملى الجاد بين الميليشيات العربية ، ولاتتوقف الحرب لآى سبب من الاسباب . حتى لو تدخلت الامم المتحدة ، وصدر قرار من مؤتمر للقمة . فكفانا هزلا طوال السنين الماضية وكفانا استرخاء ، ولابد من مواجهة الامر الواقع بجدية اكثر وحزم اشد . وحتى على فرض ان الابداء هى مصير الميليشيات العربية المتحاربة ، فلا شىء - يهم - على رأى عمنا احسان عبدالقدوس شفاء الله - فالبركة فى الميليشيات العربية الاخرى - وما اكثرها - وهى قطعاً ستستفيد من معارك التدريب الدائرة فى الوقت الحاضر . كما انها - بالقطع - ستخرج بدروس مستفادة ، وسيصبح لديها خبرة تستخدمها

فى معارك المستقبل . المهم ان تستمر حرب التدريب بين الميليشيات العربية حتى تستوعب الاسلحة الحديثة ، ولكى ندخل الحرب ضد اسرائيل - فى المشمش - ونحن جاهزين ومستعدين وفى « الغورمة » كما يقول بتوح الكورمة !

هناك شىء اخر اكدته هذه الحرب بين الميليشيات العربية هو الاصاله ، اصالة هذه الميليشيات وعراقتها ، وانها لاتزال متمسكة بتقاليدنا الاصيلة المنبثقة من تراثنا ، والناבעه من ارضنا لانه من ماثوراتنا المتوارثه (الاقربون اولى بالمعروف) ومن امثالنا الشعبيه الجديدة (اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع) وهذه الميليشيات العربيه المتحاربه تمشى على هدى السلف الصالح ، وتتعايش مع واقعنا . فمادام لدينا سلاح وبخيره ، فالاقربون اولى بالمعروف ، وصدور العرب اولى برصاص العرب ! ولدى الميليشيات العربيه دبابات - والحمد لله - واراض العرب اولى بالحرب . وبيوت العرب اولى بالهدم . وحقول العرب اولى بالحرق ، باعتبار انه .. ماهدم بيتك مثل دبابتك . واحسن ما يحرقها عدو غاضب ، او تحترق خلال عدوان غادر لثيم ! على الاقل عدوان العرب على العرب ، عدوان سخى كريم ، وحرق العرب لذياري العرب ، هو بالضبط وبالتمام والكمال مثل .. ضرب الحبيب زى اكل الزبيب !

ثم ان هذه الحرب العربيه العربيه تنفى عن العرب صفة الخمول والتواكل كما انها ترد بشكل عملى وفعل على الاحصائيه الاستعماريه العربيه التى صدرت اخيرا فى الغرب ، والتى تزعم كذبا ان العربى يعمل ساعة واحدة فى اليوم بينما الاوروبى يعمل سبع ساعات واليابانى يعمل ثمانى ساعات والامريكى يعمل تسع ساعات متواصله .. وهى مقولة استعماريه غريبه هدفها الوحيد الحط من شأن العرب واظهارهم امام العالم آخر وخم وآخر كسل .. والحقيقة اننا - نحن العرب - اذا كنا لانعمل إلا ساعة واحدة . فنحن نحارب عشر ساعات . والحرب جزء من العمل . وليس اكثر دليلا على حبنا للعمل . اننا اذا لم نجد من نحاربه جاريتا انفسنا ، وحاربنا بعضنا البعض . المهم ان نحارب وان نستمر فى الحرب . ولدينا فى الامة العربيه شعار ! يد تبنى ويد تحمل السلاح ! ولكنه احيانا ومن شدة غيبتنا وشدة حماسنا ، ننسى الشطر الاول فلا نعمل شيئا ونتفرغ للضرب ، ونواصل الضرب ، ونستمر فى الضرب ، ونظل نضرب ونضرب ، حتى نتبين الخطيب الابيض من الخطيب الاسود ، وحيانا عندما تحين اللحظة المناسبة التى ينبغى علينا فيها ان نتوقف لتتبين الخيوط بعضها من بعض ، نفاجأ بأن العمى الحيسى قد اصابنا بسبب الشظايا المتناثرة والزخات المتبادله ، والنتيجة اننا نواصل الضرب عميانى الى ما شاء الله !

وبعد .. ماذا اقول ؟ هل هذه مناسبة تصلح للسخرية او الهزل ؟ ولكن - صدقونى - لم اجد الا السخرية لمعالجة موقف مثل هذا هو اكثر مسخرة من اى

سخرية على ظهر الأرض . وعلى مدى اسبوع كامل والجراشد العربية تصف لنا بالتفصيل أنباء المعارك الضاربة بين ميليشيات أمل وميليشيات حزب الله . والمعركة على ودنه ، والقنلى بالعشرات ، والجرحى بالمئات والأسرى بالآلاف ، والحرب بينهما بكل انواع الاسلحة ، مدافع ميدان ومدافع شوارع ، ومدافع حواري ، دبابات ومصفحات ومجنزرات . ولا اعرف لماذا لم تستخدم الطائرات حتى الآن ؟ لعل المانع خير باذن الله ! وقاذفات لهب وباسقات نار وديناميت وقنابل يدوية والغام .

والاكادة ان كل فريق يحارب باسم العروبة ويهتف باسم الله وليس في العالم كله هزل على هذا النحو ، وليس في التاريخ كله مسخرة على هذا المستوى ولكنها مسخرة مفيدة وهزل طيب على كل حال . مدام الهدف الوحيد والاكيد والشديد . هو تحرير فلسطين من النهر الى البحر ، ومن البر الى الور . اما ماهو الور ، فأرجو الا تسألني .. أولا لأنني لا أعرف ، وثانيا لأن معارك الهول بين العرب والعرب ، جعلت مضى يسبح ورأسى تطيح ، فلم اعد أدري يعينى من يسارى ، ولا دماغى من حذايى .

ويا أمة ضحكت .. على رأى عمنا المتنبى !



وحش الجبال !



مامون وحش الجبال كان فتوة شارح البحر الاعظم بالجيزة ، وكان مصرياً صميماً وسنياً مؤمناً بالله ورسوله ، ولم يكن له علاقة من أى نوع بالدولة الإيرانية ، كما انه مات قبل ان تنشب حرب الخليج بسنوات طويلة . وبالرغم من ذلك تذكرت مامون وحش الجبال فجأة فى نفس اللحظة التى اعلن فيها حجة الإسلام رافسنجاني قبول وقف اطلاق النار واعلن رافسنجاني فى نفس الوقت ان ايران ستوقع اشد انواع الانتقام بالسعودية ودول الخليج ليه ؟ لا احد يعرف . هل اشتركت السعودية ودول الخليج فى القتل الدائر فى الخليج ؟ هل شاركت السعودية فى تحرير الفاو ؟ هل اشتركت جيوش الامارات العربية المتحدة فى تحرير جزر مجنون ؟ لا شيء حدث من هذا على الاطلاق ، ولكنه اسلوب عمنا مامون وحش الجبال طيب الله ثراه .

فقد كان مامون وحش الجبال دائم العراك مع غيره من الفتوات فى الجيزة ، ابراهيم عبد البر ومصطفى لطفى وعبد الله الانجليزى ونصر الجزار ، واحياناً كان ينتصر فى المارك ، واحياناً كان يلقي الهزائم وكان من عادة مامون وحش الجبال اذا انهزم فى معركة ضد فتوة من الفتوات ، النهوض على قدميه ، ثم نفخ التراب عن هدومه . ثم الاعتداء بضراوة على اول عابر سبيل !

وكان اهل الجيزة يهرعون عندئذ لنجدة عابر السبيل الطيب . ومعلش يا معلم مامون ، انت برضه الكبير يا حاج مامون . والمسامح كريم ياسى مامون . وكان مامون وحش الجبال يعفو عن الرجل الطيب استجابة لوساطة الجماهير وتوسلاتهم . وكان الجميع يتسابقون لتقبيل رأس المعلم مامون والبعض ينافقه بمعسول الكلام قبل ان تهدأ نفسه وينصرف ، ويا بخت من قدر وسامح ! وكانت هذه هى خطة المعلم مامون وحش الجبال . كلما تلقى الهزيمة فى معركة ضد احد الفتوات . إفتل خناقة لا أصل لها مع عابر سبيل طيب وفى حاله وليس له علاقة بالمعركة التى كانت ناشبة بينه وبين الفتوة الذى ضربه أمام الناس ومرمغ به التراب ، ولكن هذه المعركة الهزلية المفتعلة كانت تكفى لتغيير الصورة فى عيون

اهل الجيزة الذين حضروا المعركة الاولى وشاهدوا المعلم مأمون وحش الجبال وهو يتدحرج بين الحجارة والتراب وكانت العادة ان ينصرف بعد المعركة الثانية ويعد سيل من الشفاعات والتوسلات . وكان مأمون وحش الجبال يقبلها فى تواضع مزيف وفى سماحة هو منها برئ براءة الذئب من دم يوسف .

وبالرغم من وفاة مأمون وحش الجبال وبقيّة السادة الفتوات منذ اكثر من ربع قرن ، إلا اننى تذكرته لحظة إعلان ايران قبولها وقف اطلاق النار . لقد انتهت معركة الفتوة ايران مع العراق وستبدأ المعركة الثانية مع عابري السبيل من الناس الطيبين لعل الفتوة المهزوم يخرج فى النهاية منتصرا ! ولكن يخطئ عمنا الفتوة رافسنجاني اذا تصور انه الفتوة مأمون وحش الجبال ويخطئ اكثر لو تصور ان دول الخليج ستكون لقمة سائفة . او انها ستكون وحدها فى المعركة وخيرا للاخ رافسنجاني ان يقبل قرار مجلس الامن وان يضعه فوراً موضع التنفيذ وخيرا له وللجميع ان يضع حدا لهذه الحرب المجنونة التى اكلت من الرجال حتى شبعت وشربت من الدماء حتى ارتوت . ولم يستقد احد منها إلا أعداء العروبة وأعداء الإسلام ومن مصلحة ايران والعرب والمنطقة كلها ايضا ان ينسى الملالي حلمهم القديم الذى راودهم يوما ما . بإقامة الامبراطورية الإسلامية تحت عبادة الامام . فزمن السلطان سليم ابن عثمان مضى الى غير رجعة . وتركيبه العصر الحديث لا تسمح بتكرار التجربة كما ان الدولة العربية ليست كيانات هشة يمكن اجتياحها ببساطة وطريق القدس لا يمر من بغداد الا بموافقة بغداد ورضاها . وما كان اسهل علينا استرجاع القدس وتحرير عكا وحيفا . لو تضافرت كل الجهود وزحفت كل الجيوش عربية وايرانية الى حدود فلسطين ولكن المؤامرة استغلت الحلم الايراني واستثمرته لمصلحة اسرائيل وعلى الملالي ان يدركوا هذه الحقيقة الان وان يطفئوا نار الحرب قبل فوات الاوان .

والله يرحمه ويحسن اليه عمنا مأمون وحش الجبال فتوة شارع البحر الاعظم بالجيزة . الذى تذكرته فجأة فى أحد أيام الاسبوع الماضى الله يرحم اسلوبه فى فن العراك . لقد مات اسلوبه ودفن معه .. ولم يعد هذا الاسلوب يشفع الآن فى تغطية هزيمة او تغيير نتيجة حسمتها دماء المحاربين فى ميدان القتال . وعلى العرب والايرانيين الان ان ينهضوا على اقدامهم وقوا من تحت الانقراض . وان يعوضوا ما تناقض من جهودهم وثروتهم وان يحاولوا العيش فى كرامة جنبا الى جنب فى عالم القرن الواحد والعشرين ، حيث البشرية على ابواب دنيا جديدة ومختلفة وإما ان نلحق بها . او نبقى فى اماكننا أرى ذكريات معركة الجمل . وقد ننتهى الى نفس المصير الذى انتهى اليه خوارج معركة صفين .

والله يرحمه ويحسن اليه عمنا مأمون وحش الجبال فتوة شارع البحر الاعظم بالجيزة . فلو كان حيا بيننا اليوم ، لطالب بحق الاداء العلنى لان ما فعله

رافسنجانى عندما هدد السعودية والخليج باشد انواع الانتقام هو سرقة فنية ، وهو اقتباس غير مشروع لاغنية قديمة وشائعة . وسبق تسجيلها فى الشهر العقارى باسم مأمون وحش الجبال . وحق التأليف والتحين .. كما هو معروف - للمؤلف الاصلى مأمون وحش الجبال . اما المعلم رافسنجانى فهو مجرد مؤلف مبتدىء وغير موهوب ويعتمد على السرقة الادبية والاقتباس ، ولذلك لن يصدقه احد ، ولن يستمع اليه احد ولن يخاف منه احد ! والفتوة الحقيقى هو الذى يحسم المعركة فى الميدان ، او ينصرف بعدها - ومهما كانت النتيجة - ويمضى فى سلام .





أحلام العبد لله !



كنت اتمنى ان اصبح بحارا اجوب واطوف حول العالم عدة مرات . مرة خرجت منها وكنت اقضى الساعات افكر فى صديقى واحيانا اقع فى غرام الخادمة التى تنتظرنى تحت السلم وانظر فى عيون البنت هى الاخرى تتلفت حولها انا خيفة يامحسن وكلن محسن سرحان !

وكان قلبى يسقط فى كعوب قدمى اذ كنت اتصور انها خائفة لان احدا فاجأنا ونحن معا تحت السلم وعندما كنت اسألها عن سبب خوفها كانت تجيب فى دلع شديد ، انا خائفة على حبى !!

وبين الخامسة عشرة والعشرين حلمت بان اكون كابتن كرة قدم ، وكان مثلى الاعلى هو الضيظوى كابتن مصر وواحدا من المع نجومها وكنت اقلده اذا مشيت ، واقلده اذا لعبت الكرة ، واقلده عندما احرز هدفا فى مرمى فريق الاسد المرعب ! ولكن حدث اننى التقيت بالضيظوى شخصا فى احد مقاهى بورسعيد وكان يشكو الحاجة من الزمان ومن الناس ويذا شديد الغلب والفلس خايب الامل والرجاء ، فاقلعت عن تقليد الضيظوى وتبخرت احلامي التى راودتنى يوما ما ان اصبح ضيظوى جديدا !!

وعندما بدأت الكتابة فى الصحف ، وظهر اول توقيع لى فى جريدة "السحاب" لصاحبها كامل بريقع ، تصورت نفسى واحدا من كتّاب هذا الزمان ، وحلمت ان اكون مثل محمد التابعى ، مقالاتى تسقط الوزارات وتسير المظاهرات ، وتقلب نظام الكون ! ويبدو ان احلام اليقظة اختلطت عندى باحلام النوم ، فذهبت الى محمد التابعى فى منزله بالزمالك وكان اشهر واكبر كاتب صحفى فى ذلك الزمان وعندما طرقت بابه ، برز لى رجل نوبى فى حجم حارس مرمى الكامبيون وسألنى عما اريد فاجبته ببساطة محمد التابعى . وهكذا حاف وبلا رتب ولا القاب ، فسألنى عنى اكون ، فاجبته بثقة زائدة محمود السعدنى هكذا ايضا بلا احم ولا دستور ، وكان اسمى ماركة مسجلة ، او كائننى زعيم حزب المحافظين ولا احتاج الى تعريف وغاب

الرجل لحظات فى الداخل ثم عاد ليقول لى .. "البية مش موجودة" !!

وشعرت بالغليظ وبالصالة فى نفس الوقت ، وأخرجت من جيبى ورقة وقلمًا وكتبت رسالة للكاتب الكبير قلت فيها بالحرف الواحد ياتابعى ان لى قلما كلكمك ولكنه ارفع وانفع ، وعندما يحين الوقت المناسب ساكتب للناس قصة الذين يسكنون الزمالك ويكتبون عن سكان حوش بردق وعشش الترجمان !!

وطارت أحلامى فى ان اصبح "تابعى" آخر وعندما صدر لى أول كتاب وهو "السماء السوداء" يضم مجموعة قصص قصيرة تصورت نفسى جى دى موباسان ، أو تشيكوف ، وبالقليل تصورت نفسى محمود كامل المحامى ، وهو رجل ابن ذوات كان يشتغل أحيانا بكتابة القصص القصيرة ، وينشر صورته معها وهو يشرب فنجان القهوة ويدخن سيجارا فاخرا فى طول المزمار . لكن أعمال السادة النقاد "التقدميين" لقصصى واهتمامهم الشديد بكتابت قصة يدعى على برعى نشرها وترجموا قصصه للرؤية والصينية والماتوسيانية جعلنى اكف عن كتابة القصة واتجه الى الشعر قانعا بالقليل الذى اكتبه .

وخلال حرب ١٩٥١ وعلومنى كيف اضغط على الزناد تصورت نفسى احارب ضد التتار واقف مع الجزار والى عكا ، واننى مبعوث العناية الالهية لتحرير الاوطان ولكن انتشلنى من احلامى انطلاق مدفع ثقيل بالقرب منى جعل قلبى ينزل فى ركبى ، وبعدها أمنت اننى لا اصلح لميدان القتال !

وعندما عرضت لى أول مسرحية تصورت اننى ابسن العرب او اننى شيكسبير المسلمين ، ثم الفت خمس مسرحيات اخرى حقق بعضها نجاحا كبيرا بالرغم من عدم رضا الدكتور على الراعى لانها لم تكن متفقة مع الخط الواقعى الاشتراكى المندراكى المشكورى والمندكورى ماتوا سنبله أك سورى اكوانى !! وهى لغة يفهمها الدكاترة وحدهم ولا يعرفها السادة الجهال امثالنا . المهم ان حماسى فتر بالنسبة للمسرح وخبت جذور الدراما فى اعماقى ! وعندما كتبت رواية طويلة بعنوان "حتى يعود القمر" تصورت اننى ديستوفسكى وحلمت بمكان فى التاريخ على الاقل مثل مكان شتاينبك او تنسى ويليامز او حتى مثل امين يوسف غراب !! ولكنى صدمت عندما اكتشفت وان موهبة العلاقات العامة اهم من موهبة التأليف وأنه يجب ان تعرف كيف توطد صلتك بالنقاد جيدا ، وعندئذ فتر حماسى للروايات .

وضاعت احلامى فى الفوز بمقعد تولستوى فى التاريخ !!

وعندما قمت بأول رحلة لى الى أوروبا وكتبت "الموكوس فى بلاد الفلوس" تصورت اننى ساكون جون جنتر العرب أو لودفيج مصر أو بالميت خالص ساكون الرحالة محمد ثابت الذى فرضوا علينا كتبه فى المدارس . رحلة داخل افريقيا ، رحلة داخل أسيا رحلة داخل مش عارف ايه والذى وصفت كنافه نابلس فى كتابه



داخل دكان حلوة ، أسف ، أقصد داخل المشرق العربي !! واصدرت بعد ذلك خمسة كتب رحلات ثم تبخر حماسى وحلمى فى ان اصبح اى شىء فكففت عن كتابة الرحلات ، وتفرغت لكتابة المقالات وقلت لعل وعسى ان اصبح محمد زكى عبدالقادر الذى كتب عموده "نحو النور" لمدة خمسين عاما متصلة لم يتخلف يوما ولم ينقطع عن الكتابة يوما ، حتى توفاه الله وقلت اذا لم اصبح مثل زكى عبدالقادر فبالميت اكون مثل سيد عبده وقد تسألنى ومن يكون سيد عبده ؟! أقول لك لقد اصبح عددهم كبيرا ككتاب المقالات هذه الايام ، لدرجة ان سيد عبده صار واحدا من هؤلاء ولكن يبدو ان احلامى فى هذا المجال اخذت تتبخر ايضا .

فأنا مشغول هذه الايام بالام المعدة ووجع المفاصل والام الروماتيزم المزمع ، وأوجاع الكلى ، ومشاكل الجهاز التنفسى وانطفاء النور فى العيون التى كانت مبجلة ومطلقة عظام الظهر الذى كان مستويا كلوح خشب لطزان . تضاعفت احلامى الشخصية واحلامى العامة ايضا .

وبدلا من الوحدة اللى ما يغلبها غلاب وعوضا عن الدولة الواحدة من المحيط الى الخليج ، اصبحت أسأل الله لتبقى الاحوال على ماهى عليه فلا ينقسم لبنان الى اربع دويلات ولا تتمزق سوريا الى جبل للعلويين وجبل للدروز وجبل للسياح ، وان يحفظ الله علينا سيناها بالقوة المتعددة الجنسيات وان يحصى الله عراقنا من اخطبوط ايران وان تظل احوالنا كما هى متردية ولا تزداد انهيارا على رأى عمنا الشاعر المتنبى وحسب المنايا ان يكن امانيا ! اى حسب الكوارث والدواهى والمصائب ان يكن امنيات !!

ويبدو ان عصر المتنبى هو بالضبط مثل عصرنا ، خيبة بالويبة وحوادث وكوارث ومصائب ونواثب ربما الفرق الوحيد ان عصر المتنبى كان يواجه الروم ، ونحن هنا نواجه اليهود ، تغيرت الاجناس التى ضدنا ولكن بقى الهدف واحدا ، وهو القضاء علينا وعلى صنفنا بينما نحن مشغولون باصدار القوانين وتوعية الجماهير وتأجير الاقلام وتجنيد الانصار ، وتأليف احزاب الكهرياء اما احلامى الشخصية فقد اصابها ما اصاب احلامى العامة هل تعرفون ماهى احلامى الخاصة الان ؟ ان تسكن اوضاع ضروسى ، وان تنجح امعائى فى طحن الطعام ، وان تتيسر احوالى فى الحمام !

وسبحان مغير الاحوال !

الفهرس

٣	كدة .. والا إية ؟
٧	.. وعلى رأسه قنديلان !
١٣	العرب .. وجائزة شوجب
١٩	وفى الصيف ضيعت النفط
٢٥	الحن السماء
٣١	وضاعت فرصة العمر
٣٥	مسألة فيها نظر !
٤١	الله عليك .. ياعمى !
٤٥	وهذا أضعف الإيمان !
٥١	هؤلاء المحتالون وأمراضهم المدهشة
٥٧	يارب الأمنى من "إعلانى" !
٦٣	الأعلى .. والأوطى .. والنص نص !
٦٩	على الأبطال دوار !
٧٧	المهلباتى ... والمهلباتكو !
٨٥	على قهوة أنديانا
٩١	اك سورى إكوانى !
٩٩	ياعمال العالم .. "باى باى" !
١٠٥	الكورة .. والعورة !
١١٣	آخر خدمة الغز .. !
١٢١	مارادونا عبد اللطيف !
١٢٧	.. ابن الدائرة !
١٣٥	عفوا .. مولانا الشيخ !
١٤١	والحساب يجمع
١٤٩	إنشالله مهندس !